
رواية
إرث من الجان
الجزء الثانى
قصر شمهروش
د. مصطفى أشرف
ساحر الكتب

قصر شمهروش

إرث من الجان

الجزء الثاني

قصر شمهروش

رواية

د. مصطفى أشرف

تصميم الغلاف: محمد محسن

تدقيق لغوي :أنس محمد صادق

رقم الإيداع: 2020/2349

I.S.B.N:978- 977-6640-84-9

الطبعة الأولى2020م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

د. مصطفى اشرف

قصر شمهروش

"إرث من الجان" ج.2

رواية



إهداء إلى روح جدتي، التي توفّاها الله قبل أشهر، كنتُ آخر من يراكِ تلفظين أنفاسكِ الأخيرة في راحة وسكون، ما زلتُ أتذكر كلماتك: أنا اللي هجوّزَك يا مصطفى، ولكن قضَى الله أمره، وما لي إلا أن أقدّم لكِ ذلك الإهداء، وأرجوكم جميعًا أن تدعوا لها بالرحمة والمغفرة وحُسن المئاب.

الإهداء الثاني لصديقي المتألم الآخر د/ إبراهيم عبداللاه، ما زلتُ أتذكّر عامًا ضاع فيه كل شيء، وصمدتَ أمام أشياء لا يقوَى عليها أحد، أشكركَ لكونكَ داعمًا وقتما كان الشيطان غالبًا، وأعِي ما عانيتَ جيدًا، ولعل بعد العسر يسر.

الإهداء الأخير، قد لا أملكُ الكلمات المناسبة، ولا أستطيع خلق تلك الجمل التي تُعبر عمَّا أشعر به، لكن سأكتفي بذلك الرمز دون معرفة النهاية: .

K.O

أصواتٌ عديدة تلوح في الأفق تحت أشعة الشمس الحارقة، غبار كثيف يعلو الهواء يصاحبه كلمات مثل: هيّا، أسرعوا، تأهّبوا، النصر لنا، وغيرها من الجمل التي تحمّس الجسد؛ لتوحي له بأنه الطرف الأقوى ولا مجال للتراجع، ثم حركات سريعة منظّمة لأرجل مختلفة، إذا دقّقتَ النظر ستجد إما أنها تابعة للجنود الذين يرتدون أحذية من الجلد القادرة على أن تتحمل لهيب الأرض المرصّعة بالحصى الناتج عن الانحباس الحرارى بها، أو أقدام الخيول العربية الأصيلة التي تقف في صفٍّ منتظم، وعليها جنود أشداء على أتم الاستعداد لتنفيذ الأوامر التي ستصدر لهم من القائد المتواجد في المقدمة.

إننا الآن في الخامس من فبراير عام 1624م، وها قد اشتعلت الحروب الداخلية في مصر بين من يريدون عودة قرة مصطفى باشا إلى حكم مصر، ومن يقفون أمامهم لجعل علي باشا الشيشنجي هو البكلربك المعتمد للبلاد بعد تعيينه من قبل السلطان العثماني نفسه، ولفظ بكلربك ذاك هو لقب يطلق على الحاكم الدوري أو سيد السادة الذي يتم تعيينه من قبل السلطان العثماني بشخصه، وقد اتّسمَت الدولة العثمانية حينها بتعدّد الحكام وكثرة ولاة الأقاليم.

على الجانب الآخر، وبعيدًا عن قلعة صلاح الدين، والتي اتخذّها العثمانيون مقرًا لحكامهم، نترك كل تلك الجلبة لنذهب إلى صرحٍ آخر عظيم، طريق طويل مستوي.. على جانبيه يوجد بعض الأشجار، في بدايته تستطيع رؤية مئذنة شاهقة الارتفاع، وهي بذلك تخبر كل من ينظر إليها بمدى روعة العثمانيين في بناء المساجد، يستمر الطريق في استقامته إلى أن يصل للمسجد المراد، يقف الشيخ حسن على المنبر مرتديًا عمّته التي اعتاد الناس رؤيته بها، وجلبابه الطويل على غير عادة شيوخ الدولة. يقف في ثبات وهو يقول بصوت قويّ:

- يا أهل مصر، يا أهل العلم والدين، هل ما يحدث الآن يسرّكم؟ ألا ترون تلك الانشقاقات التي طالَت دولتنا العثمانية في مصر

وخارجها، نحن الآن نتقاتل فيما بيننا من أجل حاكمِين على منصب البكلربك متناسيين ما يحدث في بغداد، لقد استمرَّت الحرب بيننا وبين بلاد فارس الصفوية ما يتعدّى قرنًا من الزمان استطعنا فيها الانتصار في كل المعارك وضد كل الخصوم، هل نسيتم معركة جالديران وكيف قضينا على نفوذهم في الأناضول؟ وكيف فتحنا بغداد والعراق؟! لكن انظروا الآن.. ومع تعدد ولاة الأقاليم وثوراتهم العديدة، وبعد حصار الفرس لبغداد سقطَت في أيديهم منذ أيام قليلة، هل تعلمون ما معنى هذا؟ أنه إن لم نتحدَ مجددًا سنُطَاح جميعًا، أنا لستُ مع هذا أو ذاك، لكني مع الحق ومعكم، فإن أردتم عودة مصطفى باشا قرّة للحكم مرة أخرى؛ فهذا هو الوقت المناسب للتحرك نحو القلعة.

بمجرد أن يقول الشيخ حسن تلك الكلمات بهذه الحماسة والصوت الذي يحرك الجبال حتى يهلل الناس والجنود القابعون أسفله قائلين في صوت واحد: الله أكبر الله أكبر.

يستمر الشيخ في خطبته، إلى أن يلحظ وجود فتى يقف خارج المسجد وهو يدقّق النظر به مبتسمًا، بمجرد أن يراه الرجل صاحب الجلباب الطويل حتى يرتبك قليلًا، ثم ينهي خطبته بسرعة؛ لتجد جميع مَن في قاعة المسجد يتحركون سريعًا إلى الخارج؛ فمنهم من يمتطِي الأحصنة، ومنهم من يهرول لكي يلحق بالرجال الذين اقتربوا من القلعة من أجل المطالبة بعودة الحاكم السابق للبلاد مرة أخرى.

بعد أن يفرغ المسجد من الرجال ينزل الشيخ حسن من مكانه متخذًا الدرج للأسفل، ثم يتوجه صوب الباب، ويقول للفتى الذي ما زال واقفًا عنده:

- هل ستدخل يا قُصَيّ أم أنك خائف؟

في صوت ضاحك يقول الغلام:

- خائف! أنا لا أعرف شعور الخوف، وأنت تعي جيدًا ما أنا قادر على فعله، لكني فقط أنتظر التخلّي عني وسأدخل الآن.

لم يفهم الشيخ جيدًا ماذا يقصد بهذه العبارة، لكنه ينتظره مدةً من الوقت ليراه أخيرًا يحرك قدميه الهزيلتين مُدخِلهُما إلى المسجد.

يقول الفتى وهو ينظر حوله:

- أتعجب كثيرًا من هذا البناء، كيف لهم أن يبنوه بهذا الارتفاع والإتقان وتلك الزخارف التي تكثُر في الجدران وعلى الأسقف؟! يبدو أنهم جيدون في البناء يا حَسَن.

يرد الشيخ بوجهٍ يبدو عليه الضيق:

- أنا لم أعرف ماهيتك بعد، لكن على الأقل يجب أن تسبق كلمة الشيخ اسمي؛ فأنت ومع ذلك أمام الجميع طفل صغير أمام شيخ له قيمته هنا.

يصمت قُصيّ قليلًا، ثم يقول:

- حسنًا حسنًا لا مانع عندي، أنت الشيخ حسن وأنا تلميذك بكل تأكيد.

يبتسم الشيخ وهو يقول:

- ما أشد عجرفتك تلك! القوة تأتي بالغرور؛ لذا يجب أن تحرص على أن تكون متزنًا حتى لا تغرق، لكن قولك صحيح الناس هنا امتازوا بالذكاء وكيفية التفنّن والإتقان في بناء المساجد خصيصًا، والقلاع أيضًا.

- شيء آخر، أعجبتني خطبتك في الجَمْع الذي كان يتواجد هنا، لدرجة أنني كدتُ أتفاعل معك وقررت الذهاب لجلب حصاني والتوجّه للقلعة من أجل الحفاظ على البلاد كما تزعم.

يضحك الشيخ بشدة وهو يقول:

- وهل تعتقد أنه يهمني مصطفى هذا أو على الشيشنجي أو حتى الحكم العثماني بأكمله. هذا كله هراء! ولعبة العروش تلك لا تستهويني إطلاقًا. إنهم يتصارعون من أجل مُلكٍ زائل لا قيمة له.

حينها يتعجَب الفتى كثيرًا، وتتسع عيناه لأول مرة وهو ينظر إلى الرجل الهَرِم الذي يقول ذلك وهو يتجه إلى خارج المسجد. ليسرع وراءَه قائلًا:

- إلى أين تذهب؟ وما السر وراء ما تقول؟

يصمت الشيخ ويستمر في طريقه وقُصَيّ يسير بسرعة وهو غير مدرك لما يفطن إليه شيخه، لكنه يتبعه دون أن يقول شيئًا. يستمر الاثنان في طريقهما دون حديث. وأثناء سير الفتى يرى نفسَه يمر في طرقات وَعِرَة وأزقة عديدة، وهو جاهل تمامًا عن المكان الذي سيذهب إليه. وبعد وقت ليس بالقصير يصلان إلى منطقة مهجورة.. صحراء جرداء لا حياة بها. فقط بعض شجيرات الصبار والرمال. يتوقّف الشيخ حسن في منتصف تلك الأرض الجدباء؛ ليندهش الفتى الذي يقول له في غضب:

- أخبرني الآن إلى أين تأخذني؟! وما هذا المكان الغريب؟! ولماذا نحن هنا؟! فأنا لم أعتَد أن أتبَع أحدًا مهما كان قدره.

يلتفت إليه صاحب العمامة قائلًا:

- اصمت وقريبًا ستعرف كل شيء. فقط شاهدني دون حديث.

يلتقط الشيخ من على الأرض الرملية عصا خشبية صغيرة، ثم يقوم بعدها برسم دائرة متوسطة الحجم ويُقسّمها إلى ثلاثة أقسام، يرسم في القسم الأول منها عقربًا دون ذيل. ثم على القسم الثاني يرسم

وجهًا له قرنان، وأخيرًا على القسم الثالث يكتب بالعصا سبعة حروف غريبة بعيدة كل البعد عن اللغة العربية؛ ليتركها من يده وهو يتمتمُ ببضع كلمات عرفَهَا قُصيّ. الذي تحمّس وهو يقول داخل نفسه: "يبدو أنه هنا يخبِّئ كنزًا ضخمًا؛ فذلك الطلسم الذي يُقال قوي جدًا". ما هي إلا دقائق حتى يتحرك الشيخ مجددًا مسافة محدّدَة والفتى وراءَه لا يتحدث كما أُمِر. يصلان إلى كومة من الرمال، يُزيحها صاحب الطلسم ليُخرج منها جاروفًا؛ فيقوم بالحفر مسرعًا بجانبه. ويستمر في ذلك مدة نصف ساعة كاملة والعرق يتصبب منه رافضًا أية مساعدة من الفتى الذي يترقب بأعين كالصقر. ما هو تحت ذلك المجهود المبالغ فيه: ليرى وعيناه تبرُز بشدة الرمال وهيَ تكشف عن وجود درَجٍ خفيّ يَظهَر شيئًا فشيئًا؛ ليجد الشيخ يقول له في صوت ضاحك:

- هيا يا سعف ااان.

يصمت الفتى وهو ينظر للأرض لحظات، ثم يصوّب نظره ناحية شيخه قائلًا:

- لن أحدّثك عن كيفية معرفتك لهذا الاسم؛ لأنك ستخبرني به عاجلًا أم آجلًا. وأمر آخر.. أنني متشوق جدًا لمعرفة ماذا يوجد بالأسفل.

لحظات من الصمت ليتحرك بعدها الشيخ متخذًا طريقه إلى الأسفل، والفتى يتبعه وهو يلحظ تجمع الرمال بعد نزولهما فوق الدرج لتغطيه تمامًا والظلام يعُمّ. لكنه لا يلقِي بالًا لذلك؛ فهو يعرف من يفعل هذا، فقط يستمر في النزول ليرى ماذا يوجد بالأسفل.

منصة خشبية كبيرة تُنصَب الآن على أرض خضراء يملأها الطمي وحركات لجنود حولها وهم يحملون البنادق التي تعتّلِي فوهتها السكاكين المدبّبَة. صوت واحد يأمرهم بالتوزّع على جميع الأنحاء

وعدم ترك مساحة لأحد بالمرور، ومن يخالف الأمر يُقتل في الحال، يتواجد أمام المنصة تجمُّع لعدد من الرجال.. النساء والأطفال، اصطفُّوا وأعينهم تفيض بالدمع لمَا يشاهدون أمامهم وللظلم الذي يتعرضون له.

إننا الآن في شرق أفريقيا، أو بالأحرى في لؤلؤة أفريقيا (أوغندا)، وقد نالت تلك السمعة بسبب حدودها؛ فتحدها من الشرق كينيا، من الشمال جنوب السودان، من الغرب جمهورية كونغو الديمقراطية، وأخيرًا من الجنوب تشترك مع كينيا وتنزانيا في بحيرة فيكتوريا، نحن وسط تلك المشاهد في عام 1630م.. فترة شاع فيها الحروب الأهلية في تلك البلاد، استيلاء المواطنين على المقاطعات مع الكثير من الأرواح التي تُزهَق جرَاء ذلك، وقد بدأت للتو مراسم إعدام الثوريّين الأوغنديّين الذين يرفضون ما يحدث من فوضى داخل بلادهم، لكن حكم هذا اليوم مختلف قليلًا؛ فهو ليس لثورة أو لقتل، إنما لرفض أهالي ضاحية بوكومانسمبي تسليم كنزِ شيخهم لقائد المقاطعة المنتصرة في الغزو: مما أدى إلى إصداره أوامر رادعة بإعدام عددٍ لا بأس به من السكان لجعلهم يتراجعون، ومن أجل كسر عزيمتهم تلك التي تقف حائل بينه وبين هذا التراث القديم الذي يريد معرفته بأي ثمن، وها هو اليوم قد بدأ في تنفيذ ذلك بالفعل عن طريق شنقه لبضع من أهالي الضاحية أمام ذويهم وسط نحيب وبكاء لا ينقطع، تبدأ المراسم وقد وُضِعَ أصحابُ البشرةِ السمراء في أماكنهم، وينتظرُ الآن الجنودُ إشارةَ قائدهم، الذي يقول وهو ينظر في أعين الحشود المتجمعة أمام المنصة وبكل فخر بلغته الإنجليزية:

- اليوم سَيُعدم هؤلاء المتمردون، وغدًا أُناس آخرون منكم إن لم تستجيبوا وتسلموني ما أريد، أخبرَني العديد من السكان أن هذا الصندوق هو هبة من الله لكم، يجلب الخيرات ويحافظ على أرواحكم؛

لذا أعطوه لي وأعدكم أن أرحل. أو استمرّوا فيما تفعلون وستموتون جميعًا. هيا يا رجال افعلُوها.

ثم يشير بعد ذلك بيديه إلى الأسفل.

بمجرد سماع تلك الكلمات حتى يُنفّذ الجنود الحُكْم، ويقومون بقتل كل رجل موجود على المنصة دون شفقة. لكن يوجد حدثٌ آخر أهم مما حدث وأعظم من الدموع المنهمرة، إنه ذلك الفتى الأسمر الطويل البنْيَة، ذو ملامح حادة، عينان كالصقر وشعر متموّج قصير، يقف وسط تلك الحشود المتراصّة وهو يُركّز كامل بصره على الجنود وحاكمهم متمتمًا بكلماتٍ غريبة والغضب يشتعل في جسده، لا يشغله أيٌّ كان عن ما يفعله، فقط العبس هو ما يظهر عليه، أثناء انهماره في ذلك يسمع صوتًا مميزًا وسط هذا الضجيج الهائل، وكلمات تجعل عينا الصقر تلك تتحوّل إلى البُوم من اتساعهما لهول ما سمعه، صوتٌ غريبٌ يقول له:

- صُبّ كامل تركيزك يا جودفري على الحاكم، وحينها سيسقط الجنود، مرحى للانتقام.

يلتفت الشاب القوي بسرعة إلى الخلف؛ ليرى سرابًا لشخص يختفي وسط الجموع، فقط يلمَحُ منه شيئًا مميزًا ما يُدعى بال(بورنيطة) مرسومًا عليها أفعى وبجانبها عقرب، رسمة غريبة بحقّ لم يعهد مثلها من قبل؛ ليختفي الشخص تمامًا تاركًا جودفري يُكمل ما بدأه وهو مرتبك قليلًا.

تَهزّ تلك الواقعة الضاحية بأكملها، وفي المساء يذهب عدد كبير من سكانها إلى شيخ الضاحية العجوز "إيمانويل" الذي يقبع في خيمته وحوله أحفاده يحدثهم كعادته عن ماضي أجدادهم، وكيف أن أوغندا كانت معقل الصيادين وخلافه من المهن معتمدين في ذلك على بحيرة

فيكتوريا العريقة وبحيرة كيوغا، يستمر في حديثه وسرده لأحداث تجذب العقل بأسلوب لا مثيل له؛ فشيوخ الضواحي يمتازون بقدرتهم الكبيرة على الإقناع والحديث، وهو ما يؤهلهم لتلك المكانة العالية. يدخلون عليه بعد استئذان؛ ليصرف الأطفال إلى الخارج ويبدأ في جلسته الأخرى التي ستحمل من الجَدّ الكثير.

- ما حدث اليوم هو انتهاك لحقوقنا، ووصمة عار على أهل الضاحية بأكملها، يجب أن نقوم باتخاذ ردة فعل والقضاء على هؤلاء المغتصبين؛ فدماء من قُتلوا اليوم عاتق على صدورنا، هؤلاء الغزاة أتوا إلينا جالبين معهم الخوف.. الدماء والموت، ولن نسمح بذلك لنريهم قوة الصندوق.

يقول هذا الكلام شاب أسمر اللون شديد التعصب لهذه الضاحية.

يحتدم النقاش بين جميع المتواجدين، والرجل العجوز ينصت لهم، ثم يقف ويقول وهو يضرب بعصاه على الأرض:

- صمتًا، لا مزيد من الأحاديث، استمعوا لما سأقول؛ فأنا الحاكم هنا، وأنا الذي سأقرر ما سوف يحدث، ما يجب أن تعرفوه في مقدمة حديثي هو أننا لن نستطيع محاربتهم؛ فتعدادهم أكبر وأسلحتهم أكثر، وستصبح نهايتنا إن حدث ذلك، بالإضافة إلى أنهم يعرفون القتل أما نحن فلا، يعرفون القتال بالأسلحة أما نحن فلا، ويعرفون أيضًا أن يكونوا بلا رحمة، وبالطبع نحن لا.

ثم يتابع وهو ينظر في أعين الجميع قائلًا:

- هم يريدون تراثنا، ولن نسمح لهم بالوصول إليه حتى وإن كان الثمن زهق أرواحنا، وفي النهاية سيحمينا الصندوق؛ فهو هبة الرب لنا.

بمجرد أن يُنهي العجوز إيمانويل جملته تلك حتى يقوم مَن على مقعده متكئًا على عصاه الذهبية التي يتعجب منها أهل الضاحية كثيرًا، يمشي بضع خطوات، ثم يستخدم يديه للحفر في الأرض؛ لينتهي بعد دقائق وهو يُخرج مفرشًا أبيض اللون، يقوم بفتحه ومرة واحدة يصرخ بأعلى صوته وهو يقع على الأرض غير مصدق قائلًا:

- لقد اختفى الصندوق.

في نفس الوقت في خيمة أخرى بعيدة عن خيمة إيمانويل يجلس الفتى الأسمر حاد الملامح ذاك، وقد أحضر أمامه سبعة عيدان من القش وحطب سبق وقد أشعله بالنيران، ورق أصفر صغير كورق البردي كُتب عليه بحبر أسود عتيق، وأخيرًا جدي صغير مقيد من أسفل قدمه.

ينتصف القمر في السماء المحملة بالغيوم ويبدأ جودفري في مراسمه الغريبة، أولًا يزيد من اشتعال الحطب، ثم يُحضر سكينًا ويذهب إلى الجدي الصغير الذي يرتجف؛ لينحر عنقه برقة وبشكل دقيق متذكرًا ما تعلمه سابقًا وما تعرض له، ليقطعه قطَعًا صغيرًا؛ فتتدفق الدماء منه كخيط شعاع شمس مستقيم، يضع قدميه على الجدي بقوة ليمنعه من الحراك والدماء تنطلق منه، ثم يضع عيدان القش أمام مسار السائل المتدفق: ليتحول لونهم جميعًا إلى اللون الأحمر بمجرد أن تنتهي حركة الحيوان المسكين، يتحرك جودفري من عليه ليمسك العيدان الدموية تلك ويشعلهم بالنيران، ثم ينتظر لقليل من الوقت إلى أن يشم رائحة مميزة؛ فيقول سريعًا وقد ساد الظلام عينيه:

- بنه راغلاست تيكماجين جادو جادو تيكماجين زره بدن پوهي جلاتشينا هغه ووژل شو راورل پاچا سوليمان بنه مينه خزشانه فنب سرتيري برتانويان خندا پاكول سيشمالان هارتو او مارت زه مينه لرم

يوگنىا يوگنىا پوكومانسى ﺷه راغلاست تيكماجين جادو جادو تيكماجين زره بدن پوهي جلاتشينا هغه ووژل شو راورل پاچا سوليمان ﺷه مينه خزشانه فنى سرتيري برتانويان خندا پاكول سيشمالان هارتو او مارت زه مينه لرم يوگنىا يوگنىا پوكومانسى...

يكرر الشاب ما يقول واللهب في العيدان السبعة يزداد، ورائحة دماء الجَدْي التي تغمره تخترق الأنف بقوة؛ حتى تنطفئُ مرة واحدة ثم يتبعها لهيب الحطب أيضًا. لحظات من الصمت المرعب وجودفري يترقب الأجواء في هذا الظلام الحالك؛ ليجد الخيمة تتخبّط وتُصدر صوتًا مفزعًا ناتج عن ارتطامها ببعضها البعض بفعل الهواء الذي اشتدّ. ظلٌّ.. لا لا.. بل ظلال تتحرك في كل مكان؛ حتى يرى الشاب أن الجَدْي الذي ذُبح كأنه يتحرك: فيُكرر الطلسم الذي كان يقوله والعرق يتصبب منه، ثم يشم رائحة غريبة ليست رائحة دماء الجَدْي، إنما رائحة لذوبان جِلدٍ: فيفزع ظنًا منه أن الرائحة تنبعث منه هو جراء احتراقه؛ فيلمس جسده يتفحصه مهرولًا، لكنه لا يشعر بوجود علامات حرق به، ثم يحسّ بوجود حركة أخرى خلفه، يلتفتُ سريعًا فيرى الجَديَ يذوب، لا يراه جيدًا بفعل الظلام، لكن لونه الأبيض يضمحِل أمام عيني،ه ثم وعلى غير ما يتوقع يشعر بيدٍ تلمسه، يسقط على الأرض ثم يعقُب سقوطه هذا اشتعال الحطب المنطفئُ منذ قليل، يقف جودفري والإعياء قد نال منه؛ فهو يعيش الآن لحظات من العذاب تنتهي برؤيته لظل غريب عنه على جانبه الأيسر، يلتفت مجددًا وهو يشهق مخرجًا نفسه بصعوبة، ثم وعلى غير ما توقّعَ يرى شكلًا مألوفًا عنده؛ فيصرخ وهو يرى تلك الرسمة.. هذا الثعبان وذلك العقرب ليقول داخله:

- إنه... إنه رجل المنصة.

جسر طويل يمتد على نهر الفرات الذي مِن صفائه تكاد ترى الأسماك وهي تسبح فيه غير مبالية بما يحدث فوقها. على الجسر يتواجد عدد كبير من البشر يهتفون باسم الوالي الجديد لبغداد السلطان مراد بعد دخوله لها عن طريق معركة استمرَّت لأشهر، وذلك في أيلول عام 1638م منهيًا بذلك وجود الإيرانيّين في البلاد. جالبًا معه اليهود الذين شكلوا نسبة ملحوظة في جيشه؛ حيث بلغَت أعدادهم قرابة العشرة آلاف رجل من أصل مائة وخمسين ألف جندي استطاع بهم تحقيق النصر، تجمّعَ عدد كبير من الناس على هذا الجسر لرؤية هذا السلطان الذي ذاع صيته في جميع الأنحاء، وقد اكتسبَ سمعة طيبة جعلَت أهل بغداد غير قلقين من تولّيه الولاية؛ لذلك هم يهتفون باسمه، ومنهم من هو ضد حكمه؛ لأنه يكره اليهود ويخشى نفوذهم في البلاد مع قدومه، يتخلّل ذلك الجمع عدد قليل من السيدات، لكن بينهم واحدة فقط لا تهتف، تكتفي بالنظر للجميع والتقدم من أجل رؤية تتويج هذا الحاكم، يستمر الحشد في التقدم والهتاف إلى أن يصلوا إلى منزل الوالي، وهنا تبتعد تلك السيدة عنهم لتقف في مكان منعزل وهي ترى مراسم الترسيم والتجمهر المحيط به. عندها تلمع عينا السيّدَة التي يتراوح عمرها ما بين الثلاثين فما فوق، لكنها تبدو كفتاة صغيرة لبراءة وجهها وجماله الأخّاذ ولعينيها الخضراء البارزة عن مقلتيها، بمجرد أن ترى أوجه اليهود بجانب السلطان حتى تقول والحماسة تملأها:

- اليهود الجبناء، لن أسمح لكم بالمضي قدمًا في هذه البلاد.

ثم تذهب على الفور تاركة هؤلاء الحمقى -على حدّ وصفها- لهم يهتفون ويهلّلون.

تمر الأيام والشهور وتشتد الأزمات بين أهل بغداد واليهود بعدما كانوا ينعمون بالرخاء والنفوذ الاقتصادي الكبير وحسن المعاملة.

يستمرون في ذلك، لكن تحدث بعض الأشياء الغير مفهومة، حوادث متفرقة دائمًا يكون طرفها أحدهم؛ ليشعر الجميع في القلعة باقتراب حرب أخرى. لكننا نترك منزلَ الحكم قليلًا وأبعاده التنافسية تلك لنذهب إلى بيت بعيد في منطقة "سبع أبكار"، منزل صغير به بعض الطعام والأثاث البسيط، أمامه أرض زراعية بها بعض الأشجار الصغيرة، وها قد هبط الليل عليه ليجعله كالذي يُسكَن من قِبَل الأشباح عند رؤيته، وأمامه هذه الأشجار المخيفة بحق. صوت رقيق يُسمع من الداخل لسيدة وهي تقول ضاحكة:

- يبدو أن مستواي قد فاق الحدود، ونجاحي فيما أفعله صار مسألة وقت فقط.

تذهب إلى زاوية داخل منزلها لتُزيح بعض الكتب القديمة، وتُخرج من بينهم مخطوطتي كُتب عليهما هاروت وماروت بحبر أسود عتيق؛ لتقوم بوضعهما على مائدة صغيرة وتجلس أمامهما. تُمسِكُ ريشة وتغمسها في الحبر وتبدأ في الكتابة عليهما، وكلما تعمَقَت في كتاباتها تلك تصبَبَت عرقًا، وتحوَلَ وجهها الجميل هذا إلى وجه غريب من سواده لا تكاد تُميزُه هل هي عجوز أم فتاة. تستمر في ذلك لمدة من الوقت، وأرجاء المنزل بالكامل يحدث به اضطراب موحش، لكنها تتوقف فجأة لسبب ما؛ لقد سمعت خطواتٍ منتظمة تدهُس العشب الموجود خارج المنزل، وأيضًا صوت حفيف جسد من يتحرك بالأشجار. تترك الريشة سريعًا وتُغمض عينها؛ فتتحدث دون وجود أحدٍ كأنها تُحدث الهواء، لحظات من الترقب وصوت الأقدام يقترب أكثر فأكثر مع ظلام الليل وأشباح الأشجار الموالية له. تعتقد أن من يقترب هذا ليس ببشر! لكن الغريب هو ثبات السيدة التي بالداخل، صوت طرقاتٍ على الباب يتبعه سكون تام، وبمجرد أن تنتهي من محادثتها الضبابية تلك تفتح عينها وتقوم في هدوء متجهة نحو الباب.

تضغط على المقبض لتفتحه؛ فتجد أمامها رجلًا متوسط الطول يرتدي عباءة سوداء ويمتلك شاربًا أسودَ اللون. عينان بنيتان وبشرة بيضاء كالثلج. شعره أسود طويل كظلام الليل الذي لا آخر له. بمجرد أن تراه حتى تحدّثه في رفق:

- من أنت؟ ولماذا أتيت إلى هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

يقول الرجل وهو ينظر لأعين السيدة مبتسمًا:

- أنا عابر سبيل قد ضللتُ طريقي، فما وجدت إلا هذا المنزل لأذهب إليه. فهل من مأوى لي هنا حتى الصباح فقط؟

- أنا هنا وحيدة، لكني لا أمانع استضافتك؛ فأنت على كل حال أول ضيف يأتي إلى هنا منذ سنوات.

يندهش الرجل صاحب العباءة، لكنه يتبع السيدة، التي تُحضر له كوبًا من الشراب الساخن لتتركه أمامه وتُكمل ما كانت تفعَله.

أثناء كتاباتها تلحَظ أن الرجل الجالس بجوارها ينظر للمخطوطَتَين وعيناه تلمع بشدة كالنمر الذي وجد غزالًا مصابًا. تترك الريشة وتنظر إليه قائلة:

- أرى أنكَ أعجبتكَ مخطوطاتي تلك.

وهو يرشف من الكوب الساخن يقول الرجل:

- قبل أن أجيبَ على سؤالكِ هذا أود أولًا أن أشكركِ على هذا الشراب، وأن أسألكِ كيف لشخص مثلكِ أن يجلس هنا في هذا المكان الموحِش وحيدًا؟ وأيضًا أن تقبلي بقدومي إلى منزلك بهذه السرعة دون خوف مني أن أكون لصًا على الأقل!

في غرور تجيبه:

- حسنًا، سؤالك هذا لن تجني منه شيئًا، لكن كل ما أستطيع إخباره لكَ أنني لستُ وحيدة؛ فلا تقلق.

- ماذا تقصدين؟ هل يوجد أحد في الجوار؟

- لا، أنا هنا وحدي، لكن صحبتي لن تستطيع أن تراها! دوري الآن في طرح الأسئلة، ماذا تفعل هنا؟

- أنا تاجر، أسافر لشتى البقاع، أعرض بضاعتي من الشمال للجنوب، ولكن هذه زيارتي الأولى لبغداد، ولذلك لم أُحسِن الطريق؛ فوجدتُ هذا المنزل فجئتُ طلبًا للعون حتى الصباح.

- لا تقلق؛ فشعبُنا متعاون لا يؤذي أحد، أنت هنا في حضرة الخير.

ينقطع الحديث مؤقتًا، ثم يكمل الرجل قائلًا:

- ولكني سمعتُ أن أحوال اليهود هنا تتغير قليلًا، ولا أحد يعلم السبب.

هنا تلمع عينا السيدة العراقية، ثم تقول:

- لا شأن لي: فأنا هنا بعيدة عن الحضَر، ولا أحبّذ معرفة أخبار أحد، أريد أن أعيش بهدوء إلى أن أرقد في سلام.

ثم تكمل ما كانت تفعل وهي تقول:

- عذرًا، لكن يجب أن أنهي ما أقوم به بسرعة.

يمر الوقت والليل يقارب على الانتهاء، السيدة تكتب والرجل يتفحَص الغرفة والكتابات وهو صامت.

- أخيرًا، قاربتُ على الانتهاء.

تقول السيدة ذلك وهي في غاية التعب.

- مباركٌ لكِ. حسنًا بعد أن لاحظتُ ما تفعلين أريد أن أكرر سؤالي عليكِ مرة أخرى. كيف تقولين أنكِ لستِ وحيدة؟

- صحبتي لن تراها؛ فلا ترهق نفسك بالسؤال عن أشياء بعيدة عن إدراكِك.

تقول ذلك وهي تبتسم، لكن ابتسامتها تلك تتحول إلى صدمة كبرى عند رؤيتها للرجل وهو يضحك قائلًا:

- أعرف هذا، لكني كنتُ أنتظر سماعه منكِ. أنتِ بالفعل لستِ وحيدة.

ليحرك إصبع السبابة مشيرًا به إلى سبعة أماكن مختلفة في الغرفة، والسيدة تلحظه وجسدها يكاد ينشق إلى نصفين من هول ما ترى.

تقول في صوت مرتعش:

- كَ كي كيف لكَ أن تعرف صحبتي هذه؟! وكيف تراهم؟!

يتجاهل الرجل الغريب سؤال المرأة له، وهو يقول لها:

- تُعجبني كثيرًا مخطوطاتكِ تلك، وما يدهشني أنكِ تكتبين باللغة السريانية؛ فهل تستخدمين سريانية قدماء مصر أم سريانية الراهب إسحاق المروزي؟ أو ربما سريانية الملائكة والجان؟

هنا تهتز السيدة من على مقعدها؛ لتقع على الأرض وتقوم سريعًا وهي تقول في صوت يملأه الغضب المصحوب بالخوف:

- من أنت؟ وكيف لك أن تعرف كل هذا؟! هيا تكلم قبل أن أجعلكَ ترى ما لم تَرَه يومًا.

الرجل الغريب:

- هل تقصدين بذلك ما فعلتيه باليهود والمسلمين هنا؟ وكيف أنكِ كنتِ وراء كل ما يحدث؟ أم أنكِ تقصدين كُرهَكِ لهم بسبب اليهودي الذي قام بقتل صديقك ومحاولة اغتصابك؟ ومنذ تلك اللحظة وتحولتِ لمَا أنتِ عليه الآن، أليس ما أقوله صحيحًا يا وداد بنت الشبيبي؟

بمجرد أن ينطق اسمها حتى تصرخ فيه وداد:

- من أنتَ؟ كيف تعرف اسمي؟! وكيف تعرف كل هذا؟! إن لم تتكلم الآن وتقول ماذا تريد مني أقسم أنني سأجعلكَ ترى الموت قبل أن تموت، والجان ولعنتهم التي ستحوّل جسدك إلى رماد، أمامَكَ دقيقة لتقول كل شيء.

- حسنًا حسنًا يكفي مهاترتي معكِ وتهديداتكِ السخيفة تلك. أنا أريد ما تُخفيه، أريد الصندوق.

وداد متوترة تقول:

- امممم ما ماذا تق تقصد؟! أي صندو هذ؟! أقصد أي صندوق هذا؟

- لا ترتبكي هكذا، أنتِ تعرفين جيدًا مقصدي، إذا أردتِ معرفة من أكون فأولًا أجيبيني أين هو الإرث (الإرث من الجان)؟

***

"يُعلن مطار القاهرة الدولي عن وصول رحلة الطائرة القادمة من بغداد الساعة الثانية عشر ظهرًا".

تهبط الطائرة المُعلَن عنها مسبقًا لتستقر عجلاتها ويُفتح بابها من أجل نزول المسافرين، يستمرون في المُضيّ حتى يأتي صوت نسائيّ رقيق قادم من مضيفة الطائرة لأحد المغادرين قائلة:

- مع السلامة يا فندم، إحم أقصد مع السلامة يا رئيس مُسعَد.

يرمقها الشاب الثلاثيني بنظراته مبتسمًا؛ ليذهب وهو يُحرك أمامه عجوزًا يجلس على كرسي متحرك، ويتبعه شخصان؛ أحدهما رجل قوي البنية لا تظهر عيناه من النظارة السوداء التي يرتديها، والشخص الآخر فتاة ذات شعر أصفر ذهبي ترتدي فستانًا قصيرًا، وتملك عينين زرقاوين، وعلى شفتيها الكثير من ذلك الطلاء الأحمر، تنزل تلك المجموعة متخذة طريقها إلى خارج المطار، وفي انتظارهم سيارة باهظة الثمن، يستقلونها منتقلين إلى وجهتهم التالية؛ قصر غامض في حي من الأحياء الهادئة بالمعادي، تنطلق بهم بسرعة إلى أن يصلوا أخيرًا إلى بوابة القصر الذي يقف عليه حارس هزيل، يقوم بفتح البوابة عند رؤيته للسيارة الفخمة، التي تقف بعد اجتيازها لطريق الحديقة الطويل.

يتقدم مُسعد ممسكًا الرجل العجوز الراقد على الكرسي المتحرك، وكما السابق يتبعه الفتاة والرجل الضخم.

- بعد عشر سنين يا رنا، أخيرًا عدتُ إلى مصر مرة أخرى.

يقول ذلك مسعد وهو يبتسم.

- حمدًا لله على سلامتك يا رئيس، مصر نوّرت بِيك.

يقول الرئيس وهو يسير للداخل:

- لا يا رنا.. هنا لا يوجد نور، فما زالت كما هيَ، بالإضافة إلى أنني لا أريد المكوث بها كثيرًا، ويجب علينا تنفيذ المطلوب قبل سبعة أشهر من الآن.

- ماتقلَقش.. أنا عملت خريطة كاملة لكل المقابر الموجودة هنا، وقريّب قوي هنقدر نوصل للي عايزينُه، المهم إننا عايزين غطاء لكل اللي هنعمله، واللي لحد دلوقتي لسّه مش محضَّرَة ليه حاجة.

- رائع، خصوصًا أنه بعد موت نظمي وانتحار إيمان بسبب طلسم سيشا لا يوجد أحد غيرنا للقيام بهذه المهمة، ولا تخشَي فكرة الغطاء: فأنا أعرف ماذا سوف أفعل.

تقول الفتاة وهي متحمسة لمعرفة الرد:

- لحد دلوقتي معرَفْش سبب إنك تخلَّصت من إيمان، مع إنك كنت تقدر تستغلّها أكتر من كده، وانتَ عارف قدراتها في التحضير كويّسة.

- لا، هذه الحمقاء كانت السبب في دخول دكتور حامد المنظومة، وأيضًا منذ ظهور شباب الجامعة هؤلاء وكل شيء تغيّر؛ لذلك وجب عليّ قتلها، نحن هنا نلتزم بخريطة، ومن يحيد عنها لا يلومَنّ إلا نفسه.

- طيب والدكتور ده، تفتكر عرف الحقيقة قبل مايموت؟

- لستُ على يقين بذلك بعد، لكن ما أستطيع الجزمَ به أنه مات وأسراره ما زالت على قيد الحياة في انتظار النور للظهور.

تقول رنا وقد بدا على وجهها القلق:

- لأول مرة يا رئيس ومن بداية شغلي معاك لسنين طويلة عندي شعور بالقلق، وإنه مفيش ثقة إننا هننهي الخطوة دي من غير خساير، كمان عشان مانعرَفْش أي معلومات عن سعفان ده واللي حصل جوّا المقبرة الأخيرة، حتى ومع جنودك وخدمتك اللي مالهُمش مثيل، كل الحاجات دي بتأكّدلي إننا هنمر بحاجات أصعب من اللي شوفناها في العراق.

يقول مسعد وهو ينظر لأنحاء القصر دون أن يبدو على وجهه أية علامة من علامات القلق:

- رنا، هل لنا أن نستريح أولًا من مشقة السفر؛ لأنه يتوجّب عليَ أيضًا أن أحلَ لغز هذا القصر اليوم قبل بزوغ الفجر؛ حتى لا نموت جميعًا قبل أن تبدأ مهمتنا، ثم سنجلس مطولًا ونضع كل الافتراضات سويًا.

يدبَ الفزع في قلب رنا، ثم تقول:

- قصدَك إيه؟! وليه اختَرْت القصر ده أصلًا من الأول طالما هو خطَر كده، والغريبة إن الخدمة بتاعتي واقفين برا ومش قادرين يدخلوا، أنا افتكَرْت إنه شيء عادي وهينتهي، لكن بكلامك ده مش هعرف أنام النهاردة.

يقول مسعد وهو يضع يدَيه على كتف رنا:

- لا تقلقي: فأنا لا أترك أتباعي يموتون، ودون أسئلة أخرى أريدكِ أن تتصلي بجميع الأشخاص الذين كانوا على علاقة مع نظمي، ثم تقومين بدعوتهم جميعًا إلى هنا مساء الغد.

تقول رنا وهي تبتسم بعدما أحست بالأمان:

- أمرك يا رئيس، سأبحث عنهم وأُحضِرُهم إلى هنا.

- حسنًا الآن، كل شخص منكم يذهب لاختيار غرفة له من الغرف العديدة الموجودة بهذا الطابق فقط دون الذهاب للطابق الثاني، وكلامي هذا لا مجال للنقاش فيه، الطابق الثاني محظور، وأنا سيكون معي صديقي العجوز هذا.

تهز رنا رأسها دلالة على الخضوع، ثم تقول:

- آخر سؤال... مش هتقولّي مين الراجل ده اللي بتاخدُه معاك في كل مكان من الوقت اللى اشتغلت معاك فيه؟! أنا حتى مش بشوفه بيتكلّم خالص أو أي دليل على إنه بيسمع، بشوف بس نظراته المخيفة.

يكتفي مسعد فقط بالنظر إلى رنا في غضب التي يتعرق وجهها؛ فتسحب حقيبتها وتجري بها تجاه الغرف تبحث عن غرفة لها، ووراءَها الرجل الضخم صاحب النظارة السوداء.

بعد أن يستقر الجميع يتحرك مسعد وهو يدفع الرجل المسن الغامض هذا أمامه، ويذهب إلى غرفة سفلية موجودة في الطابق الأرضي للقصر تاركًا جميع الغرف التي بالأعلى، يُغلِقُ الباب جيدًا ثم يفرغ أمتعته ويضعها في نظام داخل المكان المخصص لها؛ حيث أنه لا يحب الفوضى أبدًا، ثم يوجّه نظره للرجل الذي على الكرسي قائلًا:

- إنك لغز كبير للجميع، لا أعرف لماذا يصرّ سليمان النجار على جعلك معي طوال الوقت وهو يعرف أن من يراكَ سيشكّ فيك لا محالة؟! ولماذا يصرّ على أنه يجب أن أحدّثكَ بالفصحى دائمًا؟! أنت حتى لا تتكلم! لكني عرفتُ القليل عنك، وما عرفته جعلني لا أعرف من هو الرئيس هنا! لكن لا تقلق؛ أعتقد أنه بقدومنا هنا سنعرف الكثير عن كل ما هو شائك، هيا يجب أن تنام الآن؛ فبعد كل شيء أمامنا الكثير لنفعله، هيا يا صديقي قُصيّ.

يستقر الجميع في غرفهم، ويهبط الليل على مسعد الذي ينهض من فراشه ويتوجه خارج غرفته، لا حركة توجد في القصر، الجميع نائمون والسكُون هو المسيطر على الأجواء، ينظر مسعد للأعلى وعلى وجهِهِ تبدو علامات الجد، يصعد درجاته بخطًى ثابتة إلى أن يصل للدور الثاني، وهنا يرى مشهدًا عظيمًا له وطبيعي لأي فرد غيره؛ فهو يعرف أن بهذا الطابق لغز إن لم يحلّه فسينتهي أمره وأمرُ من معه، يُحرّك مسعد شفتَيه كأنه يحدث شيئًا ما خفيّ قائلًا:

- جميع القوى والسحر يبطُل هنا، حتى الجان لا يستطيع الدخول للقصر! نحن فقط لعظيم قوتنا نتواجد سويًا معًا؛ لذا نحن الوحيدون القادرون على فعلها وحل لغز القصر الذي مات فيه كل من سكنه كأنه لعنة من قام ببنائِه.

- جميع عشائر الجان يا سيدي تخشَى هذا القصر، ولا يجرؤ أحد على الدخول، لكن بسبب العهد المختلف الذي بيننا استطعتَ النفاذ؛ لذا سأحميك مهما كلّفَ الثمن؛ فموتك يعني نهايتي.

يرد مسعد وهو يسير متأملًا لهذا الطابق:

- انظر جيدًا لترتيب الغرف هنا وتلك التماثيل، لم أرَ في حياتي شيئًا كهذا، لم يتبقَّ لنا الكثير من الوقت، سأصمت وسنفكر حتى نتوصل للحل.

تمر ساعة والوقت يضيق على مسعد ومن معه، الذي يتجوّل ويقوم بفتح الغرف؛ ليجد أي دليل يوحي إليه ما يحدث هنا، ثم يزداد سماعه لأصوات مخيفة لا يعلم من أين تأتي، ووسط كل ما يحدث يقلِبُ مسعد رأسه يمينًا ويسارًا ينظر لتتابع أرقام غريب وغرف غير متصلة، يحاول أن يفترض بعض النظريات، لكن دائمًا ما تقع قبل أن يصل للحل، وبعد تفكير وضغطٍ يصيب رأسه بالألم يصيح قائلًا:

- لا أصدق، حل هذه الأرقام لا يكمُن في الترتيب إنما في التفصيل.

ليُخرج ورقة من جيبه وقلمًا ويبدأ في إجراء بعض الحسابات وهو ينظر للتماثيل أيضًا، ثم يقول مجددًا وعيناه تشعّ حماسًا:

- ما هذه العبقرية المفرطة؟! الآن علمتُ لمَ مات الجميع هنا ولم يستطِع أحد حل لغز هذا القصر؟ لقد عرفتُ السر، ولم يتبقّ لنا الآن سوى معرفة كيفية الصعود للطابق الثالث، وحينها سينتهي كل شيء.

يرد عليه الجان المصاحب له قائلًا:

- حقًا صدق سليمان النجار في جعلِكَ الرئيس، فمع قدرتنا نحن الجان لم يستطِع أحد فهمَ ما قمت به، ما أعظمك يا رئيس!

أضواء كثيرة تأتي من فلاش كاميرات لصحفيِّين يقتحمون منزلًا في محافظة المنصورة، على أبوابه تجد تجمّعًا بشريًا لسكان العمارة، وداخله عدد من قوات الشرطة يحيطون بالمكان محاولين بصرامة منعَ الصحافة من تصوير ما يوجد في الداخل، بعد الشريط الذي تضعه القوات ترَى ممرًا طويلًا وعليه بقعٌ من الدماء يزداد بشدة كلما اقتربْتَ من الحمام الموصَد، ومشهد الدماء المتواجدة أمامه تُدخل في قلب من يراه الرعب، نتجاوز الباب حيث يوجد على الأرض جثة هامدة لشاب في مقتبل العشرينات صَريحًا فاقدًا لحياته إثر قطعٍ غائر في رسغه الأيمن، عاش على أثاره لحظات من العذاب قبل أن يلقَى حتفه.

صوت هاتف يرنّ؛ فينظر الجميع إلى مصدر الصوت، فيخرج صاحب الهاتف بسرعة من الموقع ليرد على هاتفه.

- ألو... أيوَه يا مسعود أنا رشدي.

مسعود في غيظ يقول:

- أهلًا بصديقي القديم، أستأذنك بس أنا مشغول دلوقتي في قضية، ممكن أكلّمك بعدها.

- لا لا أنا مش هاخد من وقتك كتير، أنا كنت شُوفت مقالتك عن قضايا الانتحار الغريبة اللي بتحصل وعايز أبلّغَك إني دلوقتي في شقة أحد الضحايا دول.

حينها يبدأ مسعود الصحفي، الذي اشتُهر بعد قضية مقبرة الضبعة التي تورّط فيها نظمي باشا ورفاقه، في الانتباه لكلام صديقه، الذي يكمل قائلًا في عجلة:

- أنا حاليًا بصوّر الجثة، والغريب إن أهل العمارة اللي ساكن فيها الشاب المنتحر بيقولوا إنه كان سعيد جدًا في حياته ومفيش أي سبب يخليه ينتحر!

في اندهاش يرد مسعود قائلًا:

- تمام، بس إيه اللي حفّزَك إنك تتصل بيّا، هل عشان كدَه بس ولّا فيه حاجة تاني؟

- أكيد فيه، وهو ده اللي خلّاني أكلّمك: الجثة دي لشخص اسمه محمد تاج الدين كاتب مقالات رعب في جريدة محلية، مش ملاحظ إنه قريّب من الحالات اللي سبق واتكلِّمت عنها؟

بمجرد أن تُقال هذه الجملة حتى تهتزّ يدُ مسعود، يبلع ريقه وهو يُغلق الهاتف غير مصدّق؛ فهو أيضًا أمام جثة أخرى لرجل كان يشتهر بأمور السحر تلك، ملقاة على الأرض في مشهد ينأى له الجبين.

يبحثُ مسعود سريعًا على هاتفه عن أنباء الانتحار على موقع الصحفيّين الخاص به؛ فيجد عددًا كبيرًا من الأخبار عن حوادث انتحار لأشخاص بينهم عامل واحد مشترك؛ وهو أن جميعهم قاموا بالكتابة عن أدب الرعب أو مارسوا السحر، دجّالين كانوا أو سحرة بحقّ. تستمر الصدمات على مسعود الذي توقّفَ عقله عن التفكير وهو يحدث نفسه:

- كيف من الممكن حدوثُ كل هذا في توقيت مقارب؟ كيف لهؤلاء أن ينتحروا بهذا الشكل الشنيع؟ هل هذه حوادث قتل؟ لكن لا لا.. إنهم لا يعرفون بعضهم البعض، علاوة على أنهم من محافظات ودولٍ مختلفة، ما يحدث حقًا سيجعلني أُجَنّ، لكن لا بأس.. سأتتبّع خيوط تلك القضية الجديدة؛ فأنا أرى فيها مجدًا كالذي جنَيتُه من وراء مقبرة هذا الفتى سعفان.

يترك مسعود المكان ليستقل سيارته الجديدة مغادرًا إلى الجريدة؛ حيث يعمل وهو مُحاط بالكثير من الغموض.

في قرية أشمون بمحافظة المنوفية سيدة عجوز ترتدي رداءً باليًا، تجري وهي تتخبّط في المارة خائفة، وراءها مجموعة من الأطفال يرمونها بالحصى وهم يغنّون في نشوة قائلين:

- العبيطة جات العبيطة جات.

كل هذا وسط أنظار أهل القرية الذين يكتفُون فقط بالمشاهدة والضحك، أو ربما الامتعاض ولو قليلًا.

- سبحان الله! شايف يا طاهر اللي بيحصَل في الست دي؟

- آه شايف يا عصام، دي ست مجنونة يا عم، يلّا بينا على مشوارنا بس، مش فاضي أنا أتفرّج على العيال وهما بيهيّصوا عليها.

يمسك عصام صديقه وهو يقول له:

- استنّى بس، انت فعلًا مش عارفها؟ ركّز كدَه.

- يا ابني بقولّك يلّا بينا، هعرف منين أنا الأشكال دي؟

وهو يبتسم يرد عصام قائلًا:

- لا انتَ تعرفها وكويس كمان، دي كانت أشهر واحدة في البلد.

هنا يبدأ طاهر في التركيز في وجه السيدة التي تجري وهيَ تستنجد بالناس الذين يدفعونها في استياء قائلًا والصدمة تتملّكه:

- مش معقول! دي الشيخة انتصار.

- بالظبط هيَ... شوفت اللي حصلّها بقَت عاملة ازاي؟

يقول طاهر والدهشة تحيط به:

- أنا مش مصدق! ازّاي بقت زي الستات المجانين كده بعد ماكانت أشهر ساحرة في البلد.

عصام ضاحكًا:

- تلاقي الجن عملْها معاها ولّا حاجة، انت عارف السكة دي آخرها يا الموت يا الجنون، قام الجن خلّاها اتعفرتت.

- على رأيك، وماتفكّرنيش بالأيام بتاعتها الله لا يعيدها. فاكر لما قولتلي هيّ دي اللي هتجيبلَك أمنية ومكشوف عنها الحجاب وبتاع، أهه من ساعتها والبنت طارت خلاص.

- وأنا مالي؟! ما كل البلد كانت بتروحلها وبتعمل معاهم المُراد، انت اللي فقري، وبعدين انت مش خطَبْت خلاص؟ انسَى أمنية والقرف ده، دي بنت متكبّرة، انت مش هتذِلّ نفسك عشان واحدة يا صديقي وانت من عين أعيان القرية.

- عندك حق والله، وخطيبتي بتحبني، بس احنا الرجالة كده نموت ورا اللي تجرّينا وراها، بس أهِي راحت.

وهو يسرع في خطواته يقول عصام:

- هههههه طيب يلّا بينا نلحق المولد... يلّا.

يُخيّم الليل على القرية ويبدأ أهلها في الاختفاء من الشوارع، والأصوات في السكون إلى أن تضمحِل تمامًا قبيل منتصف الليل، إلا العجوز انتصار ما زالَت تتخبّط في الطرقات لا تعرف إلى أين تذهب وإلى أين المفر؟ تستمر في المُضيّ قدمًا حتى تصل إلى مقابر القرية التي توجد على الطريق تدخلها؛ فلا ملجأ لها إلا الأموات! فالأحياء جميعهم لا يقبلون بها ولا أحدٌ يُريد أن يتلطّف بها، حتى الفتى الذي كان يعمل معها سابقًا انقلَبَ عليها وصار يستهزئُ بها متناسيًا أيامه معها. تدخلُها وهي خائفة، تلتفتُ يمينًا ويسارًا ويقشعرّ جسدها عند سماعها لأصوات الذئاب القادمة من مكان لا تعهده، لكنها مضطرة إلى الذهاب للمكان الذي تنام فيه؛ فقد اتّخذَت لنفسها من المقابر سكنًا ومأوى.

تسير وسط الأموات كما تفعل كل يوم، وأثناء سيرها تسمع صوتًا غريبًا مختلفًا تمامًا عن أي صوت حيوان محتمل أن يكون بالجوار. تنظر خلفها ثم تشعر بحركة سريعة أمامها. تقف جامدة لا تتحرك وتصرخ كالمجانين إلى أن تهدأ لعدم حدوث شيء. تُكملُ طريقها المشؤوم هذا. وقبل أن تصل للبقعة التي تسكن يتكرّر الصوت مجددًا ولكن بشكل أوضح وأكثر رعبًا. لا تستطيع تمالك نفسها لتقرّر الركض في الاتجاه المعاكس. لكنها ترى أشباحًا تخرج من الأرض. يتراءى لذهنها أن هذه هي أرواح من ماتوا تصعد الآن، وأثناء ذلك ظلٌّ خفيٌّ من ورائها يتحرك ويلامس جسدها الذي يتصنّم؛ لتقع على الأرض. تُحوّل نظرها مرة أخرى في كل مكان حولها تحت ضوء خافت في ظلام الليل الموحش المخيّم على أموات القرية. ويستمر هذا المنظر المخيف في جعلها تُجَنّ أكثر فأكثر. وهي تسمع كلمات متعددة مثل: أغيثونا. الموت. تعالَي. لماذا أنتِ هنا؟ هل أنتِ مثلنا؟! ارحلي. إلى أن ومرة واحدة يُمسكُها ظلٌّ بقوة ليعصر جسدها البالي وهي تزيد في صراخها من الألم. وصوت مألوف يقول لها:

- ألم تشتاقي لي يا فتاتي الجميلة؟

تنظر العجوز التي وصل بها الخوف لأقصى مراحله. ثم تفتح عينها وهي تقول بصوت يرتعش:

- م مَن ساااانوخ.

- لا وقت أمامي، في الطريق إليكِ الآن ذئبٌ عظيم أنيابه حادة، وأنا لست بحال جيد حتى أقوم بالعراك معه. توجهي إلى المنزل القديم.. سأنتظرك هناك.

تسمع انتصار تلك الكلمات؛ فتومئ برأسها في خوف؛ لتنطلق سريعًا إلى الخارج وهي ما زالت تسمع أصوات الموتى ينادون عليها.

بعد مدة من السير والإرهاق المصاحب له تصل انتصار إلى المنزل القديم، المنزل الذي شهِدَ العديد من الأحداث، تتذكر فيه كلّما تقدمت خطوة إلى الأمام أمجادها، وكيف كانت سيرتها وسط أهل القرية؟ وكيف كان الناس يتقاتلون عليها من أجل فَقَط الدخول لها؟ لتنظر إلى حالها الآن وترثي لذلك نفسها، تتقدّم حتى تدخل غرفتها القديمة المهجورة، وتنتظر تَحدُّث سانوخ لها، وبالفعل لا تستغرق الكثير من الوقت حتى تسمع صوت رفيقها القديم يتحدث إليها قائلًا:

- اشتقتُ إليكِ كثيرًا يا انتصار.

تجهش العجوز بالبكاء وهي تقول:

- كيف يا سانوخ.. كيف تركتني هكذا؟! لقد ناديتُكَ كثيرًا وقمتُ بكل الطلاسم المكنة للوصول إليك ولم أستطع، كيف تتركني لما عانيته من إهانة وألم؟!

يقول الجان في صوت حازم:

- أنتِ تعرفين جيدًا أنني لم يكن عندي خيارٌ آخر؛ فبعد كل ما حدث وَجِبَ أن أتركِكِ، لكنني عدتُ الآن.

- وما ذنبي أنا في كل هذا؟!

- ذنبكِ كبير؛ فأنتِ منذ لحظة قدوم هذا الفتى سعفان لكِ بصحبتِه تلكَ وصرتِ عبئًا كبيرًا على العشائر، جُن جنونك وبالغتِ في تقديركِ للعهد المُتّخذ بينك وبين عشيرتك، معتقدة أنهم لن ينقلِبُوا عليكِ أبدًا، وكل هذا من أجل ماذا؟!

يعم الغضب انتصار؛ لتقول وهي تسير في أنحاء الغرفة:

- سانوخ، أنت تعرف جيدًا ماذا فعلَ هذا الفتى؟ وكيف أنني كُسِرتُ وقد أقسمتُ منذ أول حادثة أن ذلك لن يُكرر؟

- حسنًا، لكن كل محاولاتكِ لتعقّبه لم تُفيد حتى فَعلتِ فعلتكِ المحظورة تلك متجاهلة كل تحذيراتي.

- يا ابن إبليس، ما كان لي إلا هذا؛ لكي أستطيع الوصول إليه..

حينها يصرخ سانوخ؛ ليجلجل كل الجان والحشرات الذين انتفضوا من هول صوته قائلًا:

- هذا لا يعطيكِ الحق لاستخدام طلسم ساميراس.

لحظات من الصمت والخوف؛ لتتحدث انتصار قائلة:

- أستمحيك عذرًا.. لقد عرفتُ خطأي، وما حدث لي بعدها من مَسٍ وجنون من جميع عشائرك كفيلٌ أن يجعلك تغفر لي.

يصمت سانوخ قليلًا لانزعاجه الشديد من انتصار، ثم يقول:

- أنا لم أغفر لكِ، لكنني عدتُ لسببٍ آخر.

تندهش انتصار، ثم ترد مسرعة:

- وما هو السبب الذي جاء بكَ بعد كل تلك المدة؟ لا أُصدق أنك أشفقتَ على حالي.

- لا.. ليس شفقة، بل ستعودين لممارسة السحر، وسنُعيّن لك مجموعة من صفوة عشائرنا.

تتوقف العجوز عن الحديث للحظات، ثم تقول:

- لكن لماذا؟ لقد نقضتُم العهد ولعنتموني، لماذا تلك المميزات فجأة؟!

- أنتِ معرفة سابقة، ولا يرضيني تركك هكذا وموتكِ بسبب خطأ واحد؛ لذا -وبعد نقاش مع الجان- استطعتُ إقناعهم بأهميتك، وتم

اتخاذ القرار. انتصار.. ستنتقلين إلى القاهرة قريبًا. حضّري نفسكِ لذلك.

- اا ا الـ القاهرة! لكن لماذا؟!

- لأن القربان تم. المقادير قُدّرَت والأحكام ما لها من فرار.

تستمر دهشة العجوز وهي تقول:

- ماذا تقصد؟! من الذي فُعِلَ له كل هذا؟

- ستعودين إلى مجدكِ. لأنه تم إقرار الحكم من جان الهيكل. سعفان يجب أن يموت.

***

في مكان مُوحِش وعلى أرض مهجورة يتحرك رجل مُلثّم بحركات سريعة منتظمة على الرغم من حملِهِ لثقلٍ بين يديه. يستمر الرجل المجهول في السير. ولا يُكمل بضعَ ثوانٍ إلا وهو يلتفت خشية أن يراه أحد. على الرغم من عدم وجود علامات في هذا المكان أنه يعيش به أناس من الأصل. فقط العقارب والثعابين وربما كائنات لا نراها. تمضي نصف ساعة والرجل ما زال في تحركاته تلك. إلى أن يصل إلى باب منزل صغير يدفعه بقدميه بقوة؛ فيُفتح على الفور. ثم يدخل واضعًا ما يحمله على منضدة خشبية في منتصف الغرفة ويُغلِق الباب سريعًا.

هذا المنزل الصغير يتكوّن من غرفة واحدة بها منضدة في المنتصف. وأريكة بجانبها قرمزية اللون. ركن صغير كُتِبَ عليه (حمّام للكبار فقط)، ركن آخر به بعض أدوات المطبخ ومستلزماته البسيطة. وأخيرًا كتب كثيرة متراكمة فوق بعضها البعض ومخطوطات ترجع لعصور قديمة.

يقوم الشخص المجهول بفكّ الأربطة عن ما وضعه على المنضدة حتى يتخلص منها جميعًا؛ لتكشف عن هوية ما يحمل بعد زوالها. إنه جسد مليء بالوشوم الغريبة. إنه جسد دكتور حامد. يقوم الرجل بإحضار عدسة مكبرة وسكينٍ صغيرٍ، ثم يُقرّب العدسة من أطراف الجسد ويبدأ في وضع خطوط من الدماء عليه مستخدمًا السكين الحاد. ليس هذا فقط إنما أيضًا على نهاية كل وشم يضع هذا الخط الناتج عن تمزيق الجسد الساكن المتواجد أمامه. يستغرق في هذا العمل الشاق خمس ساعات وهو يقرّب العدسة ليرى جيدًا المواضع الصحيحة للخطوط. ثم يستخدم السكين لفعلها بحذر وبطء. إلى أن ينتهي وقد تصبّبَ منه الكثير من العرق. يترك ما بيديه فرحًا ثم يقوم بإعداد كوبًا من الشاي الساخن وهو يتفحص المخطوطات فحصًا دقيقًا حتى يجد مراده، يجلب إحداها ويستمر في رشف الشاي متلذّذًا بذلك. وهو يقول جُمَلًا غريبة يبدو أنها طلسم للسحر. يقرأه إلى أن ينتهي منه في نفس الوقت الذي ينهي فيه كوب الشاي.

لحظات من الصمت.. ومرة واحدة يسمع صوت طرقات على الباب يهزّ كل أركان المنزل الصغير. إلا الرجل المجهول! الذي وبكل ثقة -وفي ظل استمرار الطَّرق- يذهب لإعداد كوبًا آخر من الشراب. بعد عدد منها ينخلع الباب من مكانه كأن إعصارًا ضخمًا أزاحه. تمر لحظات أخرى والبشري المتواجد بالداخل يقف والكوب الثاني في يده، وهو يقول:

- تأخرتم. الجثة أمامكم. هيا تصرّفوا.. لا وقت عندي.

بعد أن يقول هذه الجملة تشعر بوجود هواء ربما يتحرك. أو ظلال تشعر بها على الحائط: لتقف أمام جسد الدكتور حامد الذي وُضِعَ على المنضدة. ثم ترى عليه آثار أيدٍ لها مظهر غريب تتفحّصَه دون أن تراها. فقط تعرفها من خلال العلامات التي تظهر على

الجسد؛ لتتوقف بعد فترة ليسَت بالقليلة، يهمس صوتٌ قادمٌ من العدم في أذن الرجل المحب للشاي هذا، الذي ينفجر غضبًا بعد سماعه لكلمات الجان المُتحدث إليه قائلًا:

- كيف؟! كيف لرجل جامعيّ أن يتفوق علينا جميعًا؟ كيف بعد أن استغرَقتُ وقتًا طويلًا في تحديد علامات الفحص لكم أن تفشلوا في حل لغز الوشوم تلك؟ من هو دكتور حامد؟! وكيف استطاع الكشف عن كل هذا؟! اعتقدتُ أنني بأخذي جثته سوف أملك الحلّ والوشوم السبعة المحصنة، لكن هيهات! تأتون لي الآن وتخبرونني أنكم لا تفهمون كيف فعلها على جسده، وأنا كنتُ أقول أنني أمتلك أقوى عشائر الجان.

يهمس له العدم مرة أخرى؛ فيُمسك الرجل المجهول غطاءه ويُلثم به وجهه مرة أخرى تاركًا المنزل وهو يقول:

- حسنًا خذوه عندكم، وحافظوا على الجثة جيدًا كما كنتم تفعلون قديمًا أيام أجدادنا.

ثم يغادر على الفور.

***

على مقهى جميل به العديد من التجمعات البشرية من شباب ترَفٍ يتبادلون الأحاديث فيما بينهم، أو تجمّع لشاب وفتاة يُحبّان بعضهما البعض.. يتغزل بها وهي فرحة، دون أن تعرف كم يعانى داخله كثيرًا للمبلغ الكبير الذي سيدفعه من أجل الجلوس معها فقط في مكان مثل هذا! لكنه يُظهر لها مدى سعادته للتواجد معها، وقد بلغ النفاق أقصاه! وأيضًا تجمع فتيات وهن يقُمْنَ بالغناء لصديقة لهنّ بمناسبة عيد ميلادها، ويتسابَقْنَ في تقديم الهدايا الواحدة تلو الأخرى قائلين تلك العبارات: كل سنة وانتي طيبة يا قلبي، كل عام وانتي بخير يا

روحي، النهاردَه أحسن يوم عشان اتولدتي فيه، يقولون هذا وداخل بعضهن حقدٌ دفين للفتاة المحتفِلَة بيوم ميلادها، لكن هذه هيَ عادة تلك الأماكن: التجمع في المناسبات وإظهار عكس ما تُخفي السرائر.

في مكان منعزل عن كل هذا وبعيد عن الجميع يجلس ثلاثة أشخاص، شاب وفتاتان، يأتي لهم رجلٌ مهندمٌ لأخذ طلباتهم، قائلًا في تهذيب:

- اتفضّل يا فندم تشربوا إيه؟

- لو سمحت عايز فنجان قهوة فرنساوي مظبوط واتنين عصير فراولة فريش.

- تمام يا فَنْدِم.

يذهب تاركًا الشاب الذي يقول:

- أنا مش مصدق إني أخيرًا شُوفتِك يا ندا.. ده سمَر كانت هتقتلك لو ماخرجتِيش معانا النهاردة.

تقول ندا ويبدو على وجهها الضيق:

- معلش يا أحمد.. انتَ عارف اللي كان بيحصل وازّاي كل عريس كان بيجيلي بتحصلّه حادثة ويروح، لحد ماقرَّبْت أحس إني نحس.

- لا يا ندا ماتقُوليش كده، انتي بس عشان بنت حلال وتستاهلي.

تُعقب سمر على كلام زوجها أحمد الذي كتب كتابه عليها وفي انتظار الفرح قائلة:

- ندا، سيبك من أحمد، هو دايمًا كده بيحبّ يستفز أي شخص، قريب قوى ربنا هيكرمك بزوج صالح، وماتفكّرِيش في الكلام ده كتير.

في ابتسامة مصطنعة:

- حاضر يا سمر، ربنا يخلّيكي، دايمًا بتدّيني دفعة للأمام مش زي الأفندي ده.

تحضُر الطلبات، ويبدأ أحمد في شرب قهوته الساخنة، ثم يسأل ندا قائلًا في ترقب:

- بتكلّمي سعفان يا ندا؟ أنا بقالي مدة كبيرة معرفش عنه أي حاجة وقلقان عليه جدًا.

بمجرد أن يذكر أحمد اسمَ صديقه حتى يهتز كوب العصير في يد سمر، التي تنظر له متعجبة لماذا تذكره الآن؟!

تجيب ندا وهي تتذكر الماضي الذي تناسته:

- لا يا أحمد.. أنا بسبب اللي بيحصلّي ده انقطَعْت مدة كبيرة، وسعفان معرفش عنه أي حاجة بقالي شهور كتيرة، هو لسّه لحد دلوقتي ماطلعش من صدمة موت أصحابنا؟

- على الأغلب لا، أنا عارف طبعًا إنه اللي حصل كان مأساة بكل المقاييس، بس الحياة بتمشي وكلنا أهُه عرفنا نخرج من القصة دي، هو بس عاطفي شوية! بس أكيد هييجي اليوم اللي ينسَى فيه ويكمل حياته، بس لو عرفتي توصليلُه يا ريت تقوليلي عشان عايز أكلمه حقيقي.

- أحمد، ممكن ننسَى سعفان بقى ومشاكله وحياته العجيبة دي، كفاية قوي اللي شوفناه بسببه واللي عملناه كمان عشانُه، أنا مش مستعدة للصداع ده تاني، يا ريت خلاص، وكلنا لازم نقطع علاقتنا بيه.

تقول ذلك سمر في غضب.

تقول ندا وهي تؤيد كلام صديقتها:

- معاكي حق يا سمر.. احنا عملنا عشان سعفان كتير، بس مش لدرجة قطع العلاقة، بس مابِيقاش شاغلنا قوي، كده كده أصلًا كريم الله يرحمه هو السبب في إنه يدخل الشلة بتاعتنا رغم إنه مش من مستوانا، وفعلًا يا أحمد كلام مراتك صح.

ينظر أحمد لهما في تعجب، لكنه يكتفي فقط بذلك مُمسكًا كوب القهوة الخاص به رافعًا إيَّاه على فمه.

***

نرجع مرة أخرى إلى قرية الشيخة انتصار، ولكن هذه المرة إلى منزل الحاج عبد الحميد؛ حيث الأفراح وطلقات النيران، رجال كثيرة أمام البيت ونساء في الأعلى، والجميع تسبِق أفواههم كلمة واحدة: ألف مبروك.

يحتفل الحاج وأسرته بابنتهم أمنية التي أنهَت دراستها وظهرت نتيجتها مُعلنة عن دوام تفوقها، وأنها صارت قريبة من التعيين معيدة في كلية الصيدلة، في الأسفل يتوافد الكثيرون من أجل تهنئة الحاج عبد الحميد، وكعادة أهل القرى الجميع يحبّ المجاملة في الفرح؛ خصوصًا لشهرة هذا الرجل الكبيرة، وفي الأعلى النساء تجلس وهنّ يشرَبْن الشربات لتُهنّئ كل واحدة منهنّ الأم واضعات أيديهن على الشفاه؛ ليصدر صوتٌ يستأنِس به الجميع، يُطلق عليه (الزغرودة)، مشاهد من الفرح والسعادة يغيب عنها فقط صاحبة ذلك الحدث. يغيب عنها صاحبة الشأن أمنية! فهي لا توجد في الأسفل مع والدها، ولا حتى في الأعلى مع والدتها، إنما في غرفتها تجلس وحيدة مستمعة إلى كل هذا الصخب غير قادرة على الخروج رغم سؤال الجميع عنها! لكن الأب والأم يُجيبان أنها ليسَت في المنزل، إنما سافرت إلى القاهرة عند أحد الأقرباء.

بعد الانتهاء من يوم شاق مليء بالأحداث يصعد الوالد حيث تجلس الأم على الأريكة واضعة يديها على وجهها موجهة نظرها إلى الأسفل، وابنه خالد يجلس بجانبها يشاهد حلقات الكارتون على التلفاز سعيدًا بذلك.

يجلس الحاج عبد الحميد بجانبها وهو يقول:

- مالك يا أم خالد بس؟! ليه الحزن ده؟! المفروض النهاردة يوم سعيد علينا كلنا.

- أفرَح ازّاي وبنتك بقالها فترة متغيرة ومش راضية تطلع من أوضتها؟ ولا حتى تشوف صاحباتها.

- هيَ أمنية كده مابتحبَش الحاجات دي، وبعدين لو فيها أي حاجة كانت قالتلنا على طول، واحنا سألناها كتير.

الأم في غيظ تقول:

- برودك ده بيعصّبني، خليك كده كل حاجة تبسطها.

يضحك الحاج عبد الحميد قائلًا:

- طيب يلّا قومي حضّريلي الشنطة، انتي مش عارفَة إني مسافر مدة طويلة المرادي؟

- حاضر، وهتقعد كام يوم في بورسعيد؟

- كام يوم! قولي كام أسبوع، المرادي فيه بضاعة كبيرة وشغل كتير لازم أخلصه هناك، هياخد مش أقل من شهرين.

تتفاجأ الأم بهذه المعلومة قائلة:

- شهرين بحالهم يا حاج؟! انت عمرك ماقعدت كده في سفريّة.

- طيب يلّا عشان ميعاد القطر قرّب، وأنا هدخل أشوف بنتك قبل ما أمشي.

يقول ذلك وهو يبتسم لها.

يطرُقُ الوالد باب غرفة ابنته، ثم يدخل عليها يجدها على الفراش محاطة بالظلام، فيما عدا ضوء خافت قادم من أحد الزوايا، يقترب منها ثم يُحدثها برفق قائلًا:

- أمنية يا بنتي، مش هتسلّمي على أبوكي قبل مايسافر.

تنتفض الفتاة من على فراشها وهى تقول:

- بابا انتَ هتسافر خلاص؟ أنا آسفة معلش إني نسيت.

يقول الأب بصوت حنون:

- مايهمّنِيش كل ده، المهم انتي كويّسة؟ أمك قلقانة عليكي وأنا مش عايز أسيبكم وأنا قلقان.

- لا لا كويسة جدًا الحمد لله، سافر يا بابا ماتقلقْش، انتَ عارف ماما طيبة ودايمًا بتقلق، ولو على إني ماخرَجْتِش للناس النهاردة فانت عارف الستات ورغيهم، وأنا الصراحة بيجيلي صداع.

تقول ذلك أمنية وهي تبتسم متصنعة ذلك.

يقول الحاج عبد الحميد وهو يُخفِض صوته:

- عندك حق.. هيّ أمك اتعلّمِت الرغي غير من بَعْدِ معرفتهم.

- بقى كدة؟! طيب هقولّها.

- بس يا بنت، دي ممكن تمنع عنّنا كلنا التموين وناكل بعض في الآخر.

وسط ضحك الأب وابنته يمر الوقت سريعًا، وها هو الحاج يأخذ حقيبته المثقلة بالعديد من الأشياء بعد أن أعدتها له زوجته؛ ليودّعهم تاركًا إياهم لكي يلحق بقطاره؛ فقد تأخّر كثيرًا.

بعد أن يذهب تعود أمنية مرة أخرى إلى غرفتها وظلامها المعتاد، وبعد قليل من الوقت تجد والدتها تدخل عليها وتجلس بجانبها على الفراش قائلة في حرص وقلق:

- أمنية يا بنتي، قوليلي مالك؟ أنا أمك وعارفاكي كويس.. انتي مش طبيعية ووشك أصفر.. بقى دي أمنية اللي كل الناس يتمنّوا بس يبقوا زيّها!

- يا ماما مفيش حاجة فعلًا، هو إرهاق بس.

- لا ماتخبّيش عليّا، قوليلي فيه إيه؟

ومع إلحاح الأم ووهن ابنتها يفيض الدمع من أمنية وهي تلقي برأسها على كتف والدتها التي تحتضنها حتى تهدأ.

- بصراحة كده يا ماما أنا فعلًا متضايقة، ومعايا موضوع مش عارفة أخلص منه ازّاي.

الأم في قلق تقول:

- موضوع إيه؟ خير؟ قوليلي يا بنتي.

- بس توعديني الأول بابا أو أي مخلوق مايعرفش، عشان عارفاكي.

- أوعدك.

- أنا بتحصل معايا حاجات غريبة ومش فاهماها، بقى يجيلي صداع متكرر فجأة مرة واحدة، وأول مايجيلي زيّ كأني بعرف إن

حاجة وحشة هتحصل لراجل أو ست أو حتى طفل. وفعلًا مابكمّلش دقيقة وألاقي اللي متوقعاه حصل، مثلًا أعرف إن الشخص ده في خطر، مفيش ثواني ألاقيه عمل حادثة ومات. أو إني أعرف العربية اللي قدام الكلية هتنفجر، وأمشي بعيد عنها وتولع زي ماتوقّعت بالظبط، وغير كده كتير.

- أنا مش مصدّقة اللي بسمعه ده يا بنتي.

تقول ذلك الأم في دهشة يصحبها خوف دفين تحاول إخفائه.

- وأنا أكتر، أنا حياتي مابقتش طبيعية. غير الأحلام اللي بشوفها.. أنا مش عارفَة كل ده بسبب إيه؟!

- لا أنا من بُكرَة هوديكي لشيوخ يعرفولي مالك، ممكن يكون سحر! الناس هنا يعملوا أكتر من كدَه.

تُصدم أمنية لما تسمع، ثم تقول:

- سحر؟! أنا كدَه خُفت يا ماما، مين ممكن يعملّي حاجة زي دي بس؟!

- نروح للشيوخ وهما يعرفوا، نامي انتي دلوقتي وسيبي أمك هتحل كل حاجة.

بالفعل أيام قليلة وتبدأ الوالدة وابنتها في الذهاب وقصد الكثير من أصحاب الحلول، في بادئ الأمر ذهبوا للشيوخ في سرية تامة. يقرأون القرآن على الفتاة ويختلف تفسيرهم لما يحدث معها؛ فتارة شيخ يقول أنه مَسّ، وآخر يقول أنه سحر قديم، ثم ثالث يستطرد أسبابًا أشبه بالخيال، كل هذا وأمنية قابعة في المنتصف بينهم لا تدري ما هو الصواب؟ فقط تزداد بؤسًا وحالتها تتدهور أكثر، حتى تلجأ مع والدتها لشيوخ أقوى وأكثر تأثيرًا من مختلف الأماكن غير مدركين أنهم يذهبون

لأناس أبعد ما يكونوا عن الصلاح، إنما منهم السحرة، ومنهم من يقول الأكاذيب حتى وإن كان الحل عنده. شهر متواصل والأسباب تزداد واليأس عند الفتاة يتمكّن منها أكثر، حتى تقرر الانقطاع عن الجميع والجلوس في غرفتها المظلمة، تبكي تارة أو تنام تارة أخرى، وأمها تشاهدها متأسفة على ابنتها لا حول لها ولا قوة.

في القصر الكبير مسعد.. رنا... العجوز على كرسيه المتحرك.. والرجل القوي، يجلسون سويًا في الساحة لمناقشة ما سيفعلون من أمور هامة.

- يا رئيس، عملت كل اللي أمَرْت بيه، أرسَلْت ميل رسمي للخمس شخصيات اللي كان نَظَمِي شغال معاهم وبيشاركهم الأخبار، واليوم مساءً هيكونوا في القصر، وكل ده في سرية تامة، نبّهْت عليهم واستجابوا، يعني تقدر تعمل اللي انت عايزُه.

- جميل، وأنتَ يا بشير تعرف ما عليك فعله.

يومئ بشير برأسه دالًا على الاستجابة لأوامر رئيسه؛ لتقطع ذلك رنا قائلة:

- هو لازم تعمل اللي قُولت عليه النهاردة واحنا لسّه مانعرفش كتير عن المكان ده؟! أفتكر إنك ممكن تستنّى شوية قبل التنفيذ.

تقول رنا ذلك وهي لا تدري ما قام به مسعد بالأمس؛ فقد كانت نائمة، ولم يخبر الرئيس أحدًا بما حدث.

مسعد:

- أنا أعرفُه بالقدر الذي يكفيني لتنفيذ مهمة اليوم، ولا جدال في هذا، لدينا ميعادٌ محدد سننهي فيه الأمور.

- تمام، طيب ممكن أعرف هتعمل إيه؟

- لا يهم، ستعرفين حينها.

كل هذا يحدث والرجل العجوز ساكن مكانه لا يقول شيئًا ولا يلتفت لأحد.

تمر ساعات قليلة ويأتي الليل بظلامه المعتاد، ويتحول القصر لمسكن رعب؛ فهو يتكوّن من ثلاثة طوابق والكثير من الغرف، يتخلّله عواميد عديدة نُقِش عليها رسومات غريبة، دهاليز متعددة وسرداب في الأسفل، ثم تجد على حوائطه لوحات لوجوهٍ لا ملامح لها، على مقدمة كل دهليز في الطابق الثاني صنم ضخم لتمثال على هيئة حيوان له قرنان، ثم في نهاية الدهليز شعاع من الضوء الذي لا تعرف مصدره، لكن لونه يتغيّر من الحين للآخر. وما بين البداية والنهاية أبواب فضية مرقّمة باللغة الإنجليزية. أما الطابق الثالث للقصر فهو ظلامي تمامًا لا يذهب له بشر، ولم يسكنه أحد من سنين عديدة.

الساعة الآن التاسعة مساءً.. يبدأ توافد الخمسة أشخاص، تستقبلهم رنا فقط والخدم الذين تم جلبهم من أجل هذا اليوم، حتى يتواجد الجميع في ساحة القصر السفلية، ثلاثة رجال وامرأتان، وهم على ترتيب وصولهم؛ رجل متوسط الطول يتراوح ما بين الأربعين والخمسين.. أصلع.. يرتدي سُترة سوداء شديدة الغلاء، تعرف ذلك من مجرد النظر إليها، يُدعى (سامي الخديوي)، يرأس إحدى الشركات القومية الكبرى في البلاد. سيدة قصيرة الطول.. كبيرة في العمر.. تضع على كتفها وشاحًا حريريًا، ملامحها تبدو أصغر من سنها من كثرة المكياج الموضوع على وجهها، تُدعى (مديحة الحنتبلي)، صاحبة محل ملابس مشهور في إحدى الأحياء الراقية في القاهرة. شابة حسنة المظهر خمرية اللون.. ترتدي بنطالًا وقميصًا قصيرًا.. تضع غطاءً على رأسها يخرج منه بصيلات عديدة من شعرها ذا لون ذهبي، تُدعى (لارا). رجل عجوز يتكئ على عصاه للمشي.. عيناه ضيقتان.. يعمل لواء سابق في الداخلية، لكنه أحيل على المعاش، يُدعى (زكي الفتوحي). وأخيرًا شاب رشيق البنية حسن المظهر، حاد الملامح، وعلى رغم صغر سنه إلا أنه رجل أعمال ناجح ومشهور في مصر وخارجها، يُدعى (أمجد راضي).

يجلس هؤلاء الخمسة على الأرائك الباهظة الثمن الموجودة في الساحة، ويُقدَّم إليهم المقبّلات والعصائر تحت إشراف من رنا منتظرين

الرئيس الذين لم يرَوْه من قبل، بعد قليل من الوقت صوتُ أقدام يتحرك إليهم؛ فيترك الجميع ما يمسكونه في أيديهم ويوجّهون أبصارهم إلى مصدر الصوت؛ حتى يُكشف أخيرًا لهم شكلُ رئيسهم. وهنا تعتلي وجوههم الصدمة، يجدونه شابًا في الثلاثينات على عكس توقعاتهم أنه رجل كبير قوى ذو شأن رفيع.

- أهلًا بكم جميعًا، أنا مسعد.. أو على الأحرى الرئيس مسعد، وأنتم الخمسة فقط مَن لكم شرف مقابلتي ومعرفة وجهي، وهذا لا يحدث، حتى نَظْمي نفسه لم يرَوجهي يومًا أو يسمع صوتي.

لارا في تهكم تقول:

- ماكُنتِش أعرف إن الرئيس اللي يسيطر على كل ده هو شاب في عمرك كده.

يعقبها العجوز زكي الذي يقول منفعلًا:

- ازّاي انتَ الرئيس؟ وازاي نظمي وافق إننا نشتغل تحتك؟ مستحيل اللي شايفُه ده.

العجوز مديحة مازحة:

- عندكم حق، ده حتى بُصُّوا على البدلة بتاعته.. ماتلقش بشخص في المكانة دي.

- انت مستحيل تكون الرئيس، انت أكيد نصاب!

تخرج تلك الكلمات اللاذعة من سامي الخديوي.

ثم يصمت الجميع؛ ليتوجه مسعد بنظره إلى أمجد قائلًا:

- وأنت أما لكَ من حديث مثلهم؟!

أمجد مبتسمًا:

- لا أنا مش مصدوم ولا متفاجئ إنك شاب: لأني أنا كمان في سنك تقريبًا ووصلت لمكانة مابوصَلْهاش حد في البيزنس. بالنسبالي الأمر عادي، ومتأكد إنك الرئيس فعلًا من مجرد ظهورك بس.

بنظرة إعجاب يقول مسعد:

- جيد. يبدو أن هذا الشاب هو الأذكى والأفضل من بين الحمقى المتواجدين هنا.

بمجرد أن يقول هذا حتى يستشيط البقية صياحًا وغضبًا، يتركهم قليلًا من الوقت، ثم يسمعون صوتًا غليظًا لا يستطيعون تحديد مصدره يجعل الرعب يدبّ في قلوبهم؛ فيصمتوا وأعينهم بارزة موجهة إلى مسعد، الذي يقول في ثبات وهو يخرج صورة من جيبه ويُظهرها أمامهم:

- هل تعلمون مَنْ هذه السيدة التي لاقَت حتفها؟ إنها إيمان مُساعِدَةُ نظمي، أين هم الآن؟ إنهم موتى، ولماذا هم موتى؟ لأنهم عارضوا الرئيس، ومن هو الرئيس؟ إنه أنا. كلمة أخرى وسوف تلحقون بهم! هل عند أحدكم اعتراض أيها الحمقى؟

يصمت الجميع. فقط يكتفون بالنظر إلى الأمام غير قادرين حتى على التنفس بأريحية؛ ليُتبِع مسعد كلامه قائلًا:

- سأكرر ما قلته سابقًا. بعدما رأيتموني وتشرفتم بهذا؛ فإنه قد حان الوقت للحديث عن سبب هذا الاجتماع ولماذا أنتم هنا. تم اكتشاف تسعَ مقابر جديدة.

فيضطرب الجميع عند سماع هذا الرقم الضخم. ليكمل مسعد قائلًا:

- لكن في البداية أريد منكم كتابة اسم شخص واحد فقط تثقون فيه ويعرف ماهية عملكم الخفي هذا ورقم هاتفه. وستعطي مساعدتي رنا كلًا منكم ورقة وقلمًا لفعل ذلك.

وبالفعل يكتب الجميع ما أمرهم به مسعد، الذي يكمل حديثه:

- لا أظن أنه من اللائق أن يكون أول اجتماع لي معكم بهذه الجدية؛ لذا سأترككم مع رنا، ستهتم بكم وستقدم لكم أشهى المأكولات العراقية، ثم ستذهبون إلى غرف تم تجهيزها لكم في الطابق الثاني للقصر، وغدًا في الصباح الباكر سيتم وضع أماكن المقابر أمامكم للبدء في العمل.

لارا تقول سريعًا:

- بس احْنا ماقُولناش لحد إننا هنقعد هنا، أنا كنت فاكرَه إنه اجتماع وهنمشي.

بصوت صارم يقول مسعد:

- هل تريدين المقابر أم لا؟ ومن يريد أن يغادر فليعتبر نفسه من الآن خارج هذا الجمع للأبد.

ترد لارا والقلق يبدو عليها خيفة من طردها:

- تمام فهمت، ممكن سؤال تاني: هو انت ليه بتتكلم باللغة العربية كأننا في مسلسل عربي قديم؟

تقول ذلك ضاحكة.

- ليس من شأنك، سأغادر الآن؛ فلدي عمل هام لأجلبَ لكم الخرائط صباحًا، سهرة لطيفة.

يترك مسعد ضيوفه ثم يتوجه للخارج وهم يقضون الوقت في القصر سعداء بما تفعله مساعدة الرئيس معهم، أكان ذلك في الأكل العربي الشهيّ أو الفقرات التي أدهشتهم؟ حتى ينتصف الليل ويبدأ البعض منهم في الشعور بالنعاس، وخصوصًا العجوز زكي الذي يسمع الجميع صوت فمه وهو يخرج صوتًا مزعجًا يدلّ على نوم صاحبه.

وبعد الكثير من الضحك يطلب الجميع من رنا أن تُوصِلَهم إلى الغرف الخاصة بهم؛ لتقوم الفتاة بالنظر فقط إلى الخدم بداخل القصر ليختفوا في الحال. يرى الشاب الذكي أمْجَد هذا الموقف؛ فيتعجب، لكنه يُخفِي ملامح وجهه ويصمت.

تقول رنا مبتسمة:

- اتفضّلوا.. دي أرقام الغرف بتاعتكم في الدور الثاني.

تقول مديحة:

- انتوا كمان محضرين لكل شخص مننا رقم أوضته؟ لا مسعد ليه حق يبقَى الرئيس.

ثم يهز الجميع رأسه بالموافقة. فيما عدا أمجد الذي يزداد تعجبه، وهذه المرة لم يستطع إخفاء قلقه.

***

يأخذ الضيوف مفتاح الغرف الخمسة. وعلى كل مفتاح لُصِق به ورقة كُتب عليها رقم، وهم كالتالي: 2 & 4 & 9 & 16 & 40. وقد أخذ أمجد الرقم 40. يصعدون على الدرج ورنا تتقدمهم حتى يصلوا إلى الطابق الثاني؛ ليروا عددًا كبيرًا من الغرف المتَراصة بجانب بعضها البعض. وفي الأسفل سجاد أسود عتيق له مظهر خلاب. لا يشوب هذا المنظر سوى تلك التماثيل المرعبة واللوحات الغريبة التي توجد على الجدران. في بداية الأمر يستغرقون بعض الوقت في البحث عن أرقام الغرف؛ فتعدادهم يقارب العشرة، لكن أرقامهم عشوائية، وفي النهاية يدخل كل فرد عبر الباب الفضّيّ، والجميع سعداء بهذا التنظيم وفخامة الأثاث بالداخل.

عند الرقم 40، وتحديدًا بالداخل، يجلس أمجد على الفراش وهو في قلق شديد. يُحدّث نفسه قائلًا:

- لا أعرف ما هذا الشعور الذي ينتابني تجاه ذلك القصر وهذه الغرف؟ ولماذا هذا الترتيب العجيب؟ وما السر وراء تلك الأرقام؟! لا لا، أظن أن في الأمر شيء جلَل، يجب عليّ أن أخرج وأكتشف ماذا يحدث هنا؛ فطريقة كلام مسعد وثقته الغير مبررة بنفسه وكشفه السريع للأمور يجعلني أشك أن هذا القصر مريب.

وبالفعل يخرج الشاب من الباب في هدوء تام، يلتفتُ يمينًا ويسارًا ليرى الضوء الذي يتغير لونه باستمرار في نهاية الممر. يمشي إليه ببطء، وقبل أن يصل إليه يسمع أصواتًا غريبة مرعبة قادمة من الأعلى، لا يصدق ويرتجف قلبه، ثم يهرول مسرعًا إلى غرفته مرة أخرى، لكنه وقبل أن يفتح الباب يقرر الذهاب لكل غرفة يوجد بها صحبته والاطمئنان عليهم عن طريق التصنت من الخارج، فمن الممكن أنهم في علة ما؛ فيبدأ في ذلك حتى ينتهي عند غرفة لارا وهو يسمعها تتحدث في الهاتف إلى صديق لها، أو بالأحرى حبيب خفيّ تخبره أنها قادمة إليه في الغد لقضاء وقت ممتع معه، يذمّها في سره، ثم يقرر العودة مرة أخرى بعدما اطمأَنّ أن شكوكه لا محل لها، وقبل أن يذهب يتحجّر في مكانه ويتصبب عرقًا وهو ينظر إلى الغرف كلها في آن واحد، عيناه تتحرك بسرعة في كل الاتجاهات، يتأكد بأن هنالك خلَلٌ ما، وأن جلوسه هكذا من الممكن أن يسبب له كارثة، نفسُه تتصارع ما بين إخبار الجميع بقلقه هذا أو السكوت والتحرك بمفرده؛ لأنه قد يهزأ به الجميع، وبعد تفكير يتحرك إلى الغرفة رقم 39، يُسرع في فتحها لكنه يجدها محكمة الغلق، هنا يبدأ عقله في استنتاج أن بالغرف شيئًا ما، ثم يُخرج آلة حادة من جيبه ويبدأ في المحاولة مرارًا وتكرارًا إلى أن ينجح أخيرًا، يدخل سريعًا ويُغلق الباب من ورائِه، ويُضيء

النور: ليُزيح الظلام القاتم ويُصعق مرة أخرى. يجد الغرفة رديئة جدًا لا يوجد بها إلا سرير صغير في حالة مزرية ولا أثاث. يتخذ من الفراش البالي مقعدًا له ويفكر مرة أخرى:

- مستحيل! أنا متأكد أنّنا في خطر محدَق. إن عدد الغرف بالخارج عشرة وترتيبهم: 0، 2، 3، 4.8، 9، 15، 16، 39، 40. الغرف التي نوجد بها نحن تأخذ شكل الـ i z g z a g ، وهذا غريب، لماذا لا توجد غرفة واحدة تخصنا بجانب الأخرى؟ فقط الغرف الخاصة بنا متقابلة. لكن هذا الترتيب العجيب واختيار الأرقام بهذا الشكل لا أفهمه. كلما حلّلتُ تسلسُلَ رقم وآخر وراءَه ظهر رقم في المنتصف أزاح بفكري وخرّبَ تسلسلي، ما السر وراء هذه الأرقام؟! إن الرئيس هذا ذكي بحق. لكن ماذا يخبئ لنا؟ ماذا يخبئ لنا؟! سأُجَنّ! حسنًا إذًا.. سأجلس هنا حتى الصباح. لن أتحرك أو أنام. ثم ما هذا الضوء الغريب؟! وما تلك الأصوات التي سمعتها من الأعلى؟! أنا حتى غير قادر على رؤية درَجٍ آخر يؤدي إلى ذلك الطابق، كما أنني لا أستطيع النزول للأسفل. فكل ما أفكر به محض افتراضات إن كنتُ مخطأً بها فمن الممكن أن أُقتَل هنا. سأجلس وستمر الليلة وأعود إلى حياتي، فقط بضع ساعات.

أثناء جلوس الشاب وهو ينظر إلى الأرض يسمع صوتًا غريبًا خافتًا، يدقّ قلبه سريعًا ثم ينظر إلى ساعته باهظة الثمن: ليجد أنها تقف على الواحدة صباحًا. يقف الصوت لحظات. ويبتسم أمجد على تخيلاته تلك، ومرة واحدة يرى انعكاس ظلال كثيرة تتحرك بالخارج وصرخات مدوية قادمة من الغرفة رقم 16 التي توجد بجانب غرفته الـ 39 على نفس الاستقامة، يسمع أصواتًا تقول: لاااااا، الحقوني، عفاريت عفااااااريت. وأمجد يسمع كل هذا وعقله قد توقف عن التفكير وجسده تسمّرَ عن الحركة. فقط بروز عينيه وبداه التي

ترتجف بشدة، نصف ساعة كاملة في هذا الرعب وهذه الكلمات، يقاطع ذلك أقدامٌ متسارعة تبدو أنها لارا وهي تصرخ وتبكي؛ لتسقط على الأرض أمام غرفة أمجد فيرى سائل أحمر يتسرب إلى غرفته. وهو يثبت نظره إلى منظر الدماء المتدفقة وعيناه تكادان تنبثقان للخارج. تمر نصف ساعة أخرى والسكون التام يسود أرجاء المكان؛ فيستجمع أمجد قواه، يقف على قدميه ويحركهما ببطء شديد حتى يصل إلى الباب وهو يقف على الدماء، يفتحه ليشم رائحة شديدة القبح. يضع منديلًا على أنفه وينظر للخارج؛ فلا يجد سوى الدماء، ينطلق نحو الغرف الأربعة يفتح كلًا منها؛ فيجد الفراغ فقط مصاحبًا لهذا السائل الأحمر الذي لا نهاية له! قلبه يكاد أن يتوقف من هذه المناظر والروائح النفاذة. ثم يسمع صوتًا قادمًا من غرفته الغرفة رقم 40. قلبه يريد أن يقف وعقله يجره إلى هناك؛ ليجد نفسه أمام الغرفة ممسكًا مقبضها فيفتحها وهو يصيح ليجد نفسه أمام نسخة بشرية مشابهة له في هيئة بشعة وغاضبة. يدقِّق النظر في نفسه التي يراها دون مرآة. ولا يتحمل عقله كل هذا؛ فيسقط مُغشى عليه.

الساعة الآن الثامنة ليلًا.. الطقس حارٌّ به الكثير من الرطوبة التي تجعل الجسد يصرخ يريد أن يتحرر من تلك الملابس التي عليه. أناس كثيرة تملأ شارع طلعت حرب في وسط البلد. فاليوم هو الخميس والكثير من العامة يخرجون في ذلك اليوم. في منتصفه تجد فتاة صغيرة تصرخ في والدها قائلة:

- أنا عايزَه أيس كريم شوكولاتة يا بابا، مش عايزَه فانيليا بتاعة ماما دي أووووف بقى.

فيحملها الأب ضاحكًا، ويضعها على كتفه وهو يقول لها:

- أمرك مجاب يا روح بابا.

والأم تشاهد ذلك وفي داخلها الكثير من التعجب على ابنتها المتمردة تلك، لكنها ترضخ لها في الأخير. ثم على الجانب الآخر شاب في بداية العشرينيات يتجول بجانب فتاة قصيرة على وجهها ملامح الطفولة البريئة، يُحدثها عن أحدث الأفلام السينمائية الحالية، وأنه يريد أن يصبح ممثلًا مشهورًا، والفتاة بجانبه تنظر إلى لمعان عينيه قائلة وهي تضع الفيشار في فمها:

- هتتقدملي امتى يا عبده؟

ثم هذا الرجل العجوز الذي يتكئ على عصا خشبية متهالكة تمشي بجواره امرأة مقاربة له في العمر وهي تُمسك بيديه، قائلة في لطف:

- فاكر يا سامح زمان لما كنا شباب وكنت تخرّجني هنا؟ أيام ما الشوارع كانت فاضية وكنت تجيبلي كازوزة وترمس ونتمشّى على النيل.

ليرد الرجل قائلًا في ضعف:

- لا مش فاكر غير إنك كنتي بتضربي 3 أطباق كشري لحد ماخربتي بيتي.

فتضربه المرأة مازحة على رأسه ويُكملان طريقهما سويًا.

وأخيرًا على بداية شارع طلعت حرب يظهر شاب يمشي مهرولًا يتخبط في المارة، ملامحه توحي بأنه في كرب شديد. يُمسك في يده صورة لفتاة جميلة. أثناء هرولته تلك يدخل كل محل لبيع الملابس يقابله، ويقول في لهفة وصوت متقطع سريع:

- لو سمحت شوفت البنت اللي في الصورة دي قبل كده؟

ليرد عليه البائع قائلًا:

- لا يا فندم ماشوفتهاش.

يتكرر هذا المشهد كثيرًا والشاب لا ييأس، إنما يزداد إصرارًا لتحقيق هدفه والوصول إلى نتيجة حتمية، وأثناء ذلك يدخل إلى أحد المحلات الصغيرة لبيع الساعات؛ ليُحدث الرجل الذي يجده بالداخل قائلًا:

- لو سمحت البنت اللي في الصورة دي شوفتها قبل كده؟

يقول البائع:

- لا مش متذكر، أنا برضُو بيدخلّي زباين كتير ومش هفتكرهُم كلهم.

الشاب:

- شكرًا لحضرتك.

ليهم بالخروج؛ فهو لم يصل إلى أية نتيجة كالمعتاد، ليصدم بصوت يقول له:

- أيوَه جات هنا من كام يوم اشترَت ساعة ومشيِت.

يلتفت الشاب إلى مصدر الصوت وهو لا يُصدّق ما يسمعه؛ ليجده طفل صغير السن يجلس على كرسي مرتفع يمتلك ملامح غريبة.

الشاب:

- انت متأكد؟ البنت اللي في الصورة دي جات هنا؟

الطفل:

- أيوَه من 5 أيام يمكن جات على الساعة ستة ماكانش حد في المحل غيري، كانت بتدور على ساعة رجالي وادّتلَها الساعة اللي وراك دي ومشِيت على طول.

- طيب ماسابتش رقم تليفونها.. عنوان... بطاقة، أي حاجة؟

- احنا محل ساعات مش قسم بوليس.

- آه آسف آسف، طيب انت ماتكلّمتش معاها أو قالتلِك أي حاجة؟

يتدخل البائع في الحديث بصوت ينمّ عن غضبه وقلقه من الشاب قائلًا:

- استنّى يا إسلام، انت عمّال تسأل فيه كده وأنا معرفش انت مين؟ وبتسأل عنها ليه؟!

الشاب:

- حضرتك أنا أخوها وهي متغيّبَة بقالها فترة عن البيت وبدوّر عليها.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، يا رب تلاقيها.

ثم يُكمل الطفل حديثه قائلًا:

- هيّ اتكلّمِت معايا وادّتني شيكولاتة، وقالتلي إن اسمها رضوى.

هنا يدق قلب الشاب بسرعة والعرق يبدأ في التساقط من جبهته، ليقول مسرعًا:

- أيوَه فعلًا هيَ. أنا مش مصدق، طيب طيب ده رقم تليفوني إذا جَات تاني أو شوفتها يا ريت تتصل بيَا.

وهو يمسك هاتفه يقول الطفل:

- أسجِّلَك باسم إيه طيب؟

- سجّلني باسم سعفان، أستاذ سعفان.

يترك سعفان المحل وعقله لا يستوعب ما يحدث، ثم يبدأ في التفكير محدثًا نفسه التي أنهكها التعب قائلًا:

- لا أصدق... أربعة شهور من البحث بعد مكالمتها تلك عند منزل الشيخ عبد الجليل، أربعة شهور وأنا أتصل بذلك الرقم كل يوم وأجده مغلقًا، أربعة شهور من السير في الطرقات والذهاب للمستشفيات والأقسام وجميع الدكاكين، وأخيرًا أجدكِ يا رضوى، أخيرًا أتأكد أنني لستُ بمجنون وأنكِ على قيد الحياة. لا أعرف حتى كيف حدث ذلك؟ لقد رأيتُ هذا الجان وهو يقتلك، ثم رأيت والدك مشلولًا ومقبرتك، لكني على يقين الآن بأنكِ نجوتِ بطريقة ما، فقط القليل لأجدكِ، أشعر بأنكِ قريبة جدًا مني.

بعد ذلك اليوم تمر ثلاثة أشهر أخرى وسعفان يبحث ويتصل بالرقم المغلق دائمًا، ينتظر هاتفه يرن لربما يكون الطفل الذي ترك له رقمه، وخلال ذلك يُهيَأ له في العديد من المرات أنه قد رأى رضوى بالفعل، وعندما يجري ليراها لا يجد أحدًا! صار عقله مشتتًا وروحه غير سوية، لكنه في النهاية يقرر الاستسلام: فقد تعب ولا أمل له في إيجادها، إنما كل ذلك هذيان، لكنه يعود ويتذكر كلام الطفل؛ فيخفق قلبه حتى يقرر في الأخير الذهاب إلى قبرها، يقف أمامه ونظره موجه إلى الأسفل لا يستطيع أن يرفعه ولو قليلًا، قائلًا في حسرة وصوت يملأه الحزن الشديد:

- رضوى، أنا معرفش انتي أصلًا سامعانى ولا لا. وهل انتي توفاكي الله فعلًا ولا لسّه عايشة. أنا عارف إني غلِطت، بس والله ماكُنت فاهم كل ده، ولا أعرف إني ممكن أكون السبب في إنك تموتي، أنا يا رضوى حتى مش عارف أنا حبِّيتك فعلًا ولا حبِّيت عطفك عليَا. أنا كل اللي متأكد منه إن سعفان التافه بتاع زمان راح، يمكن يكون مات مكانك. سعفان عمره ما اتفرج على فيلم رعب حتى، فجأة كده تتقلب حياته كلها وتعاويذ وحاجات غريبة أنا عمرى مافكّرت حتى أسمع عنها. حتى لما عملت الطلسم ده كنت فاكره بيفتح أي حاجة أو هيوصّلني للي جوا الصندوق. كنت عايز أتجوّزك ومعرفش أنا بعمل إيه، بس أقسملك يا رضوى إن حقّك هرجّعه، وعم شوقي هجيبه. أنا خلاص مش هدوّر عليكي تاني، انتي أكيد في قبرك بتقابلي رب كريم. حاسس إني بعاند القدر وربنا لما بقول إنك لسّه عايشة! بس اللي أقدر أوعدك بيه إن أنا من النهاردة هدوّر على شوقي وهدعِيلك كل يوم، موتك مش هيعدّي كده يا أنضف شخص قابلته في حياتي.

يمسح سعفان دموعه التي بدأت في التجمع على عينيه، ثم يقرأ الفاتحة ويُغادر وقد قرر إغلاق صفحة رضوى إلى الأبد.

***

في قسم المعادي يجلس الرائد حسام على كرسيه وأمامه على مكتبه العديدُ من الأوراق التي تخصّ قضية أنهاها حديثًا، وبعد الاطلاع على بعض الأمور يُغلق الملف ويتكئ بظهره إلى الوراء، يُغلِقُ عينيه ثم يتحدّث إلى نفسه قائلًا:

- ملف قضية أخرى ينتهي عن طريقي، يبدو أنني بالفعل ضابط ماهر للغاية لا يستطيع أي مجرم مهما عظم صيته أن يهرب من مطاردتي له، سأصير وزيرًا للداخلية إن أكملتُ على هذا المنوال، حلم جميل وبالتأكيد أستحقه؛ فمَن غيري يكون لمثل هذا المنصب؟!

وبينما الرائد حسام منغمرٌ في تفكيره مُغمَض العينين إذ به ومرة واحدة يرى في ظلام عينيه هذا صورة صديقه الدكتور حامد؛ ليفتحهما سريعًا ويعتدل في جلسته مندفعًا إلى الأمام. ثم يضرب المكتب بقدميه مكملًا حديثه لذاته:

- نعم.. كيف نسيتُ قضيتي الوحيدة التي لم تُحلَ بعد؟! مر الكثير من الوقت على مقتل صديقي ولم أجد قاتلته حتى الآن. أنا متأكد أن لُبْنَى تلك تعرف كل شيء إن لم تكن هيَ القاتلة؛ فأنا أتذكر خطابَ حامد الأخير الذي أخبرني فيه بكل شيء، تورُّطه مع دكتورة إيمان وهؤلاء الشباب.. ثم سعفان هذا الذي لا أعرف عنه أي شيء.. وأيضًا لُبْنَى الراقصة التي يقضي عندها أغلب وقته. وقد كتب هذا لي قبل وفاته بيومين؛ لذا من المؤكد أنها هيَ السبب، واختفاؤها أكَّد لي ظنوني بها. لكن كيف لم يُفلِح المخبرون في إيجادها حتى الآن؟ كيف؟! ثم ذلك الشيء الذي أخبرني حامد أنه سيخفيه إذا مات داخل مقبرته فقد وضعه سابقًا. لقد شعر باقتراب نهايته. ولكن مَن المسئول عن اختطاف جثته؟! ما هذه الألغاز وكيف لي أن أحل كل ذلك وحدي؟!

وبينما حسام يفكر في كل تلك الأمور يُقاطع تفكير عقله صوتُ دقات سريعة على الباب.

- ادخل.

يرى أحدَ المخبرين وهو يدخل عليه قائلًا:

- يا فندم، أخيرًا عرفْنا مكان لُبْنَى فين.

يُمسك حسام سلاحه قائلًا:

- إيه؟ بتقول عرفتوا مكانها فين؟ طب انطق بسرعة يلّا مفيش وقت نضيّعه.

- اتفضّل يا باشا دي ورقة فيها العنوان بالظبط، موجودة في شقة في المهندسين.

- مش عايز مخلوق ياخُد خبر بالقصة دي، أنا هسيب القسم دلوقتي وتقعد انت هنا لحد ما أرجع، مفهوم؟

- مفهوم يا فَنْدم.

يتحرك الرائد حسام متخذًا سيارته نحو العنوان المذكور له وعلى وجهه علامات الغضب، مرددًا بصوت منخفض:

- أخيرًا هاخد بتارك يا حامد.

- طب بص بص بص هتخِسّ في حبي النّص، تِمشِي وعينيك بتبُصّ وقلبك هيشوف البدع، هيييييه يا سلام عليّا وأنا حلوة كده وقمر ونص رجالة مصر بتجري ورايا.

تخرج تلك العبارات من لُبْنَى وهي جالسة على فراشها في شقتها الجديدة تعبث بوجهها أمام المرآه، ثم تردد هذا المقطع من الأغنية مجددًا متفاخرة بنفسها ضاحكة بصوت عالٍ، ليقطع وصلة الغناء تلك صوتُ هاتفها يرن، بمجرد أن تراه تذهب إليه؛ لترد سريعًا وقد تحولت ملامحها قليلًا، ثم ازدادت تحولًا بعد الانتهاء من المكالمة.

يصل أخيرًا الرائد حسام إلى العمارة المقصودة؛ لينزل من سيارته ويذهب إليها، لا ينتظر المصعد إنما يتخذ الدّرَج حتى يصل إلى الدور التاسع شقة 35، وبعد تعب في الصعود يقف أمام الشقة وقد تسارعت أنفاسه بشدة وقلبه يكاد ينفجر من سرعة نبضاته، لكنه وفي الأخير يهدأ ويمسح عرقه؛ ليجد نفسه أمام باب مزخرف لونه يميل إلى الأحمر وأمامه بعض الزينة، يقترب منه ثم يخرج من بنطاله أداة حادة ليستخدمها في فتح الباب دون إحداث صوت صاخب، يستغرق بضع دقائق حتى ينتهي ليُفتح الباب معه، يدخل ببطءٍ وحذر وهو ينظر إلى

ما يوجد بالداخل، يرى صالونًا ضخمًا وكوبًا من العصير على منضدة دائرية. ثم يتحوّل بنظره إلى الممر الذي يتخذه مسرعًا؛ فحتمًا لُبْنَى بالداخل في إحدى الغرف. وبعد أن ينتهي منه يجد أمامه غرفتين على التوالي، وباب كل غرفة مغلق؛ فيقترب من الأولى ويفتحه وهو يُمسك مسدسه فيجد ظلامًا لا يرى منه شيئًا. يُسرع ويشغل مفتاح الإضاءة فيصدم بعدم وجود أحد، لكنه يسمع خطوات مسرعة تأتي من وراءِه؛ فيلتفتُ سريعًا ليرى عصا تنزل على وجهه بشدة؛ فيُغمَى عليه في الحال.

تمر ساعتان، ثم يستيقظ حسام وهو يتألم ليجد نفسه على كرمي، يداه في الخلف مربوطة بإحكام بحبل متين. ورأسه يتملكها صداع شديد. يفتح عينيه جيدًا؛ فيرى أمامه سيدة تنظر له وهي تضحك قائلة:

- منظرك حلو وانت مربوط يا باشا.

يصرخ بها حسام قائلًا:

- فُكّيني، انتي اتجنّنتي؟! بتتعدّي على ظابط شرطة؟ أنا هموّتك.. فُكيني بسرعة يلّاا!.

لُبْنَى وهي تستمر في ضحكها:

- وماله؟ نُفكّك يا باشا، بس مش دلوقتي، أول ما أمشي من هنا هبعتلّك حد يشيل عنك الحبل ده، بس لازم تعرف إنك ماتِجرِيش ورايا تاني؛ عشان لُبْنَى مش بالسذاجة دي.

حسام متهكمًا:

- انتي فاكرَة إني جاي أقبض عليكي؟ أنا جاي أقتلِك!

في صوت ساخر:

- لما تعرف تفك نفسك الأول ابقى اقتلني.

ثم تجمع لبنى حاجتها وتنطلق ناحية الباب؛ ليستوقفها صوت حسام قائلًا:

- قتلتيه ليه؟ حامد كان بيحبك.

حينها تتصنَم لُبْنَى مكانها لبرهة من الزمن، لتقول وهي تفتح الباب في صوت خافت:

- وأنا كمان حبّيته.

***

- السلام عليكم ورحمة الله... السلام عليكم ورحمة الله.

تنتهي الآن صلاة العشاء، ثم يبدأ المصلّون في تأدية السنن والاستغفار دون أن يتوجهوا ناحية الإمام؛ فهو كالعادة لا يعطي المجال لأحد من أجل استشارته.

يقول أحد المصلين لصاحبه:

- هو إيه حكايته الشيخ ده يا سمير؟ مريب جدًا! وكلنا خايفين حتى نقرب منه.

- معرفش، بس عندك حق.. حاسس إنه وراه حاجة كبيرة، يا إما مشدّدين عليه.

- لا ماعتقدش، ما الشيخ محمود كان فاتح صدره للناس كلها، هو بس تلاقي مراته ضارباه ولّا حاجة وبيطلّعهُم علينا.

- أو تلاقيها بتأكّله كل يوم بِصَارة هههههه، قوم بينا نصلّي السنة كفاية الذنوب اللي بناخدها وإحنا بنقطّع في الراجل.

- ماشي يلّا، بس حاجة أخيرة، ده كان المفروض يتسمّى الشيخ قفل، الشيخ غريب الأطوار، لكن عبد الجليل دي مش لايقة عليه أبدًا.

ليضحك الصديقان، وبعد مدة يخرج الجميع من المسجد وآخرهم الشيخ عبد الجليل، الذي وفي عجَلَةٍ يتخذ طريقه إلى منزله، بعد وقت ليس بالكثير يصل الشيخ ويُغلق بابه، ثم يذهب إلى الغرفة التي كان سعفان بها قبل أن يستيقظ ويُغمَى عليه.

يغيّر الشيخ ملابسه، ثم يقول:

- حتى الآن لم تعرف ماذا حدث، هل سيدوم ذلك؟

- لا يا سيدي، أعدكَ أننا اقتربنا من حل هذا اللغز.

يأتي هذا الصوت من الفراغ، يبدو أن هنالك طاقة غير مرئيّة تتحدّث.

- هل هيَ القصة القديمة وتطاردنا مجددًا؟

- نعم، لكن هذه المرة مختلفة، حتى في عالمنا نحن الكثير منّا يشعر بتحركات غريبة لم نعهدها منذ زمن بعيد.

يصمت الشيخ، ثم يقول بصوت يملأه الحماس:

- بعد هذا العمر أعتقد أنه قد حان الوقت للتخلي عن هذه العمّة وهذا الجلباب والشروع في محاولة قتل هذا الشاب.

- لا أنصحُك بهذا، ابقَى كما أنت شيخٌ يثق به الناس؛ فنحن لم نتأكد بعد، وعند التأكد سنقتله، سنجد الفرصة ونفعلها؛ فنحن لم نُغلَب يومًا.

- قتله لن يكون سهلًا: فلسنا لماهيّته من معرفة؛ لذا يجب أن نتوغّل داخل عقله، نحتاج أن نضعفه وعندها فقط سنقتله، وأعتقد أنني أمتلكُ خطة مناسبة لذلك، لكنها ستحتاج لوقت كبير.

- وكيف سنفعل هذا؟ وما هذه الخطة؟

- لا يهم، انصرِف الآن لأرتاح، وسيأتي الوقت الذي ننتظره لا تقلق.

وقبل أن ينصرف الكائن صاحب الصوت الغليظ يقول له الشيخ:

- آه آه صحيح، كان هنالِكَ شابان في المسجد يتهكّمان على شخصي، هل سمعتهما؟

- نعم، كنت متشكلًا في صورة ذبابة حينها وسمعتُ حديثهما كله.

الشيخ:

- جيد، أريدكَ أن تبعث لهما اثنَيْن من الميامين للعبث بهما أثناء النوم تأديبًا لهما، ولا تتشكّل في تلك الصورة مجددًا حتى تدخل المسجد؛ فقد تُقتَل معتقدِين أنكَ ذبابة حقًّا.

- حسنًا يا سيدي.

ثم ينصرف الجان تاركًا الشيخ عبد الجليل الذي استلقى على فراشه وهو ينظر إلى الحائط متذكرًا ما حدث مع سعفان، وكيف يجب عليه سرعة التخلص منه.

ينزل الشيخ حسن إلى الأسفل في هدوء وحذر، والفتى الصغير يتبَعُه في ريبة؛ فمع كل ما مر به لم يعتقد أن هنالك مكان كهذا هنا، يستمر الاثنان في النزول حتى يصلا إلى ساحة واسعة والظلام حالك، ما هيَ إلا بضع ثوان حتى يُمسك الشيخ عصا من على الأرض يبدو أنه يعرف

مكانها مسبقًا، ثم يُشعل بها النيران، وقُصيّ واقف يرى كل هذا دون أي تعبير على وجهه. إلى وأن أخيرًا يسمع صوت شيخه وهو يقول له:

- امسك العصا ولتتبعني: فمرادُنا اقترب.

تُنير أنوار اللهب المكان: لتكشف عن ساحة ضخمة بها العديد من التماثيل غريبة الشكل، وعلى الأرض جسد منحوت لبشري، لكن الغريب به أن لرأسه قرنين، ينظر لهما قُصي في دهشة، لكنه يلحَظ تحرك الشيخ إلى الأمام: ليتبعه وهو يحمل عود النيران هذا، ومع تقدمه يشعر بأن الساحة الواسعة تضيق شيئًا فشيئًا، إلى أن يصلا لمر لا يتّسع إلا لشخص واحد فقط يمر به والهواء به قليل لدرجة أنك تشعر بأن روحك تُسلَب منك، لكن لا يستمر الاثنان في سيرهما في هذا الطريق الضيق طويلًا، حتى يخرجا منه ليرى الفتى مشهدًا يجعل عود اللهب يسقط من يده، إنه يرى ساحة شديدة الاتساع ربما خمسة أضعاف الساحة السابقة، وبها الكثير من المقاعد بشكل منظم: فهيَ تنقسم إلى ثلاثة أركان، وعلى كل ركن رجلٌ كبير يرتدي جلبابًا مثل شيخه وأمامه مجموعة من التلاميذ صغار السن يستمعون له وهو يقول أشياء محظور الحديث عنها بالأعلى، وبجانب الجدار رفوف عليها كتب كثيرة يبدو أنها جميعها عن السحر، وأيضًا خمس غرف متراصّة أبوابها بجوار بعضها البعض، ليصرخ الفتى قائلًا:

- ما هذا يا شيخ حسن؟ هل هذه مكتبة أخرى أم صرحُ علم دفين؟

ينظر الشيخ للأمام مبتسمًا للحضور الذين انتبهوا له قائلًا:

- إنه أكثر من ذلك، إنه التراث الحقيقي الذي ورثناه وسوف نورثه إلى أن يحل اليوم المشهود.

ثم ينطلق الشيخ بعد قوله لتلك الكلمات نحو الجمع الموجود أمامه، وبمجرد أن يتحرك تجاههم يقف جميع الطلبة والشيوخ في وقارٍ احترامًا له، ليكمل الشيخ حسن كلامه قائلًا:

- اليوم أتى إلينا فردٌ جديدٌ أريدكم أن ترحبوا به.

ليرحب الجميع بقُصيّ الذي يرى كل ذلك وهو ما زال لا يصدق أن كل هذا حقيقة بالفعل.

بعد الترحيب وتبادل الأحاديث القصيرة يذهب قُصيّ مع الشيخ إلى إحدى الغرف، ثم يقفل الشيخُ البابَ ويجلس وبجانبه الفتى الذي ينظر له منتظرًا ماذا سيقول.

ينظر الشيخ له، ويقول في صوت يملأه الجد:

- انظر يا فتى.. الآن أنت ترى ما لا يعرفه أحد أكان بشرًا أم جانًّا، وأقصد قولي هذا وستفهم في آخر الحديث، في البداية هذا الصرح هو مقبرة قديمة يرجع تاريخها لعهد الملك شبسكاف؛ فقد كان مولعًا بأمور السحر وكان يفعل هذا في الخفاء، وستجد أن المعلومات عنه قليلة جدًا لحرصه الشديد، وفي يوم مظلم كأحداثه ثلاثة من الرجال عقدُوا مع أحد الجان المختلفين عمّا نعرفهم اتفاقًا ليجلب لهم الخلود...

يقاطع قُصيّ الشيخ قائلًا في اهتمام:

- ماذا تقصد بالجان المختلف؟!

يتنهد الشيخ وهو يكمل قائلًا:

- لم نعرف بعد؛ فالكتابات التي عندنا لم توضح ماهية اختلافه، هذا كل ما نعرفه أنه ليس بجان طبيعي، كما أن الثلاثة رجال ماتوا

ولم يَعرِف أحد في ذلك العصر طريقة موتهم، لكنهم وجدُوا بردية كُتب عليها:

"في أحد العصور سيأتي مأمون يغيّر كل شيء، يدمر كل شيء، الجان والبشر، الزواحف والطيور ولن يبقى أحد...

بعد هذه الكلمات المرعبة والمشاهد الدموية جراء قتل هؤلاء الثلاثة اتفق الملك والكهنة حين ذاك بتخصيص مقبرة تحت الأرض يُمَارَس فيها جميع أنواع السحر، ويتوارثها جيل وراء جيل من أجل منع هذا المأمون من الظهور، وبالفعل بُنِيَت مقبرة وتم اختيار الكهنة المعلمين فيها بحرص شديد، وعدد من الطلبة يتصفون بالذكاء والولع بتلك الأمور، وتم تعليمهم كل شيء، السحر الأسود والطقوس وما هو الهيكل؟ والفرق بين التعاويذ والبرمتيات والمشاميد؟ وفي يوم مشهود وأثناء مرور الملك على مدرسته الصغيرة تلك وهم يحضّرُون أحد المشاميد الجديدة والمشماد يختلف عن التعويذة في أنه يجب أن يقتل المؤدِّي بشريًا ويضع كأسا من دمائه بجانب بردية الإلقاء، وثاني اختلاف هو أنك تؤديها ولا تعرف ماذا سيحضر لك! على عكس التعويذة التي تفعلها من أجل المردّة على سبيل المثال.

يهز قُصيّ رأسه وهو شديد الانتباه لكلام شيخه، الذي يكمل وقد بدأ جسده يرتعد قليلًا:

- قام أحد الطلاب المتميزين حينها بتأدية المشماد للمرة الأولى تحت خوف من الكهنة وحضور للملك بنفسه، وقام بقتل أحد المساجين الذي قام الملك بجلبه إليه كرهًا، وبعد أن ذبحه وملأ كأسًا من الدماء الخاصة به ثم قال الطلسم الخاص ما هيَ إلا ثوانٍ معدودة حتى انطفأت جميع عيدان اللهب وعمّ الفزع أرجاء المكان، والتَفَّ الحراس حول الملك الذي أمر أحد رجاله بإشعالهم مرة أخرى، وقبل أن يفعل ذلك إذ بصوت شديد الغلظة منفر السمع وقوي اللكنة

يقول في غضب: أيها البشر الأغبياء، ماذا فعلتم؟! لقد قمتم بإبرام صفقة مع جان منفور منبوذ، وبسببها سنهلك جميعًا! تبًا لكم! لقد كنا دونكم على هذه الأرض مرحِين؛ فجئتم أنتم وعمّ الخراب، إن كان بيدي لقتلتكم جميعًا والآن، لكن شخص منكم يجب أن يكون، شخص منكم يجب أن يكون، ثم انقطع الصوت والكل جاثم على وجهه واضعين أيديهم على آذانهم من شدة الصوت وهم لا يستطيعون فتح أعينهم لرؤية الكائن الذي تحدث، وبعد وقت كبير يقول الملك لحراسه بصوت خافت: أشعلوا العيدان.. أشعلوها؛ فيفعل الحراس ما قيل لهم، ويقف الجميع ينظرون حولهم دون أي أثر لمصدر الصوت؛ ليجدوا أن الفتى الذي أدَّى التعويذة قد اختفى، ويُصعَق الجميع لهذا، ومنذ ذلك اليوم ومع تناقل خبر هذه الحادثة للأجيال المتلاحقة تم منع تأدية هذا المشماد مرة أخرى..

يقاطع قُصيّ الشيخ قائلًا في لهفة:

- وماذا حل بالفتى الذي أدّى هذا المشماد؟

يرد الشيخ مبتسمًا:

- بعض الأقاويل تخبرنا أن بعض التلاميذ الحاضرين وقتها قد رأوه في المدينة، ولكن بهيئة أخرى مخيفة، وأنه صار شديد الثراء لكنهم لم يتجرؤوا أن يحدّثوه خيفة منه، وأن من حاول ذلك لم يروه مرة أخرى.

يضحك قُصيّ وهو يقول:

- وهل تريد أن تخبرني يا شيخي العزيز أن تلك القصة حقيقية لأصدقها وأنا لم أرَ كتابة واحدة تذكرها؟! لا.. هذا محال.

ليصرخ به الشيخ قائلًا:

- يا أحمق، وهل هناك أصدق من المكان؟

ليرد عليه قُصيّ وقد انتبه لشيخه مرة أخرى:

- ماذا تقصد؟

يقول الشيخ في صوت ثابت:

- نحن الآن في هذه المقبرة!

يصعق قُصي وتبرز عيناه بشدة، لدرجة أنهم كادا أن يخرجا من جمجمته، ليقول في صوت غريب:

- هل تقصد أننا الآن في مقبرة الفراعنة قديمًا؟! المقبرة التي أنشأها شبسكاف بنفسه؟

يقول الشيخ وهو ينظر للفتى:

- نعم، الشيوخ هنا هم الكهنة هناك، والتلاميذ هنا هم التلاميذ هناك؛ فنحن الورثة وهدفنا أن نكمل ما بدأه أجدادنا.

لحظات من الصمت والتفكير يقطعها صوت قُصيّ الذي يقول:

- المكان محميّ عن أعين البشر.. هذا منطقي، لكن كيف يكون محميًّا عن الجان كما ذكرت؟

يقول الشيخ وهو يقوم من مجلسه:

- هل تذكر الممر الضيق الذي يتسع لشخص واحد فقط؟ هذا الممر صُنِعَ خصيصًا من بعد هذه الحادثة لمنع أيّ هجوم على هذا الصرح؛ فيوجد به كتابات تحرق أي جان مهما كانت قوته قد رُسِمَت على الحوائط إلى هنا، وكثيرًا ما مات العديد منهم؛ فالمعلمون هنا جميعهم يستطيعون رؤية ظلالهم؛ فالعلم هنا والتنفيذ في الخارج، والآن حان موعدك؛ فقد رأيتُ فيك نبوءة قد تتحقق، لذا من اليوم ستتعلم وتأتي إلى هنا دوريًا، ونكمل حياتنا بالخارج بشكل طبيعي؛ أدَّعي أنا قوة الجهاد والعلم، وتتظاهر أنت أنَكَ طالب كالمعتاد.

يقف قُصيّ مبتسمًا وهو يقول:

- حسنًا، أعدُكَ أن أكون مختلفًا عن جميع مَن سبقوني في هذا العصر وكل العصور.

ليضحك الشيخ وهو يتقدم للخارج، ثم يتبعه الفتى الذي تلمع عيناه بشدة.

في الغرفة المظلمة تجلس أمنية كالمعتاد في الآونة الأخيرة لا تتحدث إلى أحد، فقدَت الشغف بكل شيء، حتى الزواج الذي تحلم به كل فتاة، فقط تكتفي بأحلامها الغريبة البائسة وبكاءها المتصل، ووالدتها تنظر لها وتراها على تلك الحال ولا تستطيع حتى أن تخبر والدها، فقط تستمر بالحديث للشيوخ لعلها تصل إلى حل، فابنتها المضيئة المشرقة تضِيع دون معرفة السبب.

إننا الآن في ليلة جديدة ونوم يتكرر لأمنية ودموعها على وجهها، يبدو أنها تحلم حلمًا آخر، لكنه ليس كالسابق، هذه المرة تحلم بالفتى الذي طارد أحلامها مدّةً كبيرة وانقطع مرة واحدة: إنها تحلم بسعفان. ترى نفسها معه يسيران سويًا في طريق طويل وهو ممسك بيدها داخل الحلم، تشعر بالطمأنينة والفرح والدفء: لتستيقظ قبل أذان الفجر بلحظات وهذا الشعور ما زال يسيطر عليها، ولأول مرة ومنذ فترة طويلة تبتسم، ثم تسمع صوت المؤذن في المسجد المجاور يقول في صوت قويّ: الله أكبر الله أكبر...

ينتهي الأذان وأمنية لا تنسَى حلمها، بل تفكر فيه قائلة لنفسها:

- ما هذا الحلم العجيب؟! لماذا يظهر لي سعفان في هذا الوقت مرة أخرى؟! لقد كنت أنزعج كثيرًا من رؤيتي له دون أي سبب، وتعمدتُ الاختفاء عنه، لكن لماذا يظهر لي الآن؟ هل معاندتي للقدر

باءت بالفشل؟! هل سعفان بالفعل... لا لا.. في ماذا تفكرين يا أمنية؟ يكفي هذا.

لتقوم مسرعة من على الفراش؛ لكي تتوضأ وتصلي الفجر. ثم تنام مجددًا.

يأتي الصباح وتستيقظ أمنية على صوت هاتفها الذي يدل على وصول رسالة لها على تطبيق (واتس آب). تنظر له بأعين مغلقة؛ لتقوم مرة واحدة من فراشها وهي تصرخ قائلة:

- مستحيل! ازّاي؟! ده سعفان.

يصدر هاتفها صوتًا آخر يدل على قرب انتهاء بطاريته؛ فقد نسِيَت أن تشحنه. تذهب بسرعة لجلب الشاحن الخاص به وتضعه في الكهرباء وهي تنظر إلى الشات مرة أخرى؛ لتبدأ حديثها مع رجل أحلامها.

سعفان: أمنية، أخبارك؟ عاملة إيه؟

أمنية: ياه سعفان، الحمد لله تمام، وانت؟

سعفان: أنا بخير. كنت حابب أكلمك في موضوع كده لو فاضية يعني.

أمنية: موضوع؟ خير، فاضية آه.

سعفان: من غير أي مقدمات. أمنية أنا حلمت بيكي.

بمجرد أن يذكر سعفان هذه الجملة يقع الهاتف من يد أمنية التي لا تصدق ما ترى، لتُمسك الهاتف وتنظر مجددًا ويقع منها مرة أخرى؛ لتقرر في الأخير فصل الهاتف، وتمسك غطاءها سريعًا وتلتف به محدثة نفسها:

- سعفان يحلم بي! لا لا هذا كثير على عقلي لأتحمله، كيف هذا؟! لا أصدق، هل هذا سحر أم ماذا؟! كيف حدث هذا كيف؟!

تظل الفتاة على تلك الحال مدة من الزمن، حتى تخرج من تحت الغطاء وتُمسك الهاتف مرة أخرى وقلبها يدق؛ لتجد سعفان بعث لها رسالة أخرى.

سعفان: آسف لو كنت زعَلْتِك بكلامي ده، بس معرفش ليه قُولتِلِك كده، وعمومًا كأنك ماسمِعْتِيش حاجة.

أمنية: لالا أبدًا، أنا بس الفون فصل، ممكن تقول الحلم كان إيه؟

سعفان: بلاش عشان حلم غريب، أنا بس حبيت أطَّمَن عليكي، انتي بخير؟

أمنية: أنا كويسة، بس مُصِرَّة أعرف الحلم.

سعفان: ماشي، بس انتي اللي قولتي أهُه.

أمنية: تمام، قول يلّا.

سعفان: حلمت إني لابس بدلة سودة وواقف جمبي شخص ماعرفهوش وباصِص للمراية، ولقيته بيقولّي ألف مبروك على العروسة، مشيت لقيت نفسي قُدَّام باب بفتحه لقيتك انتي بفستان فرح أبيض، بس ماشوفتش وشك بس كنت عارف إنك أمنية وصحيت.

بمجرد أن ترى أمنية هذا الكلام تفقد قدرتها على الكتابة، وتظل جامدة فترة من الوقت؛ لتجد سعفان يرسل إليها مجددًا.

سعفان: آسف على اللي قولته ده، وماكُنْتش ناوي أحكيه، وأصلًا مش فاهم ليه حلِمْت بكده وأنا في ظروف مش كويسة، عامّة كأنك ماقرَتيش حاجة.

أمنية: سعفان، أنا كمان حلِمْت بيك.

سعفان: ههههههه إيه الجو ده؟ شغل حلمي ونور! مش عشان قولتلك كده ترديهالي زي الفيلم يعني.

أمنية: أنا مابهزّرْش، أنا كمان حلمت بيك، ومش النهاردة بس، لا.. من زمان كمان.

سعفان: قصدك إيه؟! أنا مش مصدق، وحلمتي بيّا ازّاي؟!

أمنية: أنا عمري ماكُنت هقولّك الكلام ده؛ لأني دايمًا كنت بشوف الكلام ده تافه ومستحيل أمشي وراه، اللي هيخليني أقولهولك...

وقبل أن تكمل أمنية جملتها تجد هاتفها يرن ورقم سعفان يظهر على شاشته؛ لتجيب في تردّد قائلة:

- ألو يا سعفان.

يقول سعفان في عجلة:

- أمنية، انتي بتتكلمي بجد؟ انتي فعلًا حلمتي بيّا؟

ترد أمنية في صوت خافت:

- أيوَة، انت ماخلِّتْنِيش أكمل، أحلامي بيك من مدة طويلة ماكُنتِش عارفة ليها سبب ولا نتيجة، حتى كنت بستغرب قوي ليه بحلم بشخص عمري ماشُوفته ولا اتعاملت معاه، ليه أكون نايمة وأنا بفكر في حاجة تخصنى ألاقيني بحلم بيك انت؟ لدرجة إن ده كان السبب إني كنت بتهرب إني أكلمك حتى، أنا مش هتمشِّيني أحلام يا سعفان.

يقول سعفان في لهفة:

- طيب قوليلي الأحلام دي كانت إيه؟

تذكر أمنية لسعفان جميع أحلامها به، حتى حلم الطريق الطويل وهم يمسكون ببعضهم البعض؛ ليعم الصمت طرفَيْ الحديث؛ فيقطعُ الصمتَ سعفان قائلًا في صوت خافت:

- طيب شوية وهكلّمك تاني يا أمنية.

يُغلق الاثنان الهاتف؛ ليجلس كلٌّ منهما على فراشه لا يصدقان ما يحدث. سعفان يفكر هل هذا هو اليسر الذي يأتي بعد العسر؟ هل زواجه الذي حلم به تم اختياره من عند الله؟ هل هو أمر روحاني؟ نعم.. هو لم يحب رضوى إنما أحب عطفها عليه، أحَبّ رقتها وأنها الوحيدة التي عاملته كإنسان. لكن أمنية أمرها مختلف تمامًا، لقد حلم بها وهي تحلم به والأحلام من عند الخالق. لكن لماذا نحن؟ فتاة لم أعرفها يومًا وفتى لم تعرفه أبدًا، سعفان محدثًا نفسه:

- نعم نعم.. أشعر بأنني إن لم أرتبط بهذه الفتاة ستصيبني لعنة. لكن كيف؟! عقلي سيُجَن، ورضوى أيضًا لم يظهر عنها أي شيء. يبدو أنني سمعت هلاوس ذلك اليوم، وأن هذا الفتى الصغير رأى فتاة مشابهة لها، فمن غير المعقول رؤية الأموات يتحدثون!

ثم تلمع في ذهن سعفان فكرة سديدة لأجل بداية جديدة؛ فيقوم سريعًا لجلب هاتفه والاتصال على هاتف أمنية، ليقول في عجلة:

- أنا معنديش تفسير لكل اللي بيحصل ده، وما أظنّش كمان عندك، بس أفتكر إننا ممكن نكون...

ليتعثر سعفان في الحديث ثم يكمل قائلًا:

- بصي يا أمنية.. فكّرتي إننا نقرب من بعض لمدة شهر، شهر واحد بس وساعتها هيبان كل حاجة.

أمنية وهي تتلعثم تقول في صوت متذبذب:

- موافقة، مش عارفة أنا بقول كده ازّاي، بس انت فيك حاجة مختلفة مش قادرة أفهمها حتى، لأول مرة هلغي عقلي يا سعفان وأمشي ورا أحلامي، مع إني قضِيت وقتي اللي فات كله بهرب منك بسببها.

سعفان يقول ضاحكًا:

- دي إرادة ربنا بقى، قعدتي تهربي وفي الآخر رجعتي للحلم ههههه.

بعد نقاش قصير تنتهي المكالمة، لتجلس أمنية تفكر في كل هذا وهي تحدث نفسها أيضًا في خوف:

- هل يجب عليّ أن أخبره أنني أعاني من شيء خطير؟ أم أنني سأفقده إن فعلت هذا؟

لتستقر في الأخير أنها ستقول مأساتها تلك وغرفتها المظلمة التي لا تفارقها، تقفز الفتاة من على المقعد وتغادر غرفتها وهي تصيح بوالدتها مبتسمة؛ لتعد لها الطعام وسط ذهول من الأم التي فرحت كثيرًا لذلك.

***

- م ماا مَن أنت؟

يقول ذلك جودفري وهو ينهض مزيحًا الدماء التي وقع عليها من على جسده.

في صوت ضاحك يقول الرجل الذي يرتدى (البورنيطة):

- لا تقل لي أنّكَ خائف؛ فجودفري الذي أعرفه لا يخاف.

يصعق الفتى الأسمر، ويقول سريعًا:

- ولكن كـ كيف عرفتَ اسمي؟ وأيضًا كيف عرفتَ أنني أتحدّث العربية؟

يبتسم الرجل وهو يقول:

- ألم تعرفني بعد؟ ركز جيدًا.

ليدقّق جودفري نظره في وجه المتحدث أمامه. وما هيَ إلا ثوانٍ معدودة حتى يصرخ بأعلى صوته قائلًا:

- أنت؟! لا لا مستحيل! ما الذي أتى بك إلى هنا؟ وكيف عرفتَ مكاني؟!

يقول الرجل وقد تغيّرت ملامحه إلى الجدّية:

- الصندوق.. أريد الصندوق.

يرد جودفري في توتر:

- أي صندوق هذا؟

ليصيح به الرجل الذي أمامه قائلًا في غضب:

- هل تعتقد أنني نائم؟! الصندوق الذي به الإرث. أعلم جيدًا أنه معك، وإن لم تأتِ به سأقتل كل من في هذه القرية. أنت تعي أنني أستطيع.

يرد جودفري في عجلة:

- لا لا تفعل.. سأعطيه لك. لكن الآن مستحيل: فأنت ترى أنني بدأت تعويذة شيرونغا. وإن لم أكملها سنموت كلانا.

يصعق الرجل الغريب لسمعه اسم هذه التعويذة. وبالفعل ينظر حوله ليجد تجمّعًا هائلًا من الظلال تحوم حولهما: ليقول وهو يبتسم مرة أخرى:

- حسنًا يا صديقي، غدًا في نفس الموعد سآتي إليك، ولم أكن أعرف أن مستواكَ وصل إلى هذا الحد لفعل طلسم بهذا القوة.

ثم يغادر في الحال.

يُكمل جودفري قراءة الطلسم مرات عديدة حتى تقلّ كثافة الظلال؛ ليتبقَّى في الأخير ظل واحد فقط يبدأ في التشكل وراء الشاب الأسمر، الذي كذِبَ حول مسمى التعويذة التي يفعلها، ثم يسمع صوتًا يقول له:

- هنيئًا، فلا أحد منذ زمن بعيد استطاع إحضاري، مكافأة لك سأنفّذ طلبًا واحدًا فقط دون أن تلتفت لتراني، فإن فعلتَ سأحوّلُكَ إلى أشلاء بفعل النيران.

يقول جودفري بصوت ثابت:

- أعرف القواعد جيدًا، لا رؤية لا موت.

يُمسك ورقة ويكتب علها بالحبر، ثم يرفعها بيده ليراها الجان الذي وراءَه، وبمجرد أن يراها حتى يقول في صوتٍ يتلاشى تدريجيًا:

- يبدو أنّكَ غاضب جدًا، حسنًا سأنفذ أمرك، لكن احذر.. إن قمتَ باستعدائي مرة أخرى ستكون روحك ثمنًا لتنفيذ ما ستأمُر به، الآن فقط سأكتفي بأخذ عينِك اليسرى!

ليصعق جودفري ممّا يسمع، وقبل أن يقول كلمة واحدة يجد تجمّعًا كبيرًا من الظلال حوله يتشكلون؛ فيصرخ صرخة مدوية، حيث أن نزيفًا يحدث بعينه اليسرى كأنما شخصٌ ما يقتلعها بيده، يستمر في هذا الأمر لدقيقة ربما أو أكثر، حتى يرى عينه تسقط على الأرض والدماء تنهمر منه؛ ليسقط وراءَها والإنهاك قد نال منه.

على الجانب الآخر، يجلس الجنود في الخيام الخاصة بهم على بُعد مناسب من القرية وهم يضحكون ويشربون الخمر، والقائد يجلس في خيمته وحيدًا يفكّر فيما عليه فعله في الغد.

تحت أضواء القمر وداخل كل خيمة ظلالٌ عديدة تتكون يصعق من إثرها الجنود الذين يخرجون البنادق الخاصة بهم وهم يصوبونها ويطلقون النار ناحيتها؛ فيصيبون بعضهم البعض، يسمع القائد صوت إطلاق النار ليقوم مفزوعًا من على فراشه، لكنه يُفَاجَأ بتحول صوت الطلقات إلى صوت جنوده الذين يصيحون في كل مكان، ثم وفي الأخير ثبات عميق. يذهب القائد في حركات متثاقلة لخارج الخيمة، لكنه وقبل أن يغادرها يسمع صوتًا من خلف ظهره؛ فيلتفتَ سريعًا ليجد كائنًا أمامه مظهره من البشر لكنه قبيح جدًا، ويمتلك أظافرًا طويلة وحادة كأنه ذئب، يراه القائد ولا يستطيع حتى أن يصرخ؛ ليجده يشاور بظفره إلى خارج الخيمة مبتسمًا، فيحوّل نظره للخارج مرة أخرى؛ ليجد عددًا كبيرًا من أهل القرية قادم ناحيته وهم يحملون السكاكين. ثم يختفي الجان وهو يضحك تاركًا جنودًا يسبحون في دمائهم موتى، وقائدهم الذي سيموت بعد أن يريه أهل ضاحية بوكومانسمبي أشد أنواع العذاب.

في الليلة التالية يأتي الرجل صاحب البورنيطة لخيمة جودفري من أجل استلام الصندوق الذي يريد، يدخل فلا يجد أحدًا، يقلّب في محتويات الخيمة لكنه لا يجد الصندوق في أي مكان، وأثناء ما يفعل يلحظ وجود ورقة صغيرة على الأرض، يُمسكها ليجدها مكتوبًا عليها:

"لقد غادرتُ الضاحية ومعي الصندوق، لن تراه ما دُمتُ ألفظ أنفاسي على هذه الأرض، سأذهب إلى بلد مختلفة هذه المرة، بعيدًا عن موطني أوغندا، وسأحرص على أن لا تجدني، في النهاية تضحية صغيرة أهون من دمار كبير."

يقرأ الرجل هذه الكلمات: فيرمي الورقة على الأرض وهو يصرخ قائلًا:

- أقسم أنني سأجدك وأجعلك تلفظ أنفاسك الأخيرة أمامي يا جودفري.

***

على أرض زراعية تحت أشعة الشمس الحارقة، يتواجد مجموعة من الأشخاص من بينهم اثنان يرتديان سترات سوداء، يبدو على وجههم أنهم ذو منصب هام في البلاد، يقول أحدهم للآخر في صوت يملأه الجد:

- احنا هننزل المقبرة دي امتَى؟

ليرد الأخر وهو يخرج هاتفه من جيبه:

- بعد المكالمة دي هنعرف.

يجيب الرجل على هاتفه في احترام شديد للمتحدث، قائلًا بصوت خافت:

- حاضر، كمان ساعة، تمام حاضر، هنبعت لحضرتك كل حاجة، تمام.. سلام يا فندم.

بمجرد أن يغلق الهاتف يقول الشخص المتواجد بجانبه في لهفة:

- إيه؟ قالولَك حاجة؟

يرد الرجل وهو يشير إلى الرجال المتواجدين خلفه، وبصوت قوي:

- يا جماعة، بصفتنا مندوبين الحكومة للآثار، وبأمر من المدير شخصيًا هننزل المقبرة دي كمان ساعة، كله يستعد وتجهزوا الأدوات، المقبرة دي اتفتَحِت قبل كده، والحكومة استولِت عليها بعد طبعًا الحادث الشهير اللي تورّط فيه رجل الأعمال نظمي والدكتور إيمان،

أكيد كلّكم سمعتوا عنهم، والحكومة عايزة تتأكد إنه مفيش أي حاجة موجودة تحت تاني. احْنا هنا كلنا بنعمِل حاجة وطنية. ولازم نكون قَدّ المسئولية.

ليرد الرجال في الحال:

- تمام يا محسن باشا.

بعد التجهيزات وإتمام كل شيء يتوجه الجميع وفي مقدمتهم محسن والرجل الذي معه نحو المقبرة، التي شهدت أحداثًا لم يشهدها أي مكان من قبل، أكانت قتل أو مفاجئات أو حتى الصندوق المجهول، يزيحون الغبار ويتخذون طريقهم للأسفل حتى يصلوا إلى البقعة المرادة، ينظرون حولهم ليجدوا المقبرة كما هيَ لم تتغير عن ما رأوه في الصور، فقط رطوبة مزعجة وطقس بارد على عكس السطح، يشغلون المصابيح ويستمرون في السير نحو السرداب المظلم والمقابر المتراصة بجانب بعضها البعض، لحظات من الرعب تدبّ في قلوبهم عند سماعهم لأصوات مجهولة. ليقاطعهم صوت محسن قائلًا في حزم:

- ماتخافوش يا رجالة، دي أكيد أصوات الخفافيش أو الطيور اللي هنا، المقبرة نضيفة وماحصَلْش فيها أي حاجة من وقت ما استولينا عليها.

تفرّق الرجال إلى مجموعات وكل مجموعة تقتحم غرفة؛ لتبحث بداخلها عن ذهب أو آثار الأجداد، ويقومون بهذا الفعل لوقت طويل لكن دون جدوى، لا يجدون إلّا الغبار والكتابات الفرعونية وبعض الرسومات الغير دارجة، حتى ينتهوا من التسعة غرف، ليقول أحدهم مندفعًا:

- محسن باشا، احْنَا فَتّشنا في كل حتة ومفيش أي أثر لأي كنوز هنا، نطلع بقى خلاص؟

ثم يقول الرجل صاحب البذلة السوداء:

- فعلًا يا محسن.. المقبرة دي واضح إنها مفيهاش أي حاجة خلاص، ويلّا بينا نطلع لأنّ الرطوبة هنا عالية قوي.

يومئ محسن برأسه موافقًا، لكنه يقول:

- قبل ما نِطلَع هنروح للغرفة اللي جوّا دي عن طريق السرداب ده اللي انتحر فيه نظمي، يمكن تبقى آخر أمل لينا.

وبالفعل توجه الجميع متخذِّين السرداب للغرفة التي وجد بها سعفان صندوقَه الغريب. وأثناء سيرهم يلحظ محسن تغيّرًا بسيطًا في الكتابات على الجدران، لكنه لا يلقِي لها بالًا معتقدًا أنها تهيؤات لا أكثر، يقترب محسن من الغرفة، وقبل أن يدخلها بأمتار قليلة يسمع الجميع صوتًا صاخبًا يأتي من الخلف؛ ليدبّ الذعر في قلوبهم، ثم ينظرون لمصدر الصوت فيجدون أحد الرجال ملطّخًا بالدماء ساقطًا على الأرض: ليصيح محسن في تعجب وخوف:

- مستحيل! ازّاي ده حصل؟! المقبرة دي سليمة، احنا تأكّدنا من كل حاجة فيها.

ليقاطع حديثه صوت مخيف يقول في ثبات:

- لقد خدعتموني إنني أتعذب الآن، أين الصندوق؟ أين الصندوق؟

يسمع الرجال هذه الكلمات وهم لا يفهمون أي شيء. فقط ما يتملّكهم هو الخوف المصاحب لمقتل أحدهم والصوت الغريب المفاجئ، قلوبهم تدقّ بشدة، والعرق يبدأ في التراكم على جباههم بالرغم من السقيع المصاحب لهم، يكرّر الصوت ما قال ثانيًا، ولكن هذه المرة بصوت أجش:

- لقد خدعتموني إنني أتعذب الآن، أين الصندوق؟ أين الصندوق؟

وقبل أن يتحدث محسن يصرخ الجميع وقد بدأوا في الفرار إلى خارج هذا السرداب اللعين، وصاحب البذلة يترقبهم وهو يصيح:

- ماتِجرُوش لبرّه.. كدَه هنموت كلنا، اصبروووا.

لكن دون جدوى، لا أحد يستمع له: فالخوف يعمي البصيرة لا البصر، يجعلكَ تفقد عقلك ويعبث بروحك إلى أن تنتهي.

أثناء هروبهم تخرج عليهم الخفافيش من كل صوب وحدَب من داخل الجدران: ليحشروا أنفسهم في وجوههم، وصوت حشرجة من الأسفل.. إنها الثعابين التي تدس السَمّ بأنيابها الغلاظ في أجسادهم، ثم يسقطون الواحد تلو الآخر، ومحسن وصاحبه بجانبه يشاهدون الحدَث وهما لا يستوعبان أي شيء: فكل هذا يحدث حقًا، كيف ومتى ولماذا؟! لا إجابة، وبمجرد أن يلفظ آخر الرجال أنفاسه الأخيرة يقع الرجلان على الأرض: فيقول أحدهما وهو يبكي:

- لا مش عايز أموت.. مش عايز أموت، أنا عندي عيال لسّه ماشبِعْتِش منهم.

ثم ينهمر الدمع منه واضعًا يده على رأسه، ومحسن بجانبه لا يستطيع فعل أي شيء، حتى يظهر لهما مصدر الصوت: ليُصعَق الرجلان بما يريان أمامهما وأنفسهما تحدّثهما: هل بالفعل الجانّ موجود حقًا؟! هل هذه هي أشكالهم؟! والله إن الموت عن طريق الأفاعي لأحَبّ إلينا من رؤية هذا الوجه: ليقاطع هذه الأفكار صوت الكائن الذي ظهر قائلًا:

- أنتم لا تستطيعون رؤية شكلي الحقيقي، إنما هذه الصورة هيَ التي أستطيع أن أتشكّل بها. أنا أمريس أين الصندوق؟ أجِبَانِي حتى أعفو عن حياتكم الفانية.

يتصنّم الاثنان مكانهما لا يعرفان ما هو الصندوق الذي يتحدث عنه؟ ومن هو أمريس هذا؟ يستغرقان وقتًا كبيرًا لإدراك ما يحدث أمامهما، وقبل أن يتحدث محسن يجد يدًا مليئة بالأظافر تخترق قلبه وقلب صديقه الذي يصرخ بشدة. ثم ينظر مرة أخرى فيجد هذا الكائن الغريب أمامه قَدُ تحرك في لمح البصر. يسقط على الأرض وقد أُزيح عنه غطاء عينه؛ ليرى العديد من الجان حوله ورسمة على الجدار فيها رجلان على الأرض وبركة من الدماء حولهما؛ ليدرك قبل موته أن هذين الرجلين هو وصديقه. ثم يفارق الحياة سريعًا.

***

على منضدة ضخمة داخل القصر الذي شهد مقتل مجموعة من أهم الأشخاص داخل غرفهم بطريقة عجيبة يجلس خمسة من الرجال يتناولون الطعام الشهي الذي أُعِدّ لهم حتى يفرغوا منه، ثم تشير رنا إلى الخدم لأخذ الصحون الفارغة وجلب المشروبات الساخنة، وبعد الانتهاء من ذلك في سرعة ونظام ينظر الجميع إلى الفتاة، التي تقول وهي تنظر إلى أعلى الدرج المحاط بستار أسود مريب:

- دلوقتي ميعاد حديث الرئيس ليكم، يا ريت كله يركّز في كلامه عشان الرئيس مش بيعِيد كلامه أبدًا.

يوجهون نظرهم ناحية الصوت، الذي يقول في ثبات ودون رؤية وجه مصدره:

- في البداية أود أن أرحب بكم لحضوركم هنا بعد إبلاغكم للقدوم إلى هنا، سأعرّفكم أولًا من أكون أنا؟ ولماذا أتحدث من وراء

هذا الستار؟ أنا أُدعَى الرئيس مسعد، وبالطبع اسمي هذا ورد أمامكم وليس بالغريب عنكم؛ فأنتم الرجال المخلصين لأتباعي القُدَامَى. أو بالأحرى أتباعي الموتى!

عند قول مسعد هذه الكلمات يبلع المستمعون ريقَهُم بصعوبة، وتجحظ عيونهم في خوف دون أن ينطق أحد منهم بكلمة واحدة، ثم يتابع مسعد حديثه قائلًا:

- أحدِّثُكُم من وراء الستار؛ لأنه من يراني فقد حَكَمَ على نفسه بالموت؛ فالشخص الذي يرى الرئيس باستثناء رنا والرجل الضخم الذي رأيتموه على باب القصر سيموت. لقد اخترتكُم لتكونوا خلف هؤلاء الحمقى؛ فلا تصبحوا مثلهم؛ فالحماقة لا تُورَث إنما تُكتَسَب، والآن سنتحدّث عن العمل الذي سأكلفكم به، سنقوم سويًا بافتتاح شركة للسياحة هدفها الأول هو القيام برحلات سياحية في كل أنحاء مصر بأسعار مخفَّضة لجلب العديد من العملاء، وفي نفس الوقت تقديم خدمة ممتازة، ولا تقلقوا.. المصاريف جميعها سأتحمَلها أنا، لكن سأكون في الخفاء، وأنتم صفوة المجتمع ستكونون أصحاب هذه الشركة للعلَن، هل هذا مفهوم؟

يجيب الجميع في صوت واحد خافت:

- مفهوم يا رئيس.

يقولون هذا والخوف يتملكهم؛ فهم يعرفون أنه هو من قتل الجميع، وأنه لا سبيل لهم لمعارضته أو حتى التقصير في عملهم معه، ومن يفعل ذلك سيلقى مصيرًا مشابهًا لرؤسائهم القُدامَى.

يُكمل الرئيس قائلًا:

- ستبدؤون ومن الآن في إجراءات إنشاء الشركة، ولتتخذوا منطقة راقية في القاهرة لتكون مركزًا لها، وعندما تنتهي كافة

الإجراءات ستُعلِنُ في الجرائد عن حاجتنا لموظفين ويبدأ العمل بها، والآن انصرفوا إلى أن أجمَعَكُم مجددًا من أجل الحديث عن المقابر.

ينصرفون مسرعين للخارج ليبدؤوا في كافة الإجراءات الخاصة بإقامة الشركة كما أمرَهُم مسعد دون إدراك لماذا يفعلون كل هذا! وما الغرض الخفي للشركة؟!

بمجرد أن ينصرف الخمسة رجال حتى يزيح مسعد الستار ويتخذ الدَرَج للأسفل؛ ليجلس على إحدى المقاعد. ثم تحدثه رنا قائلة:

- انت ماقولتلِيش يا رئيس إننا هنعمل شركة سياحة، أنا مستغربة ليه القرار المفاجئ ده؟

يرد مسعد وهو يرشف من فنجان القهوة الذي أمامه:

- هذه خطة ستجلب لنا كل شيء. سنستطيع من خلالها إرسال ما نريد من الرجال نحو مواقع المقابر مستخدمين هذه الشركة كغِطَاءٍ لنا. شركة السياحة هذه هيَ المفتاح.

ترد رنا في لهفة:

- مفتاح؟! مفتاح لإيه؟

- مفتاح جلب صديقنا سعفان إلينا؛ فكل هذا من أجله هو والإرث الذي لا نعلم طريقه بعد.

تبتسم رنا لذكاء رئيسها وحنكته؛ فقد فهمَت ما سيفعل، لتسأله ضاحكة:

- أظنّ دلوقتي جِه الوقت اللي هزوّد فيه عدد عشايري فالنهاية قربت.

يبتسم مسعد ناظرًا إليها وهو يقول:

- اقترَبت جدًّا.

***

- الإرث! عن أي إرث تتحدث يا هذا؟!

تقول ذلك وداد وهي تحاول أن تكون ثابتة أمام الرجل الذي لا تعرف من أين جاء وكيف عرف كل ذلك عنها؟

يقول الرجل وقد اعتدل في جلسته:

- أستعجب كيف لامرأة مثلك أن تقوم بمثل هذه الأعمال الشيطانية! فعلى حسب علمي بكِ أنتِ من أسرة صغيرة لا قِبَلَ لهم بهذه الأشياء، لكن يعجبني مستواكِ؛ فمن يستطِع إحضار سباعية أبانوخ يصبح مَلِكًا دون مُلكٍ وقاضٍ دون عصاه.

هنا تفقد وداد أعصابها ويتملكها الغضب؛ فهذا الغريب يعرف أكثر من الجان أنفسهم، ربما يكون أحد السحرة الذين يطمعون في قوة لم تعرفها بَعْد، لكنها وبصوت خافت تقول:

- حسنًا، لماذا لا نجلس وتخبرني من أنت؟ لعلنا نكون أصدقاء.

يضحك الرجل وهو ينظر لعينَيْ وداد الجميلتين قائلًا:

- هل تعلمينَ أن وجهكِ يُدخِل السرور إلى قلبي؟ لماذا لا نكون أكثر من أصدقاء؟

هنا تستشيط الفتاة غضبًا، لكنها تكتمه؛ فهيَ تريد أن تُنهي كتاباتها سريعًا، والدخول في معركة مع هذا الرجل الآن قد يؤدي إلى عواقب وخيمة؛ لذا وبدهاء تقول له بصوت خافت:

- حسنًا، لكن هل يمكنني أولًا إنهاء ما أفعل؟ فقط تبقّى لي القليل وسأكون معك، فهل يسمح السيد الغريب بذلك؟

بكل غرور يجلس الرجل على المقعد ويُمسك المشروب الساخن الذي أحضرته له، وهو يرشف منه قائلًا:

- أكملي؛ فإني لا أخشَى كتابات سخيفة كتلك.

تشكر وداد الرجل، وبالفعل تمسك الريشة سريعًا وتستأنف ما كانت تفعل قبل قدومه وهي شديدة الحرص على ألا يرى ما تكتبه، على الورق كتابات غريبة وأسماء حتى وداد نفسها لم تعهد بها، إنما تتذكرها من الملقِّن المختفي في الهواء، لحظات عصيبة والفتاة تتصبب عرقًا، ودماؤُها تكاد تتجمد خشية أن يقاطعها الغريب وهي الآن على مقربة من الانتهاء، لكن ولحسن حظها ولغرور الرجل تُكمل ما بدأته إلى أن تضع آخر كلمة (بكس)، هنا تلمع عينا الرجل؛ لينتفض من مكانه ويصرخ قائلًا:

- لا أصدق! هل هو من علّمك؟ هل هذه الكلمة تعني صندوق؟

تصعق وداد لسماعها تلك الجملة، وكيف للرجل أن يعرف معناها؛ ليتابع الغريب حديثه في سخط قائلًا:

- هذه لغة البشتو، لقد رأيتها سابقًا، إذًا هو معكِ.. سأقتلكِ إن لم تخبريني ما هذه المخطوطة.

تبتسم ذات العيون الخضراء وهي تقول:

- لقد انتهى كل شيء؛ فقد عرفتُكَ وأعرف كيف لغرورِكَ أن يجعلك تظن أنه لا شيء يستطيع أن يقهرك.

هنا يستشيط الغريب غضبًا، ومرة واحدة يُمسك الهواء بقبضة يده كأنه يُمسك أحدهم؛ فتُصعَق الفتاة من المشهد، إنه يُمسك أحد

خُدّامها السبعة من الجان يخنقُه، لا تصدق ما ترى، هل يُعقَل أن يُمسك بشريٌّ الجان ويفعل به هذا؟!

ترجع خطوتين إلى الوراء والرجل يحكم قبضته. وهي ترى أحد أقوى الجان يختنق كأنه قطّ صغير، يتقدم الغريب نحوها وهو يقول:

- الآن سأريكِ معنى الغرور.

يحول وجهه يمينًا ويسارًا؛ فهنالك تحركات غريبة حوله.. إنهم الستة الباقين يهجمون عليه، وأثناء ذلك يحترق الجان الذي كان يمسكه، ومرة واحدة يقول فقط جملة مكوّنة من أربعة كلمات؛ لترى وداد جنودها الأقوياء واللهيب يخرج من قلوبهم وهم يصرخون، غير مصدقة هل هذا حقيقيّ؟ هل هذا بالفعل يحدث؟ فتقول وقد تملكها اليأس بصوت يكاد يخرج من حنجرتها:

- مَ ما مَن أنت؟!

يتقدم الغريب نحوها وقد أخرج سكينًا، وهو ينظر إليها قائلًا:

- لا يهم معرفة من أكون، لكني سأسألكِ ما هو أهم، هل تعتقدين أنكِ ستدخلين الجِنّان؟ أم أنكِ ستشتعلِين في لهيب الجحيم؟

هنا تفقد وداد النطق؛ فقدْ ذكّرتْها تلك الكلمات بإله قد نسيته تمامًا، بالله الذي وبالتأكيد بعد كل ما فعلته مصيرها هو الجحيم، نار خالدة لا هروب منها ولا مفرّ، تبكي وداد بشدة وتسقط على الأرض؛ فهي على حافة الموت الآن، ومع مقربة الرجل منها تقول بصوت يرتعش:

- أأأ أشـ أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهـ..

لكنها وقبل أن تُكمل الشهادة يقاطعها الغريب قائلًا:

- وداعًا، فلا شهادة لكِ اليوم.

وهو يصوب السكين نحوها، يُكسَر باب المنزل ليتوقف السكين أمام رقبة الفتاة، ثم ينظر الاثنان إلى سبب حدوث هذا؛ فيسمعون صوت خطوات تتقدم ببطء إلى أن يقف أمامهم رجل ضخم الجثة، فيقول سريعًا الغريب:

- من أنت؟

ليُزيح الرجل الواقف أمامهما الغطاء عن جسده؛ فيقع السكين من الرجل الغريب الذي يقول وعيناه لا تصدق وبصوت مرتعش:

- جودفـري.

***

على الأرض التي لا نعرفها؛ حيث الأبعاد التي لم نعهد بها وحيث يسكن الجان، في الصحراء يجلس حراس الهيكل في البقعة الخاصة بهم يأكلون العظام والرَّوَث، ولا يستطيع أي فرد من العشائر الأخرى الاقتراب من هذه البقعة؛ فبطش الحراس شديد والجميع يخشونهم، وأثناء ذلك يدخل عليهم فرد غير مألوف بينهم؛ ليقوم أحد الحراس ويشهر جسده ليوقفه القائد قائلًا:

- اهدأ؛ فهذا سانوخ.

ليعود مرة أخرى إليهم، يتقدم سانوخ منهم وهو يقول في مهابة خيفة منهم:

- أيها القوم العظام، لقد أحضرتُ انتصار وجعلتُ صيتها كبيرًا بين البشر، اليوم انتصار تفك العقد والسحر الأسود وكل هذه الأشياء التي تجعل بني الإنس في كرب شديد، حتى أحبَّها الجميع ووثقوا أنها شيخ بعثه الله لإنقاذهم.

يضحك القائد وهو يقول لسانوخ:

- عظيم، والآن ما هو الدور الذي يجب أن نقوم به يا ملك الدهاء؟

يجلس سانوخ وهو يقول وقد تحوّل صوته:

- ما يحدث الآن في عالم البشر لا يُطَمْئِن؛ فمنذ ظهور هذا الفتى سعفان الذي لا أعلم عنه شيئًا وكل المقاييس تغيّرَت، زائد أنني سمعتُ أن هنالِكَ فتى يُدعَى مسعد شديد القوة يتحكم في عشائر غلاظ لم نسمع عنهم يومًا، وأستمحِيكم عذرًا قد يفوقنكم في القوة.

عندها يترك جميع الحراس ما يأكلون وينصتون بحرص إلى سانوخ، الذي يُكمل قائلًا:

- لا أعرف حتى الآن هدف هذا الشاب، إنما بلغني أنه يقطن في قصر شمهروش.

هنا يقول أحد الحراس سريعًا:

- ماذا تقول؟! كيف استطاع فعل هذا؟! حتى نحن لا نقدر حتى على الاقتراب منه؛ فهذا القصر معروف أنه لا يقترب منه إنس أو جان؛ فنحن لا نعرف من يسكنه، هل جاء اليوم الذي يكون فيه البشر أقوى منّا؟! هذا مستحيل!

يرد سانوخ قائلًا:

- نعم.. هذا ما شعرت به عندما جاءني الخبر، لقد انضمّ إلى الألغاز المحيطة بنا لغزُ مسعد الذي لا نعرف عنه أيّ شيء. في البداية وضعتُ خطة تقتضي أن نقتل سعفان، والمفتاح لفعل هذا هو انتصار؛ فنحن لا نستطيع قتل مجهول، وأيضًا لا نستطيع اختراقه دون معرفة السبب؛ لذا سأوهم انتصار أنكم أتباعها وتحت إمرتها؛ حتى يذيع صيتها ونسيطر عليها تمامًا لنجبرها على قتل سعفان، فحتى

وإن لم يمثل لنا خطرًا الآن فقد قام بحرق أحد أتباعنا أثناء محاولتنا اقتحام عقل الفتاة التي تُدعى أمنية. أما بالنسبة لمسعد فلا حل لنا إلا الانتظار؛ لنرى ما وراء هذا الشاب ومراقبته حتى لا يُقضَى علينا جميعًا.

يقول أحد الحراس لسانوخ:

- وكيف لنا أن نراقبه؟ هل نخصص عددًا منا لفعل ذلك؟

- لا، أنتم لا تستطيعون التحول إلا لبشر. على عكسي أنا وجنودي: فنحن لنا القدرة على التحول إلى هيئة حيوانية أو لحشرات صغيرة فلن يلحظنا. بالإضافة إلى أنكم في هيئتكم البشرية يسهُل على مسعد هذا قتلكم.

هنا يخاف الحراس: لأنهم ولأول مرة يسمعون هذا المصطلح، وأنه يوجد كيان على هذه الأرض قادر على الإطاحة بهم.

يستقر الجميع على هذه الخطة وبالفعل يشرعون في تنفيذها.

***

تمر فترة من الوقت، الشهر يكاد ينقضي وسعفان وأمنية يزدادان قربًا يومًا بعد يوم، وها هو حديث آخر على تطبيق الواتس بين الاثنين..

أمنية: سعفان، أنا مش مصدقة إننا فعلًا بنقرّب من بعض بالشكل ده، هل معقول فعلًا فيه حاجة في الدنيا دي برّا المنطق والواقع؟

سعفان: أنا زيّك مابصدّقش إن ممكن ده يحصل، معرفش إيه القدَر اللي خلّاني أعرفِك صدفة. وأحلم بيكي وانتي تحلمي بيَا، بس كل

اللي عارفُه إني بقرّب منك أكتر، أنا حياتي كانت أشبه بالجحيم، وانتي جيتي في وقت كنت محتاجك فيه.

أمنية: مانْكِرش إني كمان كده وأكتر، بس فيه حاجة لازم أقولهالك يا سعفان.

سعفان: حاجة إيه خير؟

أمنية: سعفان، من غير مقدمات كتير أنا مسحورة.

هنا يتسمّر سعفان مكانه، وتتحول ابتسامَتُه إلى عَبَس غير مُصَدِّقٌ ما يرى، ليحدّث نفسه قائلًا:

- مسحورة! أمنية تعاني أيضًا من هذه الأشياء، هل هذا هو سبب معرفتي بها؟ هل جمعنا السحر والأذى لننقذ بعضنا البعض؟! لكن هل أنا مستعد لمساعدتها؟! هل سأكون سندًا لها أم أنني عِبءٌ جديد.

هنا يقطع تفكير سعفان صوت رسالة أخرى من أمنية؛ فيراها سريعًا...

أمنية: سعفان، أنا قولتلك كدَه عشان انتَ ممكن تعاني بسببي، وأنا دايمًا حابسة نفسى في أوضة مش بكلّم حد؛ فبخبَّرك دلوقتي لو مش عايز تكمل قول، وهكون مقدّرَة جدًا لده أحسن ما تِتعَذّب بسببي. أنا اتسَحَرت من غير ما أعرف ازّاي، وروحت لشيوخ كتير، بس حالتي دايمًا لأسوأ.

ثم تبدأ أمنية في سرد معاناتها كاملة إلى سعفان.

يُفكر قليلًا، ثم يُمسك هاتفه ويتصل على أمنية مجددًا...

- ألو.. أيوَه، بُص.. مش عايزَه إنك تتسرع...

وقبل أن تكمل الفتاة جملتها يقاطعها سعفان قائلًا بصوت ثابت:

- أُمنية، أنا بحبك.

لحظات من الصمت من الجانبين؛ فهذه الكلمة قد جعلَت لسان الفتاة متصلبًا لا تعِي ماذا قال سعفان لها، الذي يُكمل قائلًا:

- أنا بحبك، ودي أول مرة أقولها لبنت في حياتي، أنا يمكن أُعجَبْت قبلك بأشخاص وكان ليّا ماضي، لكن ماقولتهاش لحد، انتي أول شخص أقولهَالُه يا أمنية بصوتي وبصِدْق، وآخر شخص، معرفش إيه الميزة فيكي أو فيّا حتى، بس سحر أو غيره أنا جمبك، ومع بعض هنعدي كل ده، وأنا ليّا خبرة في الأمور دي وهساعدِك.

هنا تذعر أمنية التي تقول:

- خبرة ازّاي يا سعفان؟ انت ساحر؟

يُجيب الفتى سريعًا:

- لا طبعًا مش ساحر، بس تعرَّضْت لمواقف كتير في حياتي مؤلمة بسبب القصص دي، وعارف قَدّ إيه مهلكة، أوعدك إني مش هسيبك.

تصيب كلمات سعفان هذه أمنية، ولأول مرة منذ فترة طويلة من الألم تشعر بالطمأنينة: فأخيرًا يبدو أن الله بعث لها من ينقذها من طيات الظلمات، وأن الحياة قد تبتسم لها، ثم تقول:

- سعفان إيه رأيك نصلى صلاة القيام سوًا؟

يسمع الفتى هذا الاقتراح ويتحمس له كثيرًا؛ فهذه أول مرة له يصلي هذه الصلاة، لم يصلِّها يومًا، وقد أحب هذه العلاقة التي ستُولَد بالقرب من الله، والتي تتخذ الطريق للخروج من مأساة السحر والأعمال.

وبالفعل يبدأ الاثنان في محاولة الخروج من كل هذا؛ فأمنية أكثر صلة بالله من سعفان.. تحافظ على صلواتها وشديدة التعلق بالقرآن.

حتى أنها لم تكن لتتزوج من رجلٍ لا يُصلي؛ لذا وبمرور الأيام يزداد قرب هذين الاثنين. أكان في أحاديثهما التي تستمر بالساعات حول الحياة، أو القدر الذي يخافان منه ويحبّانه لجمعهما ببعضهما البعض، أو الصلاة وصور الآيات التي ترسلها أمنية لسعفان لكي يقرآها سويًا، وهي تروي له قصة كل آية وسبب نزولها، والفتى شديد السعادة بهذا القرب منها ومن الله؛ فأخيرًا تبتسم له الحياة، وأخيرًا يجد ضالته، حتى يأتي اليوم الذي ودون سابق إنذار، وأثناء نقاشهما حول سورة أخرى من القرآن تقول أمنية في وسط الحديث:

- سعفان، أنا بحبك.

لا يصدق الفتى ما يسمع، حتى أن هاتفه وقع منه وأخذ يجري في أرجاء الغرفة كطفل صغير تاركًا إياها على الهاتف، فيمسكه سريعًا وهو يقول:

- اليوم ده عمري ما هنساه في حياتي، انتي أكبر نعمة جاتلي من ربنا، ومستحيل أفرّط فيكي.

حتى أنه عاهدها أنه كل يوم سيقول لها قسَمًا أنه لن يتزوج غيرها طالما يعيش على هذه الأرض، تتحرّر الفتاة من ظلامها ومن غرفتها التي احتضَنَت بكاءها وقلة حيلتها؛ لتخرج إلى النور متفائلة بحياة جديدة وشخص جديد وقدَرٍ قد يكون مغايرًا، وأمها فرحة تلحَظ تخلّص ابنتها من كل هذا الظلام، لتشكر الله على استجابته لدعواتها متمنية أن تدوم هذه السعادة.

***

يجلس عم شوقي على إحدى المقاهي وبجانبه رجل هيئته غير مطمئنة يتحدثان معًا بصوت خافت:

- خير؟! حصل حاجة والرئيس بعتك عشان كده؟

- نعم يا شوقي، الرئيس يريد أن يعرف ما التطورات بشأن جثة د.حامد، هل حلّلتَ طبيعة الوشوم؟

- لا لسَّه، أنا محتفظ بالجثة مع الخُدّام بتوعي وبحاول كل يوم أوصل لحاجة، بس مفيش فايدة.

- ماذا تعني بقولك؟ هل تقصد أن أُخبِر الرئيس أنك فشلت؟

هنا يذعر شوقي، ويقول مسرعًا:

- لا لا ماتقولش كدَه، أنا بس عايز وقت أكبر، ممكن بس تكدب عليه تقولُّه إن..

هنا يقاطع الرجل الآخر كلام شوقي قائلًا بصوت مرتفع:

- الجان لا يكذب.

- وطّي صوتك الناس هتسمعنا، انتَ فاكر إن عادى الجن يتحوَل لبشر ويقعدوا معانا كده.

- حسنًا، لكن كما ذكرتُ سابقًا نحن لا نكذب. إما أن أقول الحقيقة أو تعطينا الإجابة.

- طيكل، أنا ياما خدمتكم بإخلاص، وماتنساش إني الوحيد اللي قِدِر يخترق سعفان في أحلامه وإني لازم أكمَل انتقامي، مش لازم تقول للرئيس حاجة ونخلي زي كل شغل بنعملُه سوّي الأمور بينّا وأوعدك قريب هعرف الحل.

- حسنًا، سأحاول حلّ الأمر، لكن أسرع: فأنت تعرف أنني لا أقوى على مواجهته.

- ماتقلقش، أنا مستغرب بس ازّاي دكتور شاب في جامعة يطلَع بالذكاء ده، أنا شوفت كل الوشوم اللي نعرفها ومفيش أي وشم مشابه للي على الجثة دي، نِفسي أعرف حتى رسمَة ليه.

- أنتم يا بني أدم لا تنتهي وسائل الدهاء عندكم؛ فنحن الجان وعلى عظيم ما نفعل لم نصل لهذا المكر؛ فليس من المنطقيَ وعلى مدار آلاف السنين تستمرون في الخدع الخاصة بكم وتكتشفون في عالمنا ما لم نكتشفه نحن، حقًا يجب أن يهلك الجميع.

يضحك شوقي الذي يقول:

- اللعبة ممتعة قوي، وفيها أطراف كتير، بس يا ترى مين هيموت في الآخر يا صديقي، اشرب الشاي اشرب، ولا أجيبلَك سحلب من بتوعي؟

***

اتجه مسعود الصحفي إلى المقطم؛ حيث يوجد هناك إحدى المستشفيات النفسية والعصبية، يدخل ويسأل عن أحد النزلاء الذي يُدعى: أمجد راضي، هذا الشاب الذكي الذي صار رجلَ أعمال مشهور في وقت قصير، وقد جاء مسعود إلى هنا للتحقيق في اختفاء أربعة من كبار رجال وسيدات الأعمال في القاهرة، وذلك بالتزامن مع دخول أمجد للمشفى هنا، وبسبب علاقاته التي تطوَرَت كثيرًا بعد قضية المقبرة استطاع المجيء إلى هنا لزيارته والتحدث إليه، يذهبُ إلى أحد أركان المستشفى الخاصة وهو جناح يتواجد به المرضَى ذو الإمكانيات المادية العالية، وبالطبع أمجد واحد منهم، يذهب هناك ليرى مبنى ضخمًا مجهَّزًا بأحدث الأجهزة، كل غرفة يتواجد بها اثنان من المرضى فقط، ولكل دور حمّامٌ خاص به، وطبيب أيضًا يتابع الحالات يوميًا من أجل ضمان السلامة وخروجهم مما يعانون منه، الحالات كثيرة:

فمنهم من خَسِر أمواله فأصابته نوبة عصبية، ومنهم من خَسِر حبيبته أو حتى ذاته! تتعدّد الحالات والنتيجة واحدة: اضطراب عصبي يحتاج إلى عناية؛ فهؤلاء بشر كانوا قبل وقت قليل يُكِنّ الجميع لهم كل احترام وتقدير. يصل مسعود إلى الجناح الذي يتواجد به أمجد، ليرى الطبيب الذي يتابع حالته؛ فيذهب إليه أولًا قبل مقابلة الرجل المقصود.

- لو سمحت يا دكتور.. كنت عايز أسأل حضرتك عن حالة أستاذ أمجد راضي، أخباره إيه دلوقتي؟

يجيب الطبيب وهو يهز رأسه قائلًا:

- الحقيقة أنا شوفت حالات كتير، بس حالة أمجد دي غريبة: بيقول دايمًا كلام مش مفهوم واضطرابات كلامية؛ في الأول تشخيصي ليه كان paranoid، ودي نوع من أنواع الإسكيز بتمييز بإن المريض بيمرّ بهلاوس بصرية وسمعية. بس مع الوقت حالته اتشخّصِت Hebephreni، ودي نوع مختلف من الإسكيز، واللي هيّ حالة أمجد، عبارة عن إن المريض بيكون عنده معتقدات وتصرفات غير مفهومة وغير سوية، وكمان طريقة كلامه مش منتظمة زي ما بنتكلم كده، لحد امبارح.. تطورت الحالة وبقت إسكيز من غير أعراض، وده شيء نادر بنسميه في الطب schizophrenia undifferentiated، أنا على مدار 15 سنة في المجال ده أول مرة أشوف حالة بتتحوّل بالشكل السريع ده، وخلال أسبوع واحد بس!

يندهش مسعود لما يقول الطبيب ويبدأ في تحليل هذا الكلام وهذه المصطلحات الطبية المعقدة، ليقول:

- ممكن يكون ده بسبب الظروف اللي دخل بيها المستشفى، أنا عرفت إن أهله حد اتصل بيهم قالّهم إن أمجد في الشارع وفي حالة

عصبية شديدة، وده اللي خلّاهُم جابوه هنا، ومحدش لحد دلوقتي عارف هو كان فين أو حصلّه إيه؟

- الصراحة معرفش، ممكن يكون ده سبب، بس دي مش مهمتنا احنًا هنا، المهم عندنا نرجع الحالة لطبيعتها بقدر الإمكان.

يشكر مسعود الطبيب، ثم يسأله هل يستطيع أن يرى أمجد هنا أم لا؛ فيخبره بأنه سيراه في الأسفل؛ فهذا لا يحدث، لكنه وبسبب علاقاته هنا وبالخارج، وأيضًا لأنه أخبرهم أنه هنا من أجل التحقيق.

ينتظر مسعود أمجد بالأسفل ليأتي إليه وهو يفكر في كلام الطبيب مرارًا وتكرارًا، يُقلّب الأمور في رأسه؛ فهو يعرف تورّط رجال الأعمال مثل أمجد في تجارة الآثار، هل يكون ما يحدث للدجالين والسحرة وكُتّاب الرعب هو أيضًا ما يحدث مع أمجد؟ أفكار كثيرة تلوح في خاطره دون أجوبة، لكنه يأمل في أن يكون رجل الأعمال هذا مفتاحه للوصول إلى حل لذلك اللغز المعقّد.

لا ينتظر الصحفي كثيرًا حتى يجد شابًّا طويل البنية يمشي بخطوات غير منتظمة وبجانبه اثنان من الممرضِين يساعدانه على السير، يقف مسعود من هَوْل ما يرى وهو يقول داخل نفسه:

- هل هذا هو رجل الأعمال المشهور الذي تملأ صوره الجرائد الوطنية؟! ماذا حدث معه ليصل به الحال إلى هنا؟!

يشعر مسعود بالخوف والقلق؛ فهو يشعر بأنه يواجه خطرًا أكبر بكثير من مجرد مقبرة أو جنون مفاجئ لشاب.

يجلس أمجد أمامه دون أن يوجه نظره إليه، إنما ينظر إلى أحد الأرجاء كأنه يرى شيئًا يعرِفُ أنه لن يراه أحد غيره، ليكسر مسعود هذا الصمت قائلًا بصوت ودود:

- أمجد باشا، أخبارك إيه؟ وعامل إيه هنا؟

ينظر له رجل الأعمال دون أن يتكلم، ثم يحوّل نظره مرة أخرى إلى البقعة التي يثبت نظره عليها، يستاء الصحفي من هذه البداية، لكنه يكرر السؤال ولكن دون جدوى، يشعر مسعود بأنه لا فائدة من محاولة التحدث لهذا الشاب؛ فعقله قد ذهب تمامًا، وبعد العديد من المحاولات والأسئلة مثل: أخبارك؟ ماذا تفعل هنا؟ لماذا جئتَ إلى هذا المكان؟ أين كنت الليلة التي سبقَت مجيئك؟ جميعها باءَت بالفشل وأدت إلى يأس مسعود، الذي قرّر ترك هذا الشاب؛ فهو لن يحصل منه إلا على هذا الصمت، وقبل أن يقوم يسأله سؤالًا أخيرًا على أمل الحديث قائلًا:

- طيب انت تعرّضْت لأي حاجة غير منطقية؟ مثلًا لو هنقول سحر أو جن؟

بمجرد أن ينطق مسعود هذه الكلمات حتى يتحوّل جسد أمجد بالكامل إليه، ونظره يثبّت عليه؛ ليدب الرعب في قلب مسعود الذي يرجع في جلسته إلى الوراء.

- دلوقتي بس أقدر أتكلم معاك، أنا متراقب!

هنا يتحمس الصحفي كثيرًا، ويقول:

- متراقب! مين بيراقبك؟! وعايزين منك إيه؟ وهما السبب في اللي انت فيه؟

يرد أمجد بلغة غير سليمة:

- الشا.. ال.. الجن بيراقبوني، واحد منهم قاعد هناك أهُه.

يسمع مسعود هذه الكلمات: فينخفض حماسُه ويتأكد بأن أمجد ذهب بلا رجعة. لكنه وقبل أن يقوم يسمع كلمات جادة تأتي من رجل الأعمال:

- أنا كنت في قصر مسعد الرئيس اللي جِه من السفر. محدّش هيصدقني. بس الجن حوالينا وفي كل مكان! كلنا هنموت لو ماوقّفتُهوش. ده شيطان.. شيطان.. الجن حوالينا.. كلنا هنموت لو ماوقّفتُهوش.. ده شيطاااااان.

يستمر أمجد في تكرار الجملة. ومسعود لا يهمه إلا جملة واحدة من كل هذا.. قصر مسعد. من يكون صاحب هذا الاسم؟ ومن أي بلد قد جاء؟! لكنه يقرر أن يبحث في سجلات المسافرين عنه: فلحسن حظه هو اسم غير دارج وسيسهل عليه إيجاده. يشكر الصحفي أمجد ويقوم من مكانه. لكنه يلحَظ تشنّجات حركية بجسد الشاب. الذي وهو يقاومها يقول:

- أوضة 40.. أوضة 40.. قصر المعادي.

ثم يتدخل الطاقم الطبي على الفور بإعطائه حقنة مهدئة. ويغادر مسعود الذي وبكلّ تأكيد لن يترك مثل هذه القضية المثيرة تمر هباءً من تحت يديه.

***

أنهى قصي دروسه بالأعلى. ثم اتجه سريعًا نحو المنطقة المهجورة لكي ينزل إلى المقبرة. فقد قضَى فيها حتى الآن قرابة الشهر. واليوم هو ميعاد توزيعه على إحدى الأركان بعدما أنهى تعلّم الأساسيات في وقت ضئيل أدهَشَ كل المعلمين. يهبط في حذر ليجد الساحة الأولى. ثم الممر الضيق. وأخيرًا الساحة المكتظة بالطلاب.

- مرحبًا بك يا قُصيّ. لقد تأخرت.

يرد الفتى في أدب:

- عذرًا يا مُعلم: فهذا بسبب الدروس الحمقاء التي أضطرّ إلى سماعها بالأعلى.

يضحك الشيخ ثم يقول:

- حسنًا، اليوم هو موعد توزيعك، وقد أخبرنا الشيخ حسن أن رغبتك رُكْن المشاميد، هل هذا صحيح؟

يجيب قصيّ في عجلة:

- نعم، أنا أريد هذا الركن وبشدة.

يندهش المُعلم لما سمعه من الفتى، ليقول:

- هذا الركن شديد الخطورة يا بنيّ، لا أحبّذ أن تبدأ به؛ فقد اختارَهُ العديد من التلاميذ في السابق، ولم يعِش منهم إلا الاثنين اللذين يتواجدان الآن، كما أن معلمه شديد الخطورة والجميع يخشاه، من رأيي اذهب إلى ركن التحاضير والحصون؛ فهو الأكثر استخدامًا وتأثيرًا.

يُجيب قصى بامتعاض:

- لا.. لا أريد أي ركن إلا ما اخترت؛ فهذه رغبتي ولن أتراجع عنها.

ومع إصرار الفتى يوافق المُعلم على توزيعه على هذا الركن الخطر، وقد تميّز بأنه يوجد في منطقة بعيدة عن باقي الأركان، في جزء منعزل من الساحة الضخمة، وذلك حرصًا من المعلمين على حياة الجميع، وحتى لا يروا ما يحدث به.

يذهب قُصيّ مع معلمه الذي أتمَمَ معه جميع بدائيات السحر إلى منطقة منعزلة من الساحة؛ حيث يقبع الشيخ داوود، أثناء تقدّمه

نحوه يرى رجلًا يرتدي جلبابًا أسود اللون وغطاء رأس أسود كذلك، وجهٌ جاف صارمٌ، وقوة تشعر بها بمجرد النظر إليه، يجلس أمامه فقط أثنان من التلاميذ: أحدهم فتى يكتب على بردية، والآخر فتى أسمر اللون ينصت إلى الشيخ في اهتمام شديد.

- السلام عليكم يا شيخ داوود، جئت إليك اليوم بتلميذٍ جديد عسى أن تجدَ ضالَّتَك فيه؛ فقد كنتَ بحاجة إلى تلميذ ثالث.

يترك الشيخ وتلاميذه ما يفعلون؛ لينظروا إلى الفتى القادم إليهم، ثم يقول في صوت مليء بالاستهزاء:

- وهل هذا الفتى الضئيل هو ضالتي؟! لكن لا يهم؛ فمنذ سنين لم يأتِ تلميذ واحد إلى هنا.

يسمع قُصيّ هذه الجملة؛ فترتعد أطرافه، ليلحظ الشيخ ذلك ويقول:

- إن كنتَ خائفًا من الآن يا صغير؛ فالأفضل لك الهروب حتى لا تلقَى حتفك.

يُمسك قُصيّ عمامته قائلًا:

- لستُ خائفًا، بل شديد الترقب لما سنفعله هنا.

ثم يتحرك ناحية المقعد الفارغ ليجلس عليه.

يندهش المُعلم ممّا قاله قُصيَ، على عكس الشيخ داوود الذي ابتسم وهو يقول:

- بداية عظيمة أرى فيها ما أريد.

يترك المُعلم الركن المظلم هذا، ويذهب تجاه الساحة ليتابع أعماله، ويبدأ الشيخ داوود في التحدث قائلًا:

- الآن ومع قدوم قُصيّ اكتمل الفريق، في البداية سأشرحُ لكَ ماذا نفعل هنا، ولكن قبل ذلك سأعرّفُك على زميليك الجدد: الأول يُدعَى سليم من العراق، والآخر أوديون من أفريقيا، هذان الاثنان أنجَبُ تلاميذي، والوحيدان المتبقيان على قيد الحياة، ثانيًا وقبل أن أذكر ما الذي نقوم به هنا عليكَ تلاوة هذا القَسَم الذي سأجلبه لك؛ فإن لم تفعل لن تبقَى معنا.

يجيب قُصيّ في الحال:

- بالتأكيد، أعطني القَسَم وسأتلوه.

يُعطي سليم البردية التي كان يكتبها لقُصيّ، وهو يقول له:

- تفضل حتى تصبح معنا.

يُمسك الفتى البردية ويقرأ ما فيها دون أن يفكر:

- أقسم بالعهد الأول لسليمان والثاني للجان والثالث لداوود بأني سأحفظ الميثاق وأزين الآفاق، حتى يأتي اليوم المشهود، فإن خالفتُ ما سردت: فالموت قدري والعذاب موطني. هذا القسم سيفٌ على بني آدم ما حييت.

بمجرد أن ينتهي الفتى من قراءة القسم حتى يضحك الشيخ وهو يقول:

- الآن سأخبركَ بكل شيء، نحن هنا نقوم كل يوم بتجربة العديد من الطلاسم المحرّمة حتى نصل لمبتغانا..

فيقاطعه الفتى متعجبًا:

- وما هو مبتغاكم؟

يجيب الشيخ داوود وعيناه تتلألأ:

- أن ننفّذ المشماد الذي قام به فتَى الملك شبسكاف.

تتسع عينا قُصيّ لسماع هذه الجملة، ثم يسأل سريعًا:

- وهل يعلم الشيخ حسن بذلك؟

- بالتأكيد، فالشيخ حسن مثلي لا يرضَى أن تقتصر أفعالنا فقط على بعض السحر الذي لن نجني من ورائه شيئًا، نحن نريد الكائن الذي حضَرَ قديمًا، نريد أن نسحَقَ المأمون.

يقول قُصيّ في تعجب:

- ولكن لماذا تخبرني كل هذا وأنا ما زلت في يومي الأول هنا؟! ألا تخشَى أن أخبر الجميع؟

يضحك الشيخ داوود قائلًا:

- وهل تعتقد أنكَ قرأتَ القسم من أجل المتعة؟ هل تعلم ما هو سبب موت معظم طلاب هذا الركن؟ لقد ماتوا بسبب تفكيرهم في الإفصاح عمّا نفعله هنا؛ فمن يفْعَل ذلك يُعذّب ويُقتل عن طريق أشد أنواع الجان بطشًا الذين يحرسونه دون أن يراهم بمجرد أن يقرأ العهد، بالإضافة إلى أن الشيخ حسن أعطاني نبذة عنك وعن ما أنت قادر على فعله؛ لذا لا قلق عندي منك.

يهز قُصيّ رأسه دلالة على الخضوع والاطمئنان، ثم يقول:

- وماذا سوف نتعلم اليوم؟ ولماذا كنتَ تحتاج إلى تلميذ ثالث؟

- اليوم سأتركك تتعرف على سليم وأوديون، ثم من الغد سنقوم بالبدء في تنفيذ المشماد، علينا المرور بخطوات عديدة قد تستغرق سنتَيْن من الآن، وقد كنتُ أحتاج للتلميذ الثالث؛ لأننا أخيرًا وجدنا طريقة تنفيذه، ولكن من ضمن شروطها أنها تتطلّب خمسة أفراد، أو

بالأحرى دماء كل واحد منهم، وأنت يا قُصيّ الفرد الخامس الذي تعرف حقيقة ما نفعله بجانب سليم وأوديون والشيخ حسن، وبالطبع أنا.

يتحمس الفتى كثيرًا، ثم يتركهم الشيخ داوود للقيام ببعض الأعمال في الأعلى.

يقول أوديون في ترقب:

- لقد تعلّمنا هنا سنينًا وواجَهْنا أخطارَ وأحلامَ الجان المزعجة التي تؤدي للجنون حتى نصل للمستوى الذي يخبرنا فيه الشيخ بمثل تلك المعلومات، فمن أنت ليخبرك بكل هذا في أول يوم لك؟

بصوت ثابت:

- أنا لا أحد، أنا أنت، أحبُّ من أحبَبْت، وأكره من كَرِهت، كم وددتُ أن أعيش وكم تمنّيت أن أموت! أنا وَهْمٌ تحوّل إلى حقيقة، وحقيقة صارَت دروب الخيال، لم أكن نفسي يومًا ما، وسأظل كذلك ما حييت، أنا فقط أبحث عن الخلود، هل عرفتَ من أكون؟

ينظر أوديون في بلاهة لقُصيّ الذي ينظر للأمام وعلى وجهه ظلامٌ ملفت للأنظار، فيقاطعهما سليم قائلًا:

- يبدو أنك تستحق هذه المعاملة؛ فأنت لستَ بحاجة للتعلم مثلنا لسنين، ثقتُك بنفسك تشعرني بقوّتك، لكن فضولي يريد أن يعرف ماهيتك، أردتُ أن أسألك نفس سؤال أوديون، لكن وبعد هذه الإجابة تأكدتُ بأنك لغز محيّر لن يُكشَف الآن.

يضحك قُصيّ قائلًا:

- لا داعي لمثل هذه المبالغة في تقديري؛ فأنا لا أعرف الكثير كما تعرفون أنتم، لكني فقط أحبّ البحث والتعلم، وأعتقد أن ذلك كافي لجلوسي هنا.

يبتسم سليم لقُصيّ، وأوديون في الوسط لا يدري هل عرف صديقه حقيقة الفتى الجديد أم أنه قد يئِسَ مبَكّرًا وقرر أن يخوض المشماد معه دون حذر.

يمضي الوقت، شهر وراء شهر والفتى الجديد صار مألوفًا للثلاثي ومحبوبًا أيضًا، كل يوم يقوم الشيخ داوود بتعليمهم كيفية نطق الطلسم المشمادي بالشكل الصحيح، وترتيب خطواته بدقة كبيرة؛ حيث أن الخطأ الواحد من الممكن أن يكلفهم أرواحهم، في هذه الأثناء تنشأ صداقة قوية بين سليم وقُصي، حتى أنها تخطَّت علاقة الفتى بأوديون، الذي ومن دون أن يدري شعر ببعض الغيرة على صديقه سليم الذي سُحِبَ بعيدًا عنه؛ فهو يعرف أنه يحب القوّة، وقُصي به هذه الصفة.

مرت قرابة السنتين الآن، ومعها تعرّضَ الفتيان الثلاثة للعديد من الاختبارات والمصاعب، وكادوا أن يلقَوا حتفهم بالعديد من التجارب، واليوم هي آخر تجربة حتى يتسنّى لهم البدء بالمشماد أخيرًا.

- أين أوديون؟

يقول ذلك الشيخ داوود والجد يملأه.

يجيب سليم وهو يلتفت للوراء:

- ها قد أتى؛ فهو لم يعتَد الاستيقاظ مبكرًا هكذا والنزول للمقبرة في الظلام.

- عذرًا يا سيدي لقد تأخرت، لكني واجهتُ صعوبة في إقناع أهلي بالقدوم؛ فهم لا يعرفون بالطبع وجهتي.

يقول الشيخ وهو يشير إلى أحد أتباعه:

- أعرف أنني جمعتكم في وقت مبكر، لكن تجربة اليوم لا يجب أن تتم وباقي الأركان هنا؛ لذا كان يجب علينا المُضيّ بها قبل بزوغ الفجر.

يستعجب قُصيّ من حرص الشيخ الشديد، يبدو أنهم على مقربة من إتمام خطوات المشماد بالفعل، وقد جاء مبكرًا؛ فهو بطبيعة الحال لا أهل له.

بعد وقت ليس بالقليل، يندهش الثلاثة فتيان بأتباع الشيخ داوود وهم يُحضِرُون له ثلاثة من الرجال مقيدين وعلى رأسهم غطاء أسود، يقف الشيخ داوود أمامهم، ثم يزيح الغطاء عنهم ليكشف عن وجوهٍ يبدو أنها لم ترَ النور منذ مدة، ثم يقول في صوت صارم:

- ما مررتم به منحنًى، وما سنفعله اليوم منحنًى آخر، هؤلاء الثلاثة المقيدة أفواههم هم سجناء قاموا بأفعال موحشة كثيرة، لا قيمة لحياتهم بالنسبة للعوام، لكنها قيّمة جدًا لدينا نحن.

هنا يفهم قُصيّ سر هذا التحفظ من شيخه، لكنه لا يصدق أنه سيجعلهم يفعلون هذا ويكتفي بالصمت، ليُكمل الشيخ داوود قائلًا:

- هل تعلمون لمَ حياتهم هامَة بالنسبة لنا؟

فيسأله أوديون سريعًا:

- لا يا معلم، لا نعلم لماذا، أجبنا من فضلك.

وقبل أن ينطق الشيخ؛ إذ بصوت يخرج من قُصيّ يقول في ثبات:

- هل تقصد أن حياتهم مهمة لنا حتى نقتلهم نحن؟

ما يلبث أن يقول قُصيّ ذلك، حتى يصرخ الفتى الأفريقي قائلًا:

- هل جننت؟! بالتأكيد هذا ليس مقصد الشيخ، أنت تهذ...

وقبل أن يكمل جملته، يقاطعه سليم قائلًا:

- أوديون، قُصيّ على حق، يتوجّب علينا قتل هؤلاء الثلاثة بأيدينا نحن؛ حتى نصبح جاهزين للمشماد.

لا يصدّق أوديون ما يسمعه، ويتعجب أيضًا من عدم تأثر صديقَيه؛ يكتفون فقط بالنظر إلى شيخهم، الذي يحوّل نظره إليه راجيًا من نظراته أن يكونا مخطئَيْن.

يقول الشيخ داوود وهو يخرج ثلاثة سكاكين ثم يضعهم على الطاولة:

- نعم يا أوديون.. كلام صديقَيك صحيح، آخر مرحلة من تعلم المشماد هو قتل هؤلاء الثلاثة، أو على الأحرى نحرُ عنقهم. عندها فقط سننفذه غدًا.

تُصيب أوديون حالة من الصرع وحركات مفاجئة، وهو يصيح في شيخه قائلًا:

- وما ذنب هؤلاء؟ هل لكي ننفّذ ما نريد نقتل؟ هل هذا ما تريد أن تجعلنا عليه؟ لقد قضيتُ السنين أتعلم لأحظَى باحترامك لي، لكني لم أعتقد بأنني فعلتُ كل هذا حتى أقتلَ بدمٍ بارد؛ فنحن سحرة لا قتلة.

يرد الشيخ داوود بصوت أجش:

- وهل تعلّمني الآن ما يجب أن أفعله؟! هل تعتقد أنكَ بتلك الكلمات ستثير رحمتي؟! من أول يوم لكم هنا أخبرتكم بأنني غير جميع المعلمين، وأن القوة ثمنها كبير، إن لم تكن قادر على فعلها فاخرج ولا تعد أبدًا، وستكون منبوذًا ما حييت.

صدمات متتالية يتعرّض لها أوديون الذي لا يدري ماذا يفعل، هل يغادر وينتهي عمل سنين رأى فيها الأهوال؟ أم ينفذ كلام شيخه وينحر الأعناق؟! وفي ظل تفكيره يشعر بيد تقترب منه لتمسكه من معصمه؛ فيلتفت مرتعدًا ليرى سليم وهو ينظر في عينيه قائلًا:

- يا صديقي، لا تترك ما مرّنا به سويًا لأجل روحٍ غير مهمة، فلا ضررَ من مقتل القاتل، ولا بد من نحر عنق السجين.

تنزل هذه الكلمات على أوديون كالبرق، يتوقف عقله عن التفكير، ويجد نفسه مرة واحدة يقول:

- حسنًا سأفعلها يا سيدي داوود.

وعيناه كادت أن تدمع.

يقف الشيخ داوود بعيدًا بعدما وضع السكاكين، ويجبر خدّامُه الثلاثة رجال على الخضوع لأسفل، يصيحون وأفواههم مقيدة، لكن إن نظرتَ في أعينهم ستجد خطوطًا ضيقة من الدماء ناتج عن ارتفاع الضغط والخوف الشديد من المصير الذي سيواجهونه بعد قليل.

يتقدم قُصيّ وسليم بخطى ثابتة، ووراءهم أوديون الذي ترتعش أطرافه؛ حتى يُمسك كل واحدٍ منهم سكينه الخاص ويقف كل فرد منهم وراء ضحيته، يبتعد الخُدّام والشيخ داوود يراقب المشهد بحرص؛ فيبدو أنه يريد مغزًى آخر من وراء هذا، ثم يقول بصوت مرتفع:

- الآن ميعاد الألم، الآن ميعاد القسم، الآن ميعاد الخطوة الأخيرة، هيّا يا رجالي الصغار قوموا بما عليكم.

ما أن ينتهي الشيخ من حديثه حتى يُشهِر قُصيّ سكينه، ودون أية شفقة يغرزه في رقبة السجين الذي يتألم، يبدو أن قُصيّ لم ينحر عنقه كاملًا، بل قطعه جزئيًا لجعله يتعذب قبل مماته، حتى ومع سريان الدماء منه يلفظ أنفاسه الأخيرة ويقع على الأرض، لا يصدق أوديون ما يرى، هل هذا هو صديقهم قُصيّ أم أنه شيطان على صورة بشري؟! لكنه يتفاجأ بصديقه المقرب سليم يقدّم سكينه هو الآخر والرجل بأسفله يهتز بشدة بعدما رأى موت صديقه أمام عينيه، لكن

وعلى عكس قُصيّ ينحر سليمُ عنق الرجل سريعًا؛ ليفارق الحياة في ثوانٍ معدودة. ثم تتوجه الأنظار إلى أوديون الذي يخرج السكين ويقربه من رقبة الرجل الذي أمامه. ولكنه لا يستطيع أن يفعلها. تتحجّر يداه والسكين بينه وبين فعلته ملليمترات قليلة. لكن ودون شعور منه بقربِ الشيخ داوود، يجد يداه توضع على يديه والسكين يذبح الرجال أمام عينيه كالشاة حتى يلقى مصير اللذين سبقاه وهو لا يصدق أنه فعل ذلك.

يترك الثلاثة فتيان السكاكين ويتوجهون ناحية المقاعد، ويأمر الشيخُ أتباعَه بتنظيف المكان سريعًا، وبعد برهة من الوقت يخرج الجميع حتى يتبقَّى الشيخ مع تلاميذه، ومن بينهم أوديون الغير قادر على استيعاب ما فعلَتْ يداه.

- الآن لقد أتممنا آخر خطوة في المشاميد، والغد هو يوم معهود لنا جميعًا، ولا أُنكِر أنكم جميعًا قدمتم الكثير واستحققتم هذا وبشدة، لكن...

هنا يترقب الثلاثة شفتَيْ معلمهم، وهو يكمل قائلًا:

- المشماد يُنفَّذ عن طريق شخص واحد فقط وأربعة أتباع.

يقول الشيخ هذه الجملة حتى تعمّ الدهشة وجوههم، ومن بينهم قُصيّ الذي يقول في قلق:

- ماذا تقصد يا شيخ؟ هل يعني ذلك أنه إما أنت أو الشيخ حسن من سيقوم بتأديته؟!

- لا، تخمينك هذه المرة خاطئ يا قُصيّ، من سيقوم به واحد نعم، لكن ليس منا، بل منكم أنتم!

هنا تُفتَح الأفواه وتجحظ العيون ويزداد القلق.

يُكمل الشيخ حديثه قائلًا:

- ما فعلتموه اليوم ليس محضَ صدفة، وإنما لأختار منكم من سيقوم بها، وقد وقع اختياري بعد حيرة عليه أخيرًا.

ينظر الثلاثة لبعضهم البعض متأهّبين، وكل منهم يفكر هل أنا أم لا؟ فأنا الذي أستحق، لقد تخطيتُ كل المصاعب لماذا لا أكون أنا؟ وماذا إن اختار المعلم غيري؟ هيّا يا معلم قُلها من هو الفتى المختار؟ أفكار كثيرة تجول بخاطر كلٍّ منهم، والشيخ داوود صامت لبرهة.

- حسنًا، سأخبركم الآن على من وقع اختياري، لكن يجب أن تعلموا أولًا بأنكم جميعًا متساوين عندي، وأنه لا يهم كثيرًا من سيؤديها؛ فجميعنا سنتواجد، لذا وبعد تفكير كثير وقع اختياري على سليم لفعلها، ولا نقاش في ذلك.

يسمع سليم ما قاله معلمه، ليضحك قائلًا:

- لا أصدق أنه أنا، أعدكَ أن أنفذ المشماد بدقة، وأن أنجح فيما فشل فيه أجدادي.

وعلى الجانب الآخر أوديون يشعر بخيبة أمل كبيرة بعدما تم اختيار صديقه، وأجْبِر على قتل شخص دون أية استفادة من ذلك، أما قُصي فاحمرّ وجهه من الغضب وصار يفكر لماذا لم يقم باختياري أنا؟ لقد فعلتُ كلّ ما أمرَ به، وكنت أفضل من يُلقي الطلاسم والشاهيت، كيف لم يقع عليّ أنا الاختيار؟

يقول الشيخ داوود كلامه هذا، ثم يخبرهم بأن ميعاد تنفيذ المشماد غدًا في مثل هذا الوقت، ويودعهم ليذهب خارجًا، يلحقه قُصيّ مسرعًا في الممر الضيق، الذي وقبل أن يتحدث يجد الشيخ داوود يقول ودون أن يلتفت له:

- أعرف أنك مستاء من عدم اختياري لك، أعترف أنك الأقوَى بينهم والأكثر حيرة لي، لكني رأيتكَ تنحر عنق السجين ببطء لجعله يتعذب قبل أن يموت، وفي المشهاد هذا يعني أنك ذو دم ملوّث وستُقتّل جميعًا لذلك؛ لذا دعنا نرى ماذا بإمكان سليم أن يفعله؟

ثم يترك الشيخ قُصي الغاضب ويمضي للخارج.

***

استمر قرب سعفان من أمنية يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر؛ فقد وجدا في أنفسهما صفاتٍ مشتركة كثيرة، لم يحلم أي منهما أن يجدها في شريك حياته، لكن وما الغريب في هذا؟ فالقدر جمعهما بطريقة لم ولن يتوقعها أحد، يستمر هذا القرب في السمر ليلًا والتحدث عن كل شيء، ماذا يحبان.. الاهتمامات.. نمط الحياة، وخلافه من الأمور التي تتعلق بالنفس، كانا دائمًا ما يشعران بتغيّر شخصياتهما باستمرار، حتى جاء اليوم الذي قررا فيه أن يتقابلا أخيرًا؛ ليرى كل منهما الآخر، ولكن هذه المرة ليست في ظروف تهديد ومستشفى كالسابق، لكن في ظروف تعلق وقرب.

تُخبر أمنية والدتها بذهابها للقاهرة؛ لقضاء بعض الوقت هناك، وعلى الفور توافق الأم التي لا تصدق تغيّر حال ابنتها، وأنها تخلصت من الظلام الذي كانت تقبع فيه.

تستقل أمنية سيارة الأجرة إلى القاهرة وكلها فضول وخوف أيضًا لرؤية حبيب أحلامها هذا، يرن هاتفها، ثم تنظر إليه لتجد أنه سعفان؛ فتجيب قائلة:

- ألو.. أيوَه يا سعفان أنا ركبت العربية أهُه وكمان ساعة هكون في القاهرة بإذن الله.

- تمام في انتظارِك. أمنية أنا مش مصدق إننا فعلًا هنتقابل، عندي شعور كبير إن كل ده حلم، وخايف أصحى منه على كابوس.

ترد أمنية في امتعاض قائلة:

- فيه واحد عاقل هيقابل شخص بيحبّه المفروض ويقول الكلام ده؟ أنا عرفت ليه سموك سعفان خلاص.

يرد الشاب القَلِقُ ضاحكًا:

- لا لا خلاص، النهاردَه أجمل أيام حياتي، بس خايف بعد كده يبقى ذكرى تعيسة ليّا.

- سعفان، اقفل اقفِل، تصدق بفكّر أرجع، انت إيه يا ابني كتلة تفاؤل كده؟ فاضل أتقلِب بالعربية وتخلص منّي.

- خلاص الدنيا تمام وهتمشي كل الأمور بشكل كويس، المهم بس توصلي وأنا منتظرك ومستنّي أشوف هل شكلك في الحلم زي الحقيقة ولا لا. حاسِس إني هشوف شخصية مختلفة المرادي برضُه.

يُغلق الحبيبان الهاتف، وأمنية لا تفهم سر قلق سعفان المستمر من كل شيء، لماذا دائمًا يتوقع أن الأسوأ سيحدث؟! غير مدركة أن هذا الشاب وجد في هذه الفتاة أملًا بعد يأس، حياةً بعد ممات، وقلبًا ينبض بعد أن تحجّر.

تصل أمنية إلى القاهرة، ثم تستقل سيارة أخرى لإيصالها لمكان سعفان الذي ينتظرها في أحد المقاهي بشغف كبير، ما هيَ إلا دقائق معدودة حتى تصير عنده؛ لتدخل المقهى وتجد شابًا ينظر للأرض، تهتز قدماه بشدة من التوتر ووجهه عليه علامات الترقب، تبتسم لهذا المنظر، لتقف أمامه قائلة:

- وأخيرًا وصلت، أهلًا يا متفائِل.

ينظر لها سعفان الذي لا يصدّق أنها أمامه الآن دون أن يتحدث، ثم تجلس أمنية وهو صامت لا ينطق بكلمة واحدة.

- طيب إيه؟ انت بتبصّلي باستغراب كده ليه؟ مش هتتكّلم خالص؟

تقول ذلك أمنية وهي تضحك، وسعفان ما زال يترقّبها دون أن ينطق، فقط يبتسم لطريقة كلامها وتعبيرات وجهها المحببة له بشدة.

تستمر أمنية في محاولة خَلْق حديث مع هذا الشاب الصامت قائلة:

- طيب لسّه شايف إن شخصيتي بتتغيّر؟ وشكلي ده اللي شوفته في الحلم ولا لا؟ أنا مش واخدة المشوار ده كله عشان تقعد ساكت كده، بدأت فعلًا أتخنق.

عندها يتحدث سعفان بصوت مرتبك قائلًا:

- أنا مش مصدق إني قاعد قُدّامك النهارده، مش مصدق إن ممكن حلم يجمع اتنين سوا بالشكل ده، شكلك دلوقتي هو نفسه في حلمي، حتى ولو ماشوفتكِيش بس شعوري ده هو نفسه، حاسِس إننا نعرف بعض من زمن كبير، وإن كل اللي حصل ده كان عشان نتجمّع النهاردة.

ترد أمنية وهي تبتسم:

- أنا برضُه حاسّة إنك متغير، شخصيتك مش اللي أعرفها، احنا تقريبًا شخصياتنا كتير وهنتعِب بعض، بس يلّا أكيد اتجمّعنا لسبب.

يهز سعفان رأسه موافقًا على حديثها، وهو يقول:

- واثق إن تجمُّعنا ده مش حاجة عبَثِية، وأنا شخصية عاشِت كتير في الروتين، وده وقت المغامرة، بس يا رب تبقى سعيدة وماتقلِبْش لمأساة.

- سعفان، انت ليه دائمًا متشائم؟! أنا بَكْرَه الكلام بالأسلوب ده، بحس دايمًا إني مضغوطة، وإننا في الآخر مش هنكون لبعض.

وعندما تمتلئ عينا أمنية بالدموع، بمجرد أن يلحَظ سعفان ذلك يتأسف بشدة، ويقطع لها وعدًا بأنه لن يكرر هذا الأمر.

- معلشَ يا أمنية، أنا بس مرّيت بحاجات كتير في حياتي خلّتني بالشكل ده، أنا عمري ما كنت كدَه، بس الظروف الغريبة بتفرِض على شخصياتنا طباع عمرها ما كانت فينا، بتحوّلنا لناس مانعرفهاش، بس أنا هرجع سعفان القديم.. سعفان اللي أكيد أحسن من المتشائم ده، وبعدين أنا عاذرك هتبقي مرات سعفان، ده اسم يخليكي تتبري مني أصلًا.

تضحك أمنية وهي تقول:

- لا ما أنا هخليك تغيّره، ممكن نسميك لؤي، حلو لؤي؟

يضحك الاثنان، وأثناء ذلك يأتي النادل لأخذ طلباتهما؛ فتجيبه أمنية بأنها تريد سحلب، ليقاطعها سعفان قائلًا:

- لا سحلب لاااا، هاتلها أي عصير فريش عندك وأنا كوباية قهوة.

تندهش أمنية لهذا التصرف، وهي تقول:

- مالُه السحلب، هو بيعملوه هنا وحش ولا إيه؟

يجيبها سعفان بسرعة قائلًا:

- أيوَه، وحِش خالص، حتى مرة بسببه رُوحْت المستشفى، السحلَب ده مضر بالصحة.

تتفهم أمنية سبب اعتراضه، وهي لا تدري ماذا حلّ بهذا الشاب بسبب الرجل الذي كان يقدّم له هذا المشروب الذي اعتاد شربه يوميًا.

يشرب سعفان قهوته، وبمجرد أن ينتهي منها تخبره أمنية بأنها تريد أن تقرأ له الفنجان، فيرد قائلًا:

- انتي بتعرفي تقرِي الحاجات دي؟

- آه طبعًا، الفنجان ده أنا وصاحباتي لازم نقراه كل مابنتجمّع، هات بس الفنجان بتاعك أشوفه.

يعطيها سعفان الفنجان وهو قلق؛ فتجربته مع تلك الأشياء لم تكن جيدة منذ حادثة القطار والرجل العجوز الذي لم يعرف سرّ ما فعله حتى الآن.

- انت أهُه وأنا معاك يااه، بص كده، احنا الاتنين ماشيين في طريق طويل، الظاهر كده إن جوازنا هيتأخر، تفتكر ليه؟

يجيب سعفان ضاحكًا:

- ممكن يكون بسبب إني مش لاقي آكل مثلًا.

تنظر له أمنية نظرة يتملكها الضيق، ثم تكمل قائلة:

- ممم في الفنجان واضح إنك ليك في السحر والحاجات دي يا سعفان، اوعَى تكون بتاع أعمال، أنا مش ناقصة.

- لا طبعًا، أنا بس اتعرّضْت لمواقف صعبة بخصوص الأمور دي، بس الحمد لله عرفِت أتخلّص منها، وصدقيني كانت غصْب عني، زي ما انتي اتسحرتي ومش عارفة ليه.

- انتَ بتعايرني بسحري يا سعفان؟

يضحك الشاب الذي يلحظ في أمنية أنها تتهكم على اسمه، ليجيب قائلًا:

- بعد سعفان دي أكيد لا.

تترك أمنية الفنجان، وهي تقول:

- كفاية كدَه. المهم أنا عايزَة أتكلّم عن سحري شوية.

حينها يبدأ الفتى في الإنصات جيدًا لما يُقال، يتحوّل وجه أمنية إلى العَبَس، وهي تُكمل قائلة:

- أنا دايمًا بحسّ بوجع جَسَدِي ونَفْسِي من غير أي سبب، وإنَّ الدنيا كلها ضيّقة قوي. بس دايمًا عندي ثقة في ربنا إنه هييجي اليوم اللي هينتهي فيه كل ده وأرجع أمنية بتاعة زمان، أمنية اللي شايفَه الحياة بشكل طبيعي بعيدًا عن كل ده.

- وأنا أقسملِك إن مهما حصل مش هتجوّز غيرك، وهكون دايمًا جمبك، ومش هيهمّني سحر أو غيره.

يقول سعفان هذه الجملة وهو يعنيها بكل صدق، وتكرارًا للقسم الذي عاهدها أن يقوله كل يوم.

بعد وقت طويل تنتهي جلسة الحبيبين بعد أن تحدّثا في كل شيء، ثم تودع أمنية سعفان وهي شديدة الفرح لهذا اللقاء، والآخر يشعر كأنما ملِكَ الدنيا بيديه أخيرًا.

***

اقتربت إجراءات إنهاء شركة السياحة الخاصة بمسعد من الانتهاء، ثم سيبدأ العمل بها بما يخدم مصالحَه وما يريد، وأثناء ذلك ينطلق منفردًا تجاه أحد المقابر التي اكتشفوها حديثًا، لربما يجد الصندوق الذي يبحث عنه. يصل إلى مكان مهجور في أحد شوارع القاهرة الغير

آهلة بالسكان؛ فهو يعرف من خلال الحرس الخفي الذي معه أن في هذه المنطقة مقبرة لا يعلمها أحد. يسير قليلًا للداخل حتى يرى منزلًا مكونًا من دور أرضي فقط. من الخارج محاط بجبل من الأتربة. ورائحة كريهة. ومن الداخل ظلام معتم لا تستطيع أن ترى أي شيء من الخارج. يبتسم مسعد الذي يتأكد أن هذا المنزل هو المقصود.

- يا سيدي، بالداخل يوجد ثلاثٌ وأربعون عشيرة من الجان. كل عشيرة اتّخذَت لنفسها زاوية بالمنزل، معظمهم عمّار مكان. فيما عدا عشيرتين فقط من المرَدَة، وهم من قد يسبّبُون لك الأذى. نستطيع بسهولة التخلص منهم، لكن العمار هنا سيذيعون هذا الخبر، وعندها ستَعْلَم كافة العشائر بما حدث. فماذا تقترح؟

يقول مسعد وهو يقف بالخارج ينظر يمينًا ويسارًا:

- حسنًا سنقتل الجميع هنا.

يسمع الجان هذه الجملة، ليقول مسرعًا:

- هل تأمرني بقتل جميع هذه العشائر من أجل عشيرتين فقط؟

- المَلِك لا يُعِيد كلامه مرتين. أنتم الزنعانيون أقوى عشائر الجان، حتى إبليس نفسه لا يستطيع مجابهتكم. هل تخشى بعض العمار والمردة؟

- لا يا سيدي. فأنا فقط لا أريد أن أجعل هذا المنزل يشهد مذبحة. لكن أنت السيد وبيننا عهد لا نستطيع نقضه. سأجهز العشيرة وندخل لتنفيذ أوامرك.

وبالفعل ما هيَ إلا لحظات حتى يدخل الجان الخاص بمسعد البيت ومعه أتباعه، ويقومون بالقضاء على كل الجان الموجود، ومن بينهم المردة. ومسعد يرى الظلال وهي تحترق بعينيه؛ فقد اكتسب هذه المهارة منذ الطلسم الأول له. وبمجرد أن ينتهي خادمه حتى يدخل وهو

يضع يدَيه في جيبه ويمشي بخطى ثابته نحو هذا الظلام الموحش، يتوغل بالداخل حتى يشعر بأن قدمَيه تلامس أرضًا ليّنة؛ فيقف عليها ويُمسك عصا حديدية، ثم ينزلها بقوة حتى تخترق الأرض وتكشف عن درج خفيّ يؤدي إلى المقبرة بالأسفل، هنا يقف مسعد منتظرًا نزول خدّامه والتجول بالداخل قبل أن ينزل هو، لحظات ثم يقرر النزول وقد أشعل مصباحَ هاتفه لكي يستطيع الرؤية في هذا الظلام الحالك، لا يستغرق وقتًا طويلًا حتى يصل لساحة المقبرة، لا شيء جديد عما سبق: نفس النقوش الفرعونية على الحائط وبعض جماجم خُدّام الملك بالطبع والتابوت الذي سيفتحه ليحصد الكنز، لكنه لم يأتِ لمثل هذا الهراء، بل يريد شيئًا محددًا، يتجول بها.. وأثناء ذلك كانت جنوده تتخلّص من حراس الجان الذين اعتاد كهنة الملوك على وضعهم بالمقابر حتى لا يسرقها أحد، يستمر في ما يفعله؛ فقد أتى إلى هنا وهو يعرف أن بهذه المقبرة كنزًا ثمينًا قد يكون الصندوق الذي يريد، يفتح التابوت ويجد العديد من التماثيل الذهبية والذهب الخالص الذي يتمناه البشر جميعًا، لكنه وبكل هدوء يزيحه من أمام ناظريه، ومع مرور الوقت يزداد يأسه؛ فلا شيء جديد هنا غير التراث الذي يجلب الأموال، يقرر الذهاب، لكنه وقبل أن ينطلق للسطح يلحظ قطعة من الذهب تلمَعُ بشدة في قاع التابوت، يقرّب وجهه منها ثم يغلق نور هاتفه؛ ليرى شعاعًا من الضوء ينطلق من هذه القطعة الذهبية، ثم يرتسم على الحائط خلفه، يلتفّ سريعًا؛ فيجد على الحائط خريطة لم تكن ظاهرة إلا عند تسليط هذا الضوء عليها، يقترب مسعد منها دون حرص؛ فيضغط على جماد مثبت على الأرض، لينطلق سهمٌ من الحائط تجاهه، وعلى الفور يتحول إحدى تابعيه لطائر؛ فيتلقّى السهم بدلًا عنه ويخرّ صريعًا، ومسعد لا يُلقِي بالًا لما حدث، فقط يستمر بالمضيّ نحو الحائط، ويمشي بموازاة الخريطة التي نُحِتَت عليه، حتى يرى بروز لنقطة معينة عليها، ثم يجد فوقها كلمتين فقط:

(بكس لنب)

يندهش مسعد من هذه الجملة: فهو يعرف جيدًا اللغة الهيروغليفية، ثم يسأل تابعه عن معنى هذه الجملة وما هذه اللغة.

- هذه اللغة يا سيدي تُدعَى بلغة البشتو، وهيَ لغة قديمة استُخدِمَت في السحر قبل السريانية، لكنها غير معهودة للسحرة، ولا أعرف من يستخدمها، أما عن معنى هذه الجملة فهيَ تعنى الصندوق بالأقصر.

بمجرد أن يسمع مسعد المعنى، حتى يصيح قائلًا:

- أخيرًا عرفتُ مكانَكَ، لكن أخشَى أن تكونَ في أيدي أحدِهِم الآن وهو لا يعرف قيمتَك، لكن على الأقل تأكدتُ بأنني يجب أن أحصل على الفتى سعفان؛ فقد يكون معه منذ حادثة مقبرة الضبعة... حسنًا، هيا سنذهب من هنا، وأرى أنكم اليوم قتلتم العديد من الحراس، أعتقد أنك يا زيعون ستصير قريبًا أكثر جان قاتل على وجه الأرض.

- حرام عليكي يا سمر، أنا بلفّ وراكي طول اليوم على محلات اللبس، ارحميني نقف ناكُل حتى.

- يا أحمد لسّه فيه هدوم كتيرة ماجِبْتَهاش والفرح قرب قوي، ولّا انت عايز مراتك يبقَى ناقصها حاجات؟

يرد أحمد بتهكّم:

- لا خالص، اشتريتي بس عشر فساتين وعشرين بنطلون وخمسين بلوزة وميت جزمة، وفي الآخر ناقصها حاجة! أنا عايز أقولّك إني بيدل في بنطلونين بقالي سنة، فين ندا تنقذني وتيجي عشان أمشي؟

- بقى كده يا أحمد؟ على العموم ندا خلاص جايّة ومش عايزَه منك حاجة، انتوا الولاد كده.. مابتقدّروش الحاجات المهمة.

- آه طبعًا، بقالنا شهر بنختار فستان الفرح وأنا جِبت البدلة من أول محل دخلته أصلًا، أهُوه الحمد لله ندا جات، أشكرَك يا رب.. أهلًا يا ندا، تعالِي شوفي صاحبتك اللي هتموّتني قبل الفرح دي.

تجيب ندا وهي تقبّل صديقتها:

- العروسة ليها الحق تعمل اللي عايزاه، ولا عندَك اعتراض يا أحمد؟

- هيّ بقَت كده؟ لا أنا أروح أشوف شغلي بقى وأسيبكم مع بعض تعملوا اللي عايزينه، يلّا سلام.

يودع أحمد خطيبته وندا، ثم يتجه إلى سيارته للذهاب إلى عمله، ينطلق بها بسرعة هائلة؛ فقد تأخّر كثيرًا. أثناء ذلك يسمع صوتًا ينمّ عن رسالة أتَت إليه على هاتفه المحمول؛ فيمسكه وبمجرد أن ينظر إليه حتى يضغط بقدمه على المكابح، وكاد ذلك أن يسبّب حادثة كبيرة له على الطريق، وبعد سِبَابِ السائقين فيه يستقر بسيارته على إحدى جوانب الطرق، ثم يمسك هاتفه الذي سقط منه ليرَى ما أُرسل إليه بدقة، وهو يقول:

- مش معقول! ده أنا كنت نسيت.

***

- إيه أخبارك يا ندا؟ طمنيني عليكي لسّه برضُه في نفس المشكلة؟

ترد ندا في ضيق:

- لسّه يا سمر للأسف، معرفش فيه إيه؟ بس كل عريس يجيلي لازم تحصل معاه مشكلة، أنا بدأت أصدّق فعلًا إنها لعنة إنّي ما أتجوّزش زي الناس الطبيعيين.

- ماتقُوليش كده، أكيد دي كلها صُدَف يعني، أو ظروف لكل واحد فيهم.

- صُدَف وظروف تخلّي فوق العشر عرسان مستوياتهم عالية قوي أول مايتقدّمولي تحصلّهم كوارث! أنا أكيد معمولّي عمل.

- إيه اللي بتقوليه ده يا بنتي؟ عمل إيه بس وكلام فاضي إيه؟ احْنَا ناس متعلّمة مش هنصدق الكلام ده.

فتجيب ندا وهي تبتسم:

- انتي نسيتي السنة اللي فاتت واللي حصل؟ نسيتي سعفان ومشاكله واللي شوفناه معاه؟ مش عارفَة ازّاي لسّه مصدّقة إنه مفيش سحر وعالم غريب احْنا مانعرفهوش.

يرتفع صوت سمر وهي تقول:

- مانْسِيتْش يا ندا، ومش هنسَى، بس سعفان ده شخص مريب: كل حياته مشاكل وحاجات مش بتاعتنا، وانتي بنفسك قولتِيها زمان.. إنه من الأول غلط وجودُه معانا، وأهُو من بعد اللي حصل والدنيا مستقرة ومفيش أي حاجة غير الحياة الطبيعية.

- مش عارفَة يا سمر، بس اللي بيحصل معايا ده خلّاني مشتّتة من أول موت كريم وأصحابنا بطريقة غريبة، لحد اللي بيحصلّي ده، بقَى عندي شعور إني مش هخلَص من الماضي السيء ده.

- ماتقُوليش كده، أكيد كل شيء هيتغيّر، وبعدين طول ما أنا جمبك ماتِقْلَقِيش من حاجة، وكفاية بقى كلام عن الحاجات دي ويلّا نشوف اللبس والعروض الجديدة، لسّه قُدّامي حاجات ناقصة كتير.

ترد ندا مبتسمة:

- تصدقي إن أحمد معاه حق. انتي هتجيبيلُه سكتة قلبية.

ثم تنطلق الصديقتان سويًا لإنهاء التسوق الذي لا ينتهي!

***

يقلب أحمد في الصور المرسلة له وهو في غاية الاندهاش. على الهاتف توجد صور لجثة د.حامد. وقد كان يريد أن يراها. وبسبب علاقات والده استطاع أن يصل لأحد المسئولين، واتّفَق معه أن يُرسل إليه صور الجثة. لكنه ومع انشغاله وفرحه الذي اقترب نسيَ الأمر تمامًا؛ ليفاجأ الآن بهذه الصور وهيَ تُرسل إليه.

يرى جسد الدكتور الذي طالما ساعده في الجامعة مُلقًى على منضدة وعلى رقبته آثار حبل. مشهد يُعيد له ذكريات اجتهَدَ في محاولة التخلص منها. لكنه يلحظ الوشم الذي على جسده. ثم يقلب في الصور يتفحصه جيدًا. على رغم غموض الوشم إلا أنه يبدو مألوفًا لديه. وأثناء ذلك يتذكر آخر ما قاله له دكتور حامد في الهاتف. يتذكر صوته المضطرب وهو يقول:

- بس بكلّمك أقُولّك إنه فيه جواب أنا كتبتُه محطوط في ظرف أصفر صغير هيعرّفك كل حاجة. الظرف ده أنا هحطّه دلوقتي في اأمن مكان عن البشر والجن. لحد ما انت تيجي تاخده. هحطُّه في...

يعود ليفكر في هذه الكلمات محدثًا نفسه:

- ما الذي حدث حينها وأجبره على غلق الهاتف بهذه السرعة؟ أيضًا كيف نسيت الظرف؟! لقد مات وهو يأتمنني على عمل اجتهَدَ به. ومن الممكن أنه السبب في موته. ثم أنني لم أحدّث سعفان منذ مدة

كبيرة. لا أعرف أي شيء عنه، لكني سأستغلّ العُرْسَ وأتصل به، لطالما كرهتُ هذا الفتى. لكني الآن أُشفِقُ عليه وعلى ما حلّ به.

ثم يلتقط أحمد هاتفه مجددًا وينظر إلى الوشم مرة أخرى وهو يكبر صورته ويدقق النظر به، ليصيح مرة واحدة:

- افتكرت.. افتكرت.

يعمل عقله ليرجع به إلى اليوم الذي جاء فيه دكتور حامد إلى منزله؛ ليحدث نفسه مجددًا:

- أتذكّر في ذلك اليوم أنني تحدّثتُ معه عما يحدث، وقد كان يخبرني بأن سعفان طرفُ خيط في شبكة لا قوة لأحد على مقاومتها، ولكن دقيقة.. ما فعلناه في منزل سعفان هل كانت أوامر دكتور حامد حقًا؟ عقلي لا يستطيع الوصول إلى الورقة التي أعطاها لي، أشعر بأنني السبب في كل ما حدث، وأيضًا لحظة.. تذكرتُ شيئًا هامًا: هذا الوشم.. نعم.. لقد رأيتُه على أغلفة الورق الذي كان يحمله، نعم.. إنني أتذكر الآن، يا إلهي!

تتسع عينا أحمد وهو يحدث نفسه، ليكمل قائلًا وقد كاد عقله أن يجن:

- ها.. هذا الوشم هو سبيلي للوصول إلى الظرف المخبّأ!

***

في القسم وداخل مكتب الرائد حسام، يسمع العساكر أصواتًا عالية تدب الرعب في قلوب من بالخارج مثل: انطق، انت مش بتعترف ليه؟ هعذبك وهتعترف، انتوا تبع عصابة أكيد هتنطق ولا أموّتك دلوقتي؟

وغيرها من العبارات التي تنمّ عن غضب عارم، يخرج المتهم من الغرفة تاركًا هذا الضابط الشجاع الذي تحوّل مزاجه مع مرور الوقت من سيء إلى أسوأ؛ فبعد ما حدث له على يد لُبْنَى الراقصة، وعدم قدرته على إيجاد مكانها جعلَت غيظه يشتدَ وعقله يكاد أن ينفجر؛ لذا تعرّض الجميع لهذا الغضب أكان مساعديه أو مساجين.

وبينما هو غارق في تفكيره كعادة كل يوم حول ما حدث، يقاطعه صوتُ طرقات على الباب؛ فيقول بصوت أجش:

- ادخل.

- لو سمحت يا فَندِم.. فيه خبر مهم لسّه واصلّي ولازم حضرتك تعرفه.

- مصايب كل يوم دي مابتخلَصش، انطق خبر إيه؟

- المخبرعزمي عرف طريقها يا فَندم.

هنا ينتبه الرائد للحديث، ويقول في عجلة:

- طريق مين؟

- لُبنَى الرقاصة يا فندم.

ينتفض حسام على الفور من مكانه، ثم يرتدي سترته ويضع مسدسه في جيبه وهو يقول:

- هات العنوان بسرعة.

يذهب مسرعًا إلى حيث تقبع لبنى: فهي الآن في أحد الفنادق في رمسيس، يندهش الرائد لوجودها في هذا المكان الذي لا يليق بإمكانياتها، لكنه يستنتج أنها هناك حتى تهرّب من ملاحقة مخبريه لها، يستقل سيارة أجرة إلى الفندق ثم يتجه ناحيته مسرعًا، يسأل مَن يعمل هناك عن نازلة في أحد الغرف تُدعَى لُبنَى كرم، وبعد امتناعه

يخبره بأنه ضابط وأنها متهمة يجب القبض عليها؛ فيخبره على الفور أنها في الدور الثالث بالغرفة 203.

في الغرفة التي تجلس بها لُبنَى، ومع وجود الرائد حسام بالأسفل، يتحدث معها رجل عجوز ذو لحية بيضاء وشعر كثيف على غير عادة السن الكبير الذي يتميز بسقوط شعره، يصعد حسام الدرج في حذَر، وعند اقترابه من باب الغرفة يُخرج سلاحه من جيبه؛ ليمسكه وهو يتحرك ببطء ناحية الباب، يقف أمامه الآن، ثم يستخدم المفتاح الاحتياطي الذي أعطاه له العامل لفتح الباب بخفة، إلى أن يدخل وهو يصوب مسدسه إلى الأمام، لكنه يُفَاجَأ بعدم وجود أي شخص داخل الغرفة، فقط الفراغ هو ما يراه، يبحث بأرجائها عن أي دليل على ذهاب لُبنَى لأي مكان آخر دون جدوى، يترك سلاحه بجانبه ويجلس على السرير، وهو يصرخ قائلًا:

- ازّاي عرفت تهرب؟! ازاااي؟

وأثناء ذلك حركة خفيفة يشعر بها خلفه؛ ليلتفت سريعًا، وقبل أن يتحرك إذ بعصا تنزل على رأسه تفقده الوعي مرة أخرى.

بعد قليل من الوقت يفتح حسام عينيه؛ فيجد لبنى أمامه تجلس على أحد المقاعد الخشبية، وهو كما السابق موثق بحبل يلتف على يديه وقدمه أيضًا، ثم يقول وهو يتألم:

- انتي كنتي فين؟

تقول لبنى وهي تنظر له:

- مش مهم، أنا مش قولتلَك ماتحاولش تجري ورايا تاني؟ ليه يا باشا مُصِرّ إنك تعمل كده؟

يجيب حسام في غيظ:

- قولتلك إني مش هرتاح غير لما أقْتِلك، انتي شيطان لازم يموت.

يزداد ضحك لبنى، التي تقول وهي تُمسك سلاح حسام بيدها:

- أنا ممكن أقتلك دلوقتي وبمسدسك، أو ممكن مثلًا أشرّبك سم زيّ صاحبك.

حينها يهتز المقعد بحسام نتيجة لحركته محاولًا التخلص من الحبال التي تلتف بإحكام على جسده، لكن دون جدوى.

- انتي فاكرَه إنك ممكن تهربي على طول؟ هييجي اليوم اللى هتبقِي فيه مكاني وأقتلك وأنا ببص في وشك وبضحك.

تقول لبنى مصوّبة سلاح الرائد على وجهه:

- تفتكر هيبقَى إيه منظرك لما الناس تعرف إن رقّاصة قتلت ظابط بوليس؟ ولا لما يعرفوا كمان إنه اتقتَل بالطبنجة بتاعته!

- انتي شيطاااان... شيطاااااااااااان.

تُنزِل لبنى السلاح، ثم تُمسك حسام من قميصه وهي تقول:

- انت تعرف عني إيه عشان تقول كده؟ عشت حياتي ولّا شوفت اللي مريت بيه؟! صاحبَك اللي دخّل نفسه في لعبة هو مش قَدّها وكان لازم يموت، قبل ماتقُول عليّا كده ليه مايكونش حامد اللى بيحضّر وبيتعامل مع الشياطين نفسها هو اللي شيطان بحق وحقيقي، ولا انتَ ماتعرَفْش إنه بيحضّرجن كمان؟

يسمع حسام هذه الجملة ويكتم دهشته داخله دون إبداء أي رد فعل، لكن كلام لُبنَى يؤثر به: فماذا كان يفعل صديقه حقًا ليصل به الحال ضريحًا على يد امرأة مثل هذه؟!

تُكمل لبنى كلامها قائلة:

- ما أنكِرش إنّي حبّيته، بس أسراره الكتير خوّفِتْني منه، وأوامر نظمي باشا كانت لازم تتنفّذ، والصراحة الفلوس أهم عندي من أي مخلوق حتى لو كنت بحبه، الفلوس هتحميني، أما صاحبك ماكُنتِش هشوف معاه غير الموت!

يبتسم حسام وهو يوجه نظره بعيدًا عنها قائلًا:

- الفلوس فعلًا هتحميكي، بس لحد امتى؟! سنة.. اتنين.. تلاتة، وبعد كده هتحميكي منّي ولا من روح حامد اللي هتفضل تطاردك مهما روحتي أو عملتي؟ اللي مجنّنّي إن حامد مش بيثق في حد بسهولة، ازّاي عرفتي توقّعيه؟ ازّاي؟!

- العشق أعمى يا حضرة الظابط، العشق بيخلِّيك تفقد عقلك وبيحرّكك زى ما هو عايز، بيخلّيك تتنازل عن مبادئ عِشْت طول عمرك تناضل عشانها، بيخلّيك عبد لِيه ومستعدّ تعمل أي حاجة، حتى لو هتثِق في واحدة ماتعرفهاش، وحامد كان دايمًا وحيد، كان محتاج شخص يسنده، والرجالة كلها كدَه ضعيفة لوحدها، والشخص اللي سنَدُه كان أنا.

لا يتحمّل حسام ما يسمعه وثقة لبنى في الحديث، فيبصق عليها وهو يقول:

- والشخص اللي سنده ده كان أول واحد يخونه! وتمَن الخيانة انتي عارفاه.

يحمرّ وجه لبنى نتيجة لما فعله حسام، لتنهض وهي تقول له:

- المفروض إني أموّتَك عاللّي عملته ده، بس أنا هعمل حاجة أحسن من كده: هاخد السلاح بتاعك يا حضرة الظابط وتتفصل من شغلك، وانت مش قادر حتى تقول إن رقّاصة عرفِت تاخده منك، وآه صح حاجة أخيرة.. لو حامد كان صاحبك قوِي كده يا ترى قالّك على

الوشم اللي راسمُه على جسمه؟ والظرف اللي مخبيه؟ أكيد طبعًا ماتعرفش؛ لأنه فضَّل عليك طالب عنده اسمه أحمد عشان يقولُّه عليه.

هذه المرة لا يستطيع حسام كتم دهشته وغيظه في آن واحد، ثم يجد لُبْنَى تغادر وهي تضع مسدسه في حقيبتها؛ فيصرخ بها قائلًا:

- هقتلِك يا لبنى حتى لو طردوني مش هيمنعني كل ده إني أقتلِك.

تنظر لُبنَى له بسخرية وهي تقول:

- سلام يا حضرة الظابط. وماتنساش.. اللغز كله في الوشم.

ثم تغادر تاركة حسام وهو يفكر في ماهية الوشم، ومن يكون أحمد هذا؟!

***

تستمر حوادث القتل الغريبة لكل من يتعامل مع الجان، ومسعود يزداد حيرة يومًا بعد يوم، وقد أُصدِرَت أوامر من قبل الحكومة بمنع نشر أية معلومات عن هذه الحوادث؛ حتى لا يثير ذلك الرأي العام، فهم ما زالوا في حيرة أيضًا من أمرهم، يحقِّقون ليل نهار دون جدوى، حتى يقرّر مسعود أن السير وراء خيوط واقعية ودلائل ملموسة لن يُجدي نفعًا؛ فحدسه الصحفي يقول له بأن في الأمر شيئًا أكبر بكثير من كل هذا. وما حدث لأمجد خير دليل؛ لذا يبدأ بالفعل خطوته نحو إيجاد مسعد هذا الذي تحدّث عنه أمجد، يتحدث مع أحد معارفه بالمطار؛ ليرسل إليه كشفًا بأسماء القادمين إلى مصر خلال الفترة الماضية، كشوفات كثيرة من كل البلدان، لكنه واختصارًا للوقت يقرر البدء أولا بأسماء القادمين من البلاد العربية؛ لربما يكون مسعد فيهم، ولم يُرِد أن يخبر صديقه بالمطار عن الاسم حتى لا يسأله عنه، أو يثير الشك حوله ضمانًا منه لعدم البحث وراء ما يفعل. وبالفعل يبدأ

في الجلوس وقراءة أسماء الكشوفات، ونفس السجائر لساعات وأعصابه كادت أن تتلف من كثرة قراءته. لكنه وأخيرًا وبعد حصر لأسماء المسافرين. ولحسن حظه لا يجد إلا اسمًا واحدًا فقط يُدعى مسعد قادم من العراق. يقفز مسعود من على كرسيه وهو يقول:

- أخيرًا لقيتَك.

يتأكد حينها مسعود أن أمجد لم يكن يهذي، إنما يقول الحقيقة. يبدو أن هذا الشخص وراء كل ما حدث لهذا الشاب وتحوّله لتلك الصورة.

ينتظر مسعود لساعة متأخرة من الليل، ثم يستقل سيارته ليذهب بنفسه لهذا القصر الذي قضَى طيلة الوقت السابق في حصر جميع القصور المهجورة الموجودة في تلك المنطقة؛ ليجد أنهم ثلاثة فقط. يصل إلى القصر الأول فيجده مهجورًا حقًا لا حياة به. فقط السكون التام. ثم ينطلق ناحية الثاني ليفاجأ بوجود أنوار تخرج منه، وسور مبنى حديثًا، وأيضًا رجل هزيل على مقدمته. بداخل نفسه يشعر بأن هذا القصر هو وجهته. لكنه ينطلق ناحية الثالث للاطمئنان. وبالفعل يجده مهجورًا أيضًا. هنا تتأكد ظنونه؛ فبالتأكيد مسعد هذا يقطن في قصر كان مهجورًا لفترة من الوقت. ثم يعود أدراجه ناحية القصر الثاني. يُوقِف السيارة على مقربة منه ويبدأ في تنفيذ خطته للدخول إليه من أجل كشف ما يحدث به. فبالتأكيد خطرُه لن يكون كالمقبرة التي اكتشفها.

يترجل مسعود من سيارته ويسير بخطى ثابتة ناحية القصر وهو يُمسك في يده كاميرا. وفي الأخرى قلمًا ونوتة صغيرة.

يقول الرجل الذي يوجد على مقدمة بوابة القصر في صوت ضعيف:

- انت مين يا أستاذ؟

- أنا مسعود.. صحفي، وده الكارنيه بتاعي، ومهمت..

لكنه قبل أن يكمل جملته يقاطعه الرجل قائلًا:

- اتفضّل ادخل.

يندهش مسعود لما سمعه، وهو يحدث نفسه:

- هل بهذه السهولة الدخول لهذا القصر؟! لا أشعر بارتياح لما يحدث، لكنها فرصة وأتت لي ولن أضيعها.

وبالفعل تُفتَح أبواب القصر لمسعود الذي يتقدم وهو يشكر الرجل الذي حتى لا يلتفت إليه. يسير مسافة طويلة أنهكَتْهُ على ممر ترابي، يمينه ويساره زرعٌ أخضر في ظلام الليل، يبدو كأنه تماثيل تتحرك أو أشباح ساكنة، حتى وبعد وقت ليس بالقليل يصل للدرج الذي يضعُه أمام باب القصر مباشرة، يصعد الدرج ثم يقف أمام الباب، وقبل أن يطرقه يجده يُفتَح ووجهُ رجلٍ مسن يطل من ورائه مبتسمًا:

- اتفضّل يا فَندم.

في بداية الأمر يخاف مسعود، ولكنه ومع ترحيب الرجل به يبتسم ويدخل أخيرًا إلى هذا القصر الموحش.

- ثواني والهانم هتيجي تقابل حضرتك. ممكن تستريّح هنا لحد ما تيجي.

يذهب مسعود إلى أحد أركان ساحة القصر شديدة الاتساع، ويجلس على أريكة باهظة الثمن لم يرَها يومًا، ثم يتركه الرجل العجوز ويذهب، أثناء جلوسه يتفحّص المكان، يرى دَرَجًا عتيقًا في المنتصف، ولوحات على الحوائط، وبالتأكيد الأثاث الفاخر. لا شيء غريب، لكن

يلفت انتباهه وجود آثارِ دماء طفيفة على الأرض، ثم يحدّث نفسه مرة أخرى قائلًا:

- الآن أنا داخل القصر، وهذا ما أردت، لكن مَن هذه السيدة التي قال عنها هذا الرجل؟! وأين هو مسعد؟ هل يُعقل أنني أخطأت ولا جدوى من مكوثي هنا؟! إن كان كذلك سأكمل في قصتي وأذهب؛ فجلوسي لا يشعرني بالطمأنينة.

وبينما مسعود غارق في تفكيره يجد سيدة جميلة ترتدي فستانًا قيّمًا تتقدم نحوه، وخلفها الرجل الذي رآه يُحرّك عربة عليها بعض المقبلات؛ فينهض من مكانه على الفور وهو يردد داخل نفسه:

- تيجي مراتي تشوف اللي أنا شايفُه.

- سمعت إنك صحفي، الكلام ده صحيح؟

- أيوَه يا فَنْدم، أنا مسع...

لكنه ومرة أخرى لا يكمل ما يريد أن يقول، لسماع صوت السيدة وهي تتحدّث إلى الرجل قائلة:

- حُطّ الحاجات دي هنا وامشي.

يُنفذ العجوز ما سمع، ثم يغادر تاركًا مسعود والريبة تزداد في داخله مع رنا، التي تجلس وتشير له بالجلوس.

- وصحفي زيّك بقى جاي يعمل إيه هنا؟

يجيب مسعود بصوت قلق:

- ده اللي بحاول أقولُه من أول ماجيت هنا، بس مفيش فرصة إني أكمّل كلامي، أنا صحفي متخصص في تاريخ الرعب أو القصص المثيرة، وعملي إني بروح للأماكن المهجورة وبصوّرْها وأعمل سبق صحفي عنها، وفي المنطقة دي فيه 3 قصور مهجورة، القصر ده كان

واحد منهم، واتفاجِئْت إنه فيه نور طالع منه؛ فحبّيت أدخلُه وأعرف تاريخه، أو أصوّر حاجات فيه إذا حضرتك سمحتيلي.

تلمع عينا رنا وهي تقول مبتسمة:

- عملك جميل وفيه إثارة أنا بحبها، وعشان كده أنا هقولّك تاريخ القصر ده، ومش بس كده.. النهاردَه انت هتبات هنا؛ عشان تكتشف بنفسك كل ركن فيه.

يرد مسعود والخوف والحماسة تتملّكه، بجانب أنه لا يريد هذا العرض الآن؛ فيبدو أنه بالفعل أخطأ، ومسعد لا يوجد بداخل هذا الصرح:

- أبات هنا؟! وهل ده ممكن؟ يعني أنا شايف إن حضرتك هنا لوحدك مع الخد..

وللمرة الثالثة يُقاطَع حديثه.

- لا ده مش القصر بتاعي، ده قصر الرئيس مسعد، وهو موجود هنا، بس وراه مشغوليات كتير؛ فأنا قابلتك عشان مانتأخّرش عليك، يعنى مفيش قلق، وإذا مش عايز تقعد هنا مش مشكلة، ممكن تصوّر وتمشي.

هنا يقفز قلب الصحفي من الفرح، ليرد مسرعًا:

- لا لا فكرة إني أبات هنا هتخدمني جدًا.
- دلوقتي هكلمك عن تاريخ القصر ده..

يُمسك مسعود قلمه ويتظاهر بأنه يدوّن ما سيسمع، لتكمل رنا قائلة:

- اللي قام ببناء القصر ده مجهول بالنسبالنا، بس اللي نعرفه إنه بدأ بناءه سنة 1745م.

فيتوقف مسعود عن الكتابة لاندهاشه مما سمع، ليقول:

- اتبنَى سنة 1745م ولسّه بالصلابة دي؟! طَب ازّاي؟

- الحقيقة معرفش، من التاريخ ده ولحد دلوقتي القصر ماتباعْش، بس كان بيتوارث جيل بعد جيل، والرئيس هو الوريث الحالي ليه. قصص كتير سمعتها عنه، زي مثلًا الناس اللي تدخل هنا ومايِتطلَعش، أو الأصوات اللي الشخص بيسمعها وهو نايم، وفي الآخر يصحى يلاقي علامات على جسمه مابِيعْرَفش جات منين، أو حتى اللي بيطلعوا منه على مستشفى المجانين على طول.

هنا يتذكر الصحفي رجل الأعمال أمجد راضي وما حل به؛ فيشعر بالفضول والخوف، لكنه عازم على كشف ما يوجد هنا، ومندهش من الصراحة المطلقة لهذه السيدة التي تحدثه دون حذر.

- بس أنا ملاحظ إن حضرتك مش خايفَة من كل الكلام ده وقاعدة هنا عادي، هل حصل أي حاجة؟ ولا دي كلها محض إشاعات؟

- في آخر القاعة دي فيه لوحة مكتوب فيها بلغة غير عربية، بس لغة قديمة جدًا، إن كل شخص بيدخل هنا بيجرّب أو بتحصلّه حاجات مختلفة عن غيره، وده بيرجع لكذا سبب؛ ممكن الجينات.. تفاوت درجات الخوف والشجاعة للشخص، أو حتى الروح.

لا يفهم مسعود مغزى قول هذه السيدة من كلمة الروح، ليسألها على الفور قائلًا:

- حضرتك تقصدي إيه بالروح؟

- روح الإنسان هيّ أخطر قوة موجودة على الأرض، أخطر حتى من القنبلة الهيدروجينية؛ لأنّ الروح دي جزء من الله وضعها فينا، على

كلام التراث والتاريخ فيه مخلوقات بتعرف تشوف الروح وتقيّمها، هل هي تستحق الحياة أم هي ملوثة ولازم ترجع لأصلها.

يرتبك مسعود قليلًا، ودون إرادة منه يجد يده تتحرك ناحية قلبه كأنه يسأل نفسه هل روحي سليمة أم أنني ملوّث وسأموت؟!

تُكمل رنا قائلة:

- كل العوامل دي محفورة في اللوحة، وبتحدّد لكل شخص مصيره هنا. أنا عن نفسي ماجرّبتش أي حاجة، غير إني بسمع بس أصوات وأنا نايمة، لكن مش بهتمَ: فأنا أصلًا من أسرة ليها خبرة في المجال ده، وأكيد انت كمان مش هتهتم للحاجات دي؛ لأنك صحفي مختص برضُه بالمجال ده.

بابتسامة مزيّفة وقلب يخفق من الخوف يجيب مسعود:

- طبعًا طبعًا، أنا متخصص من زمان، ودي مجرد أصوات يعني، ولا إيه؟

تضحك رنا قائلة:

- أظن الكلام سرقنا، وأنا من الناس اللي مش بتحب تنام متأخر كده، النهاردَه هتبات هنا في الطابق الثاني، وبُكْرَة هرتّبلك معاد مع الرئيس يحكيلك كل حاجة عن القصر ده بشكل مفصل.

يتحمس مسعود وهو يقول:

- تمام، وشكرًا لوقتك وللمعلومات القيمة اللي اتقالت.

تنهض رنا من مجلسها:

- فوق فيه خمس غرف بس اللي مجهّزين، اختار اللي عايزُه منهم تبات فيه، أرقامهم 2& 4& 9& 16 وأخيرًا 40، تحب تختار أنهي واحدة فيهم؟ وصدقني كلهم على أعلى مستوى.

هنا يتذكر مسعود ما قاله أمجد قبل مغادرته:

- الأوضة 40.

لذا ودون تردد يقول:

- هختار الأوضة رقم 40.

في صوت يجعل رنا تنظر له في دهشة، يلحظ مسعود ذلك، لكنه يبتسم وهو يقول:

- أصلي بحب فيلم علي بابا والأربعين حرامي؛ فتلاقيني منسجِم مع رقم 40.

تقول رنا وهي تُشير إلى أحد الخدم للقدوم من أجل اصطحاب مسعود لغرفته:

- آه تمام، كان فيلم جميل فعلًا.

ثم تتركه للذهاب للنوم.

يصعد مسعود الدرج والخادم بجانبه لا ينطق بحرف واحد، فقط يقوده إلى غرفته المتواجدة بالطابق الثاني؛ فيجد ممرًا طويلًا على جانبيه غرف عديدة مرقّمة وتماثيل ولوحات تدبّ الرعب في القلوب، ثم يصل أخيرًا إلى رقم غرفته، الغرفة 40.

يفتح له الخادم الغرفة، ويقف بالخارج وهو يقول:

- تفضل يا سيدي.

يتقدم مسعود بخطوات بطيئة؛ فيجد غرفة في غاية الروعة، فراش منظم وأثاث فخم، تمنّى للحظة لو كانت هذه غرفته. يشكر الخادم ثم يجلس على الفراش، يتفحّص الغرفة جيدًا. العديد من المرايا ودولاب ضخم؛ فيذهب إليه يفتحه ليُفاجأ بوجود عدد من الأطقم التي يستطيع ارتداءها من أجل النوم، وعلى الفور يبدّل ملابسه وهو يقول ضاحكًا:

- الهدوم البيتي دي أغلَى من كل لبسي، الصبح أبقَى أغيّر بسرعة قبل ماحدّ يشوفني.

يجلس مجددًا على الفراش وقد أنهكه التعب وصار النوم محببًا إليه. يُطفئُ الأنوار ولا يستغرق سوى دقائق معدودة حتى يغطّ في نوم عميق.

الساعة الآن الواحدة صباحًا، ومع الأصوات التي يصدرها مسعود من فِيهِ وهو نائم، ومرة واحدة يسمع صوت ضجيج: فينهض من نومه مفزوعًا، يعتقد بأنه كابوس مزعج، يستعيذ بالله ويهمّ للنوم مرة أخرى، لكن الصوت يتكرر مجددًا. هنا ينتفض الرجل في مكانه وهو يتذكر كلام هذه السيدة عن الأصوات، لكنه يحاول أن يطرد هذه الفكرة من رأسه ويقنع نفسه بأنه سينام ويستيقظ ليقابل الرئيس ويحل لغز أمجد، ومع اقترابه من النوم للمرة الثالثة يسمع الصوت، ولكن هذه المرة ليست كسابقتها، إنما أصوات متلاحمة وهمس كأنه يخرج من جسده، وخطى ثابتة تتحرك بالقرب من غرفته. قلبه يدق سريعًا والعرق يتصبب منه، وعيناه لا تستطيعان الرمش حتى، كل حواسه متأهبة وعقله لا يتوقف عن التفكير قائلًا:

- ما هذه الأصوات الغريبة؟! ومن أين تأتي؟ هل هذه هي الروح التي تحدثت عنها؟! ما هذا القصر العجيب؟! لا لن أضيع هذه الفرصة.

فهمَ سريعًا ويأخذ الكاميرا الخاصة به، ويتجه ناحية باب الغرفة وهو يشغل الفيديو بها من أجل تصوير كل شيء. يفتح الباب لكنه لا يجد أيّ شيء سوى الفراغ والتماثيل. لا يصدّق بأن كل ما يسمعه أوهام، لكن الأصوات لا تتوقف؛ فيجري سريعًا إلى آخر الممر، لكنه لا يجد أية سلالم أخرى، مع أن القصر إن نظرتَ له من الخارج ستجد أنه مكون من ثلاثة طوابق. يحدّث نفسه مرة أخرى:

- هل يعني ذلك أن هنالك دَرَجٌ خفي لا نراه، ولكن كيف هذا؟! كيف سأحل هذا اللغز وأنا أسمع هذه الأصوات المرعبة؟!

لكنه وهو ينظر إلى التماثيل يلحَظُ أنهم جميعًا وجوه حيوانات، لا يستثيره هذا الأمر. إنما ومع النظر إليهم مرة أخرى يرى أن جميع الوجوه لحيوانات تمشي على أقدامها، أكانت نمرًا.. دبًّا.. أو حتى ذئب، فيما عدا تمثال واحد لطائر البُوم وعينيه المميزة؛ فيقرر التحرك ناحيته. ولكنه وقبل أن يخطو خطوة واحدة يسمع أصواتًا تطرق على أبواب الغرف التي في مقدّمة الممر، يدبّ الرعبُ في قلبه، ويجري مسرعًا إلى داخل غرفته رقم 40، ويُغلق الباب جيدًا، ثم يصيح:

- الحقوووني... يا ست رناا!.. يا راجل يا عجووووز.. يا خداامين، حد يلحقني.

لكن لا أحد يرد عليه والأصوات تقترب منه بشدة، يهرع إلى هاتفه ويحاول الاتصال بأي رقم عنده، لكن لا يوجد أية شبكة هنا، يحاول أن يختبئ دون جدوى؛ فلا مكان هنا يصلح لذلك. يستجمع شجاعته ويمسك الكاميرا ويصوبها نحو الباب؛ فقد تكون هذه فرصته للكشف عن سر سيجعله أشهر صحفيّ في مصر، لا بل في العالم، وهو يُمسك الكاميرا يسمع كلمات بصوت خافت مثل: أمجد! أين أنت؟ ورائك، لا تنظر خلفك، يسمع مسعود هذه الجمل وهو مرتبك لسماع اسم أمجد، لكنه ينساه سريعًا لسماعه صوت أقدام أمام باب غرفته.

يصوب الكاميرا مرة أخرى ناحيته وهو ينظر من خلالها للباب، لحظات من الترقب والخوف، ومرة واحدة يُكسر الباب. يدبّ الفزع داخل الصحفي الشجاع، لكنه يزيح الكاميرا عن عينيه غير مصدق أنه لا يرى مَن فَعلَ هذا، وقبل أن يخطو خطوة واحدة للأمام يسمع أصواتًا خلفه؛ فيلتفتُ مسرعًا ليرى مشهدًا يجعل الدماء تتهاطَلُ منه، وقلبه يكاد أن يتوقف، يرى ثمانية أجساد ذات هيئة شديدة القبح، لون أعينهم خليط ما بين الأحمر والأزرق، أظافر طويلة وأجساد عارية تتوهج كأنها قطعة من النيران، أسنان حادة جدًا، وعليها يستطيع أن يرى بكل وضوح قِطَعًا من الجلد ذائب بها، يصاب مسعود بالشلل، ثم يعود إلى رشده ويفتح عينيه ليشعر بأنه نام وهو واقف، غير مصدق أن هنالك من أجبره على رؤية تلك المشاهد عن طريق العبث داخل عقله وتنويمه مغناطيسيًا ربما! تقع الكاميرا من يديه ويسقط على الأرض غير قادر على الحركة، لكنه يسمع صوتًا آخر من خلفه يقول بصوت يفهمه جيدًا:

- أنت لستَ أمجد!

بصعوبة بالغة يحول نظره للخلف؛ ليرى مشهدًا يجعله يصاب بالصرع ويفقد الوعي تمامًا. لقد رأى جسدًا بشريًا يعرفه جيدًا، لقد رأى أمجد راضي يقف أمامه!

***

مرّت الأيام وعلاقة سعفان بأمنية لم يطرأ علها أي جديد، حتى جاء اليوم الذي بدأ يشعر فيه بآلام في مختلف أنحاء جسده دون أن يعلم سببًا لها، تمرّ أيام أخرى ويزداد على ذلك أنه بدأ يرى أحلام مزعجة، وأيضًا تكرّرَت معه كثيرًا ظاهرة شعوره بأنه يختنق كلما أراد أن يستيقظ من نومه، لا يُلقِي لذلك بالًا؛ ففي داخل نفسه بالتأكيد ليس سحر أمنية هو السبب، لكنه ودون أن يشعر يجد أن صلاة

القيام التي كان يسعد بها مع حبيبته صارت ثقيلة على قلبه! ليس هذا فحسب، بل تطور الأمر معه حتى صارت الفروض نفسها لا يرغب في تأديتها، إلى أن وصل به الحال إلى أنه انقطع عن الصلاة تمامًا. تغيّرات كبيرة طرأت عليه وهو لا يدركها، بل يشعر بأنه طبيعي وأن هذه الأشياء مجرد أزمة وقتية ستُحل سريعًا، لكن ما أثّر فيه أنه كلما سعى إلى وظيفة وجد بابها يُغلق بشكل غير مألوف، كأن هنالك قوى خفية وراء كل هذا! كان يحاول خلال هذه الفترة ألّا يُشعِر أمنية بكل هذه التغيرات وما يحدث له، شديد الحرص على إخبارها بأن الأمور التي تحدث معه بالنسبة للعمل هي أمور طبيعية يتعرض لها أي شاب في هذه البلاد، وليس للجان أو للسحر دخلٌ بذلك، عرف سعفان شخصية أمنية جيدًا ومدى تأثُرها في أن تكون سببًا لأذى، وأنها قادرة حتى وإن كانت ستتعذب على الفراق؛ فهي على عكسه تمتلك قوة لا يمتلكها هو، وهذا ما زاد حرصه على تجنب معرفتها بتلك الأمور؛ فهو لن يتحمّل ابتعادها عنه حتى ولو كانت حياته ستتحول إلى جحيم. لقد وجد فيها ما لم يجده في أحدٍ من قبل، شخص يهتم لأمره.. يحب ما يحبه، ولا مانع عنده في التحمل من أجله، يشاركه اهتماماته التي قد تبدو ساذجة إلى حد كبير، وتطمئِنَه عندما يكون في أشد الحاجة لذلك. كانت عنده بمثابة أبٍ لم يرَه، حتى معتقداته الغير منطقية كانت تتعايش معه فيها، لم تُشعِره يومًا أنه غريب الأطوار، أو أنه لا يصلح أن يكون لها حتى وإن كان أقل، أَقسَمَ مئات المرات على أن يكون لها وأن يكون درعًا لا يَصْدَأ، فلن يجعلها تشعر بأنها سبب في شيء لا يعلمه ولا هي سبب فيه. أفكار كثيرة صارَت تتوغل داخل سعفان، ومع الوقت يزداد ابتعاده عن الله، ويزداد مع ذلك سطوة الأحلام وآلام الجسد عليه. ومع كل ما يحدث شعرَت أمنية بتغيّر في حبيبها وتغيّرٍ أيضًا في علاقتهما، شعرَت بقرب شيء لا تتمناه، وأن السحر بدأ يرجع ولكن بقوة هذه المرة. كانت ترجى سعفان الكثير من

المرات ليصلُّوا القيام سويًا كما اعتادوا من قبل، لكن دون جدوى كان يعتذر لها تارة بتعبه أو بانشغاله تارة أخرى، كل هذا دفَعَها للتحدث مع والدتها التي كانت تعرف مسبقًا سعفان. وأنه السبب في خروج ابنتها من هذه الحالة؛ فأحبَتْه لمَا رأت فيه ولمَا فعل، وعلى الفور تقرر الأم والابنة جلب شيخ آخر يثقان فيه منذ زمن لقراءة القرآن عليها ومعرفة ما بها، على رغم تحذير سعفان المتكرر لها بالابتعاد عن تلك الأمور وعدم جلب أي شخص مهما حدث، لكنها ودون أن تخبره يأتي لها الشيخ الموثوق فيه ويقرأ بالفعل القرآن وهو يضع يده، يُغمض عينَيه ويخبرها هي ووالدتها أشياءً تجعلها في حالة عدم إدراك لما يُقال، لتمر بعدها الأيام والفتور يزداد بين أمنية وسعفان. صار التواصل بينهما أقلّ؛ فهي محمّلة بمعلومات لا تستطيع مصارحته بها، وهو صار يراها بهيئة بشعة لا يستطيع حتى أن يكلّمها، وقارَبَ على كرهها غير مدرك ما به ولا يعي أنه يفقدها. صار كلامه معها ثقيلًا جدًا على قلبه، وازداد حبه للحرية بعيدًا عنها وعن الله أيضًا، أدى ذلك إلى انقطاعهما لفترة متصلة، إلى أن جاء اليوم الذي يسمع فيه سعفان صوت هاتفه وهو يدل على وصول رسالة إلكترونية. ينظر إليه فيرى أن أمنية هي من ترسل هذه الرسالة، لا يُلقِي لها بالًا؛ فهو قد اقترب من أن ينساها، ويُكمل جلسته مع أصدقائه، يعود إلى منزله في وقت متأخر من الليل كعادة كل يوم بعدما يَئِس من أن يعمل، وأنه لن يستطيع الزواج مهما فعل؛ فالحياة صعبة والحرية أفضل.

يدخل غرفته ثم يجلس على فراشه، ويفتح هاتفه على رسالة أخرى من أمنية تجذب انتباهه.

أمنية: سعفان، انت موجود؟

أمنية: سعفان، فيه حاجة مهمة لازم أقولهالك عشان دي هتكون آخر مرة!

سعفان: أيوَه يا أمنية موجود. خير؟ وإيه آخر مرة دي؟!

أمنية: سعفان، فيه حاجة كنت مخبياها عنك بس أفتكر جِه الوقت اللي لازم أقولهالَك. والحاجة دي سبب مهم في إني مابقِتْش واثقة فيك.

سعفان: مش واثقة فيّا كمان. إيه بقى الحاجة دي؟!

أمنية: من فترة جِه شيخ للبيت عشان يقرأ عليًا قرآن: لأني شكّيت في نفسي إني أكون السبب في اللي بيحصلّك ده.

سعفان: شيخ تاني يا أمنية؟ أنا مش قولتلك بلاش الأفكار دي، والزمن ده مفيش حد مضمون.

أمنية: الشيخ ده أنا واثقة فيه جدًا، ومش ده المهم. المهم هو اللي قالهولي.

سعفان: وقالِّك إيه بقى؟

أمنية: الشيخ بعد ما قرأ غمّض عينُه وشافَك انتَ يا سعفان.

سعفان: نعم؟ شافني أنا ازّاي يعني؟

أمنية: معرفش. المهم قالّي كده بالنص.. انتي بتحبي واحد اسمه سعفان، وقالّي إن الشاب ده قرأ كتاب زمان سحر وحضّر حاجة وهيّ اللي مأثّرة فيه لحد دلوقتي، وإن جسمه مفتوح؛ يعني أي جن يقدر يأثّر فيه، وهو السبب في اللي بيحصلّه مش انتي خالص، وهو اللي لازم يتعالج، أما انتي فسليمة.

سعفان: ههههه إيه النكتة دي! بقى أنا حضّرت حاجة وجسمي مفتوح. ويا ترى بقى مفتوح وَجْه بحري ولا قِبْلي ماقالْهَاش دي كمان؟

أمنية: سعفان أنا مش بهزر. سبق وقولتلَك قبل كده إن أهم حاجة عندي الأمان، الأمان ده كان بيحصل لما كنا بنقرأ قرآن ونصلي

سوَا، أما دلوقتي فانت مسحور ومش عايز تتحرك، ولا أكيد هترضى تروح تتعالج عند أي شيخ.

سعفان: اللي انتي بتقوليه ده مش صح، وأنا محضَرتِش ومش ساحر، أنا فعلًا حصل معايا حاجات صعبة قبل كده والماضي بتاعي مافْتِخِرْش بيه، بس مش ساحر ومش بفتري على الناس، ومش بدَّعِي إنّي شيخ وأنا غيركده، وأكيد مش هتعالج يا أمنية؛ لأني مش مريض.

أمنية: تمام، خليك كده وأنا قريّب جايلي عريس، وهتشوف إنّ سحرك هيكون سبب في إني أضيع منك.

سعفان: أهلًا بيه، وماتكرّرِيش جملة إني مسحور، واللي عايزُه ربنا هيكون.

ينتهي هذا النقاش الحاد بين الاثنين على عدم اقتناع أحدهما بحديث الآخر ويحتدم معه الفتور، وكما هو حال سعفان في الآونة الأخيرة لا يشعر بأن الفتاة التي أحبها بصدق تضيع منه تدريجيًا، وأنه الآن في ساعاته الأخيرة معها، لا يتحدّث معها مطلقًا مهما أخبرته بقُرْب خطبتها، إلى أن يأتي له خبرٌ منتظرٌ؛ وهو أن أمنية تمت خطبتها بالفعل لأحد المهندسين المشهورين في المنوفية، يأتي له ذلك الخبر من صديقتها التي تعرَّف عليها سعفان منذ بدء علاقته مع حبيبته التي ذهبت.

يسمع الخبر ولا يتأثر كثيرًا، فما باليد حيلة، لا عمل له وهي دكتورة ذات مستوى اجتماعي أعلى منه، وأنها قصةُ فشل أخرى كما تعوّد، ويقرر أن يكمل حياته كالسابق، وبالتأكيد سيأتي اليوم الذي يجد فيه ملاذه.

يمضي أسبوع منذ ذلك اليوم وسعفان يمارس حياته بشكل طبيعي، يخرج كل يوم ويعود متأخرًا، لا يصلي، ويسمع الأغاني تاركًا

القرآن لا ينظر له إطلاقًا، وها هيَ سهرة أخرى يقضيها وقد قاربت على الانتهاء..

- يلّا سلام يا جماعة، أشوفكم بُكْرَة بإذن الله، بس ابقوا اتدرَّبُوا كويس عشان حد يعرف يغلبني.

يقول سعفان هذه العبارة متفاخرًا لتفوّقه في الألعاب الإلكترونية ثم يعود إلى منزله، كعادة كل يوم يجد والدته وأخته نائمتين؛ فيدخل غرفته ودون أن يبدل ملابسه يغطّ في نوم عميق، أثناء نومه يتقلب ويتصبب عرقًا.. يبدو أنه يحلم، عيناه مغمضتان لكنه يرى في هذا العالم العجيب أنه يقف على أرض منخفضة وحوله أناس عديدة: منهم من يرسم، ومنهم من يتسامر مع من بجانبه، وأمامه جبل به العديد من المنحدرات الخطرة، ينظر للأعلى ليجد على حافة الجبل فتاة ترتدي حجابًا وتضع نظارات سوداء على أعينها، يدقّق النظر جيدًا فيجد أنها أمنية، والتي وبمجرد أن تراه ترجع إلى الخلف حتى لا يستطيع رؤيتها، يتسلق سعفان الجبل بصعوبة وكاد أن يقع مرات عديدة من أجل الوصول لها، حتى يصل أخيرًا إلى القمة؛ فيجد أنه على أرض ترابية وأمامه سياج، وعلى الجهة الأخرى منه أرض خضراء تتواجد عليها أمنية وهي تجلس على مقعد خشبي، يقرر أن يعبر السياج لكَي يصل إليها، وبالفعل يزحف على الأرض، وأثناء ذلك يُلامس ظهره الأشواك ويتألم بشدة وهو يُصاب بعلامات جرّاء ما يحدث، يصل إلى الجهة الأخرى أخيرًا، ثم ينظر إلى أمنية فيجدها غير محجّبَة ولكنها تبكي أمامه، ثم يشعر بوجود شيء ما بجانبها كأنه جَانّ، وقبل أن يصرخ لتحذيرها يستيقظ من نومه وعلى وجهه علامات الإرهاق، ولأول مرة يشعر سعفان بفقدان أمنية، ويدرك أنها قد تمَت خطبتها وأنها زالت من بين يديه.

نهض قُصيّ من على فراشه في ساعة متأخرة من الليل. يرتدي ثيابه ويحمل حقيبة لا يضع بها إلا سكينًا صغير الحجم. ثم يغادر منزله تحت أضواء النجوم الخافتة والسماء المليئة بالسحاب. يتحرك الفتى كأنه شبحٌ على الطريق؛ فلا يوجد أحد غيره في هذه المنطقة مستيقظٌ إلى ذلك الوقت. في خطًى ثابتة يسير في المنعطفات والأزقّة حتى يبتعد عن العمران ويصل إلى رمال الصحراء. يسمع وهو يسير صوت خطوات أخرى أمامه؛ فيُسرع خطواته ليجد أنهم أوديُون وسليم اللذان يرحّبان به ويمضيان سويًا ناحية المقبرة. لا يستغرقون الكثير من الوقت؛ فقد اعتادوا على الطريق حتى يصلوا إلى ساحة المقبرة. يعبرُون الممر الضيق إلى الساحة الأخرى: فيجدوا منظرًا مهيبًا وعددًا من البشر لم يتوقعُوه. يرون معلمهم داوود وبجواره الشيخ حسن يأمر مجموعة كبيرة من الأتباع الذين يرتدون ثيابًا سوداء دون أن تظهر منها وجوههم بأن يتراصّوا في تتابع معين منقسمِين إلى مجموعتَين: واحدة تحمل عيدانًا من اللهب والأخرى تحمل كؤوسًا فارغة ذهبية اللون.

- ما كل هذا يا شيخ داوود؟!

يسأل سليم متعجبًا.

يجيب الشيخ وهو يشير لاستكمال العمل:

- هذه مراسم التحضير. الأمر ليس هزليًا يا فتى.
- لكن.. ألم تقُل لنا أننا سنكون خمسة فقط؟
- وهذا حقيقي. خمسة سيؤدون المشهاد وهؤلاء فقط للمراسم. نحن هنا لا نتحدث عن طلسم دارج. أو كتابات مألوفة. لا وقتَ لِمثل هذا الكلام. هيّا تجهّز أنت وأصدقاؤك.

حالة من الخوف تتملك سليم وأوديون لمّا يرونه من أناس وتحضيرات توحي لهم بأنهم قادمون على كارثة. لكن قُصيّ لا يبدو على

وجهه أي انزعاج، ثابت الهيئة، يرقب بعينه فقط ما يحدث دون أن يتحدّث.

بعد الانتهاء من كل شيء يقف الشيخ حسن في وسط الساحة ويبدأ في حديثه، والجميع منصت له في انتباه شديد وهو يقول:

- هذا يوم عظيم، يومٌ حلمتُ به منذ أن قرأتُ عنه. كان الجميع يتهكم عندما أُخبِره أنني أريد تنفيذ المشماد، أريد أن نفعل ما فعله أجدادنا، وأننا قادرون على ذلك، منعهم الخوف والعجز أيضًا عن المضي قُدُمًا، لكننا اليوم سنفعل المُحال، سنُخْرِج الثبات الدفين وسنرى وجهًا مختلفًا اليوم، يقولون بأن بعض القصص يكفي سماعها للشعور بها، وأنا أقول بأنّكَ إن لم تفعل فلا شعور لك، سنين من العمل الخفي من أجل هذا اليوم تعرَّض خلالها الشيخ داوود لضغوطات شتى، وقام بها هؤلاء الثلاثة بأفعال مكرَهَة، والآن حان وقت الحصاد، في البداية سأشرح للجميع الخطوات التي سنمضِي بها مُرتّبَة، ويجب عليكم الإنصات جيدًا.

سنؤدى المشماد في منتصف الساحة؛ حيث يوجد كما ترون لوحٌ منحوت عليه كتابة لا تعرفونها أيها الرجال، لكن يعرفها جيدًا سليم؛ فقد تعلّمَها أمس مع الشيخ داوود.

تُقال هذه الكلمات؛ فينظر الصديقان إلى سليم، ثم يقول أوديون بصوت خافت:

- ما هذه الكتابات يا سليم؟ وهل تعلّمتها بالأمس فقط؟

- تُدعَى لغة البشتو.

يقول سليم هذا وهو ينظر للّوح ويبدو على وجهه القلق، ثم يكمل قائلًا:

- جلست اليوم بأكمله أمس مع الشيخ داوود لتعلم قراءة هذه السطور بشكل صحيح، لكن يا أوديون بمجرد أن تشرع في القراءة حتى تشعر بأن جسدَكَ يتثاقل وعقلك لا يعمل، هذا المشماد بالفعل مختلفٌ عن كل ما مررنا به.

ولأول مرة يتحدث قُصيّ بعد فترة صمت، وهو ينظر إلى سليم مبتسمًا:

- لا تقلق يا صديقي، أعدكَ أن ينتهي كل هذا بنتائج عظيمة.

يكمل الشيخ حسن حديثه قائلًا:

- هذه اللغة ليست معهودة لكم أيها القوم، لكنها الوحيدة المناسبة الآن للفعل، يبدو أن المشماد قد قام به جيل آخر، ولكنهم فشلوا تاركين وراءَهم هذا اللوح بتلك اللغة والطقوس؛ لذا سنفعلها نحن اليوم ولن نفشل، هل هذا مفهوم؟

أمام اللوح رُسِمَت دائرة على الأرض، من حجمها ستعرفون أنها تَسِعُ شخصًا واحدًا فقط، وبالطبع هذا الشخص هو مؤدي المشماد.. سليم، أثناء القراءة وبعدها لن يقف أحد على هذه الدائرة سواه؛ لأنها الشيء الذي سيجعل مَنْ يحضر إلى هنا يتحدث ويلبّي لنا ما نريد، إن حدَثَ وخطَى أحدكم عليها سنهلك جميعًا، الدائرة فقط للمؤدي، الدائرة فقط لسليم.

يكرر الشيخ حسن هذه العبارة مرات لأهميتها، ثم يتابع قائلًا:

- الجزء الدمويّ حان، قوة المشماد تأتي من قوة القربان أو الضحايا؛ لذا جهّزنا عددًا من المساجين كالسابق محكوم عليهم بالموت، فلا جدوَى من موتهم دون الاستفادة منهم وحان وقتهم، على اليسار ستجدون رجالًا يحملون كؤوسًا فارغة، أثناء قراءة سليم وهو ينظر إلى اللوح سيقوم كل فرد منهم بذبح سجين ويملأ الكأس بدمائه:

ليرفعوها سريعًا إلى الأعلى، أما سليم فسيكرّر تجربته السابقة وأداءه السابق أيضًا في إحكام قتله للسجين وجعل دمائِه تسقط على الدائرة. وعندما تكتمل القراءة -وعلى حسب ما وَرد في التراث- ستتبخّر الدماء ويأتي من يحرّرنا من لعنة المأمون ويرشدنا إلى الرجل الذي سيخلّص الجميع.

هنا ينظر قُصيّ للشيخ حسن، والآخر ينظر إليه كأنه يقول له بأن ذلك المخلّص هو أنت يا قُصيّ؛ فمنذ يوم الجنود وما فعله قُصيّ بهم والعبارات التي قالها له ومعرفته بأصل اسمه صار الشيخ واثقًا بأن النبوءة تحقّقَت والفتى المنتظر جاء إليهم أخيرًا.

يتابع الشيخ قائلًا:

- تعرفون جميعًا بأن الكلمات التي قِيلَت عن المأمون أنه سيدمر كل شيء ليست هباءً وأنها خطر لا تهدّدُنا نحن فقط، بل أجيال من المفترض أن تأتي بعدنا؛ لذا لن نترك لهم خطرًا مثل هذا يواجهونَه لخطأ أسلافهم، والآن معكم قليل من الوقت لتُحضّرُوا أنفسكم من أجل بدءِ الحدث الأهم على أرض مصر.

- سليم، جاهز لفعلها؟ إننا نثق بك؛ فأنت من تَمّ اختيارك وبالتأكيد ستفعلها.

يقول ذلك قُصيّ ناظرًا لصديقه.

- لا أعرف، أشعر بتوتّر ونبضات قلبي تتسارع، هل ما فعله الفراعنة بقوّتهم وسطوتهم الكبيرة قادر فتًى مثلي على أن يفعله؟!

يقول أوديون مسرعًا:

- لا تقُل مثل هذا الكلام، لقد عملنا سويًا وواجهنا الموت مرات عدة من أجل هذا اليوم، إن كان الفراعنة أقوياء فنحن لا نقِلّ عنهم، لا تقلق سيمضي الأمر وسندخل التاريخ معًا.

يُطمئِنُ هذا الحديث سليم قليلًا، ثم ينظر إلى قُصيّ الذي يتحدث قائلًا:

- ولكني مندهش، لماذا لم يقُم بفعلها الشيخ حسن أو المعلم داوود؛ فهم أكثر خبرة وثقة؟!

- أنا أعرف السبب.

يقول ذلك أوديون بصوت خافت، ثم يذهب بصديقَيه بعيدًا وهو يكمل قائلًا:

- في يوم وأثناء سيري بالخارج داخل متاهات المكتبة، رأيت الاثنين يقفان وهما يحتدمان حول أمرٍ ما، حاولت الاقتراب منهما دون أن يشعرا بي، ثم سمعت المعلم داوود يقول للشيخ حسن بأنه يجب عليهما اختيار فتى من بيننا قريبًا لإتمام المشماد، وقد عرفتُ من خلال حديثهم بأنهما قامَا قديمًا أثناء فترة شبابهما بتجربة هذا الأمر في الخفاء وفشلَا فشلًا ذريعًا، وأنّ أي نوعٍ من المشاميد لا يؤديه الشخص إلا مرة واحدة بحياته؛ لذا هما لا يستطيعان الآن أن يقوما به.

يذعر سليم وقُصيّ من هذه المعلومة وكلٌ منهما يفكّر في أمر ما، سليم داخل نفسه يقول:

- وهل ما فشل فيه المعلمان سأقدر أنا على فعله؟! أشعر بالفشل يحيط بي، لكني تدرّبتُ جيدًا وعندي من العلم والقوة ما يؤهلني لفعلها، يجب أن أثق بنفسي وأن أفعلها.

أما قُصيّ ففي داخل نفسه يردد أمرًا واحدًا فقط:

- المشماد لا يؤديه الشخص إلا مرة واحدة! هذه مصيبة، لا.. بل إنها كارثة!

- هيا لقد حان الوقت، تعالوا هنا جميعًا، الآن يبدأ وقت الحصاد.

يقول الشيخ حسن هذه العبارة وهو يقف في منتصف الساحة ويصطف حوله الرجال الملثَّمُون، على يمينه حاملو العيدان وعلى يساره حاملو الكؤوس، وأمامهم المساجين الذي سيُقتَلون عما قريب.

يقترب الثلاثة أصدقاء من الشيخ حسن والمعلم داوود، ثم يأمر الشيخُ سليمَ بالوقوف على الدائرة وقراءة اللوح ثلاث مرات؛ ليتحقق الشرط للحضور، فمرة واحدة لن تكفي، لكن يقاطعه قُصيّ قائلًا:

- عِندي سؤال لكَ يا شيخي العزيز قبل أن نبدأ.

- ما هو هذا السؤال الذي تُوقِف حدَثًا مهمًّا مثل هذا لأجله؟!

- إن كان سليم هو من سيؤدي المشماد؛ فما فائدة وجودنا أنا وأوديون؟

يندهش الشيخ لهذا السؤال الذكي ويتردد في الإجابة؛ ليقاطعه قُصيّ قائلًا:

- أنا أعرف الإجابة مسبقًا، لقد جمعتَنا هنا لضمان أنه إن فشلَت التجربة لن يستطيع أحدٌ منا فعل المشماد مرة أخرى، أليس هذا صحيحًا؟

ينظر أوديون وسليم للشيخ الذي يبدو على وجهه القلق، وهو يقول:

- لا تنظر للأمور بهذه النظرة يا قُصيّ، أعرف أنك ذكيّ جدًا، لكني أخشَى أن يفعلها أحدكم لوحده ويغترّ بقوته؛ فيضيع كل شيء، هذه حماية لكم قبل أن تكون عليكم.

يبتسم قُصيّ وهو يقول:

- أصبت، لنا لا علينا.

أجواء من الشك والتوتر تحوم داخل عقول الجميع، لكنهم الآن أمام حَدَثٍ جلَل والعيون تنظر إليهم، محاطُون بالعديد من الرجال ولا

وقت لمثل هذه الأحكام؛ لذا وعلى الفور يقول الشيخ حسن وصوته يكاد يصل للأعلى من علوّه:

- هيا يا رجال سيأتي دوركم الآن، بمجرد أن يبدأ سليم في القراءة الثانية اذبحوا المساجين واملؤوا الكؤوسَ بالدماء.

يقف سليم على الدائرة ويبدأ في القراءة قائلًا:

- بـه راغلاست تيكماجين جادو جادو تيكماجين زره بدن پوهي جلاتشينا هغه ووژل شو راورل پاچا سوليمان بـه مينه خزشانه فني سرتيري برتانويان خندا پاكول سيشمالان هارتو او ماربت زه مينه لرم بـه راغلاست تيكماجين جادو جادو تيكماجين زره بدن پوهي جلاتشينا هغه ووژل شو راورل پاچا سوليمان بـه مينه خزشانه فني سرتيري برتانويان خندا پاكول سيشمالان هارتو او ماربت زه مينه لرم يلوس...

يُنهي سليم القراءة الأولى بإتقان وتمكُّن تجعل الشيخ حسن يبتسم، ومع انتهائِه يقوم الرجال بذبح المساجين بدم بارد وهم مكمَمُون؛ لتتحوّل الأرض إلى بركة من الدماء تُملأُ منه الكؤوس، ثم تُرفع إلى أعلى، وعلى الجانب الآخر العيدان واللهب يشتدّ في السطوع معلنًا عن اقتراب القدوم.

يستجمع سليم قواه ويبدأ في القراءة الثانية: فالعمل على المشماد مرهق جدًا للجسد وقد تخور قوى سليم في أي لحظة إن لم يتماسك، وإذا لم يستطع إكمال الثلاث قراءات سيضيع كل شيء، وهذا ما كان يخشاه المعلم والشيخ، وأيضًا يتعيّن على سليم ذبح المسجون المكبَّل أسفله قبل القراءة الثالثة.

يبدأ الفتى المتعب في القراءة الثانية وقد تصبب عرقًا وأُزهِق جسده كثيرًا قائلًا:

- ښه راغلاست تیکماجین جادو جادو تیکماجین زره بدن پوهې جلاتشینا هغه ووژل شو راوړل پاچا سولیمان ښه مینه خزشانه فنډ سرتیري برتانویان خندا پاکول سیشمالان هارتو او مارټ زه مینه لرم ښه راغلاست تیکماجین جادو جادو تیکماجین زره بدن پوهې جلاتشینا هغه ووژل شو راوړل پاچا سولیمان ښه مینه خزشانه فنډ سرتیري برتانویان خندا پاکول سیشمالان هارتو او مارټ زه مینه لرم یلوز...

هنا يلحظ قُصيّ أن التعب قد نال من صديقه سليم، الذي أخطأ ولم ينطق آخر كلمة بالنطق الصحيح. أدرك ذلك أيضًا الشيخ حسن، وذلك على عكس المعلم داوود وأوديون التي تخفق قلوبهما مع هذه اللغة والنبرة التي تُنطَق بها. ومرة واحدة ومع هذه الأجواء الظلامية التي لا يُنيرها سوى اللهب وتقدُّم سليم بصعوبة لإزهاق حياة السجين أسفله، يصدر صوت ضحك غليظ متتابع، يرعب القلوب ويرهق الأذهان. يلتفتُ الجميع لمصدره، حتى رجال الكؤوس والعيدان؛ فيجدون أن مصدره هو الشاب الذي يقترب من سليم. يجدُون أن مصدره هو قُصيّ! الذي يستمر في ضحكه قائلًا بصوت مختلف وغليظ:

- بعد عناء أخيرًا وصلتُ إلى مبتغاي. عذرًا يا صديقي العزيز.. لا مشماد لك اليوم.

يلتفت سليم المرهق وعيناه لا تستطيعان أن ترقب جيدًا ماذا يحدث. لكنه يفاجأ بأن صديقه الذي تقرّب منه كثيرًا خلال سنتين التدريب يُخرجُ من حقيبته سكينًا ويجعلها تستقر في قلبه. وعلى وجهه ابتسامة عريضة وظلام لم يرَهُ من قبل.

وفى ثوانٍ معدودة يفتح قُصيّ حقيبته ويتقدم مسرعًا ناحية سليم، ثم يغرز سكينه الصغير في قلبه حتى يزيحه عن الدائرة وهو يرتطم بالأرض مفارقًا للحياة. لا يصدق أحد ما يراه. يرتعد أوديون من

الخوف: فهو ينظر لمقتل صديقه على يد صديقه. أما المعلم والشيخ تصنّما مكانهما من هول ما شاهَدَا. يقف قُصيّ على الدائرة وبسرعة يقوم بقتل السجين. ثم يقرأ ما على اللوح والشيخ حسن يصيح قائلًا:

- لا يُعقل! كيف تفعل هذا؟! من أنت؟! وكيف تقرأ لغة البشتو وأنت لم تتعلمها يومًا؟

لا يعطي قُصيّ لشيخه أهمية ويُكمل القراءة: فيهرع الجميع إليه من أجل إيقافه: الشيخ.. المعلم. والرجال على كلا الجانبين. ولكن وقبل أن يوقفوه ينتهي قُصيّ من آخر كلمة على اللوح: فتهب ريح شديدة تطيح بالجميع إلى الوراء دون آن يدري أحد ما هو مصدرها. فيما عدا الفتى الواقف داخل الدائرة وقد لمعَت عيناه منتظرًا من وراء كل هذا. أجواء من الضبابية والمفاجآت والريح تشتد لدرجة أنها تُطفئُ اللهب المشتعل في العيدان تدريجيًا. مع صوت ملازم لها يجعل في نفسِ من يسمعه تمنيًا للموت على أن يستمر في سماعه.

الظلام يشتد والضغط على الأجساد يتزايد. لا يدري أحد ماذا يحدث؟! وأوديون مستلقٍي على الأرض لا يصدّق. يحدث نفسه قائلا:

- هل بالفعل مات سليم؟! هل ما رأيتُ حقيقة؟! ماذا يحدث وكيف يحدث؟! قُصيّ صديقنا يقتل؟! من أجل ماذا؟! وما هذا الشعور الخانق؟! إنني أكاد أعتصر من الداخل. ضلوعي تنشق وعقلي يتوقف. ما هذا الضغط وهذه الريح؟! هل قمنا بتحضير الموت؟! ولماذا لم يتحرك الشيخ والمعلم لإنقاذ سليم؟! هل يخافون من قُصيّ أم أن الحَدَث جمّدَهم؟! هذه الحياة يجب أن تنتهي. سأقتل نفسي: فبعد ما فعلتُ نحن جميعًا نستحق ذلك!

يُمسك أوديون السكين الذي يلمع لونه الفضيّ وسط الظلام ويقرّبه من قلبه ليغرزه به. وقبل أن يفعل هذا يسمع صوت الشيخ حسن وهو يقول:

- ماذا فعلتَ يا أحمق؟ هل تعِي ما معنى أن تقتل منفّذ المشماد وتحل محله؟! كسرت الشرط وسنهلك جميعًا.

- لا لن يحدث ذلك، إن كان استمرّ سليم فيما يفعل ما كنا سننجح.

يقول ذلك قصيّ وهو ينظر للأمام.

يصمت الشيخ حسن الغير مدرك لما يُقال. ويتبعه داوود قائلًا والغيظ يتملكه:

- ماذا تقصد أيها المجرم؟ والله لأقتلنك قبل أن نهلَك.

- مقصدي هو أنكَ لا تعلم التراث جيدًا: فأنا أعلم أنكما قُمْتُما بمحاولة تنفيذ المشماد في السابق ولم تفلحا، ولكن هذه ليست المحاولة الأولى، بل أجيال سبقوكما قامَت بذلك ولم يفلحوا أيضًا، وبعد البحث علمتُ ما هو السبب أيها المعلم.

في صوت متذبذب يقول أوديون وقد ترك السكين من يده:

- مَ مااذا يقصد يا شيخ حسن بأجيال أخرى؟! ألم تقل لنا بأننا سنكون أول من نفعلها؟

يصمت الشيخ وهو لا يدرك كيف عرفَ الفتى كل هذا؟! ومِن أين له بتلك المعلومات؟! وما الذي اكتشفه وعرفَ منه ما سبَّبَ فشل كل هذه التجارب؟! ثم يستجمع قواه وينهض وهو يقول:

- ما هو السبب في فشل كل التجارب؟ تكلم.

- الريح تشتد يا شيخ ولا وقت عندي لحديث مطوّل: فغرضي قد حان لكني سأجيبك، قام الفراعنة قديمًا بتجربة المشماد بشتّى الطرق حتى توصّلُوا إلى أن القربان يكون بدم الفرد على عكس باقي الطلاسم، وقد ذكرتَ أنتَ ذلك سلفًا، لكنهم بعد أن قاموا بالتحضير فشلُوا في

إكماله على رغم اتّبَاع التعليمات. ولِوَلَعِ الملوك الشديد بالسحر وامتلاك قوة لا مثيل لها أُعادوا المشماد مرات عدة وضحايا أخرى تُزهَق دمائهم دون فائدة. حتى جاء اليوم المنتظر. وهي القصة التي قمتَ بسردها لي. لكنك لا تعلمها كاملة. في هذا اليوم نجح المشماد ولم يصدق أحد ذلك. ولكن حدث هذا بفعل رجل شديد الذكاء يُدعَى (سنمو سَخْمُوي). الذي اتصف في هذا العصر بأنه أشد الكهنة بحثًا وعلمًا. والذي كان يقف بعيدًا عن الحدث أثناء تأدية فتَى للمشماد. فتًى مثل سليم الملقى على الأرض الآن. قام سنمو بقتلِه بعد أن قرأ اللوح للمرة الأولى. واشتدَّت الريح كما يحدث الآن. ولكني لا أعلم ماهية من حضر. بل أعلم أن اختفاء سنمو حينها لم يكن بسبب أنه سيغنَى أو فضل عليه. إنما وفي أحد الألواح السرية يذكر الكاهن (حم نتر) أنه سمع صوتًا لم يسبق له سماعه يقول لسنمو والجميع ساقطون على الأرض أنه نجح في تحضيره. لكنه فشل في فعل ذلك بالشكل الصحيح. فلجلب مارد المشماد يجب عليك قتل المؤدي كآخر خطوة. لكن قبل أن يتلو القراءة للمرة الثالثة وقبل أن يقتل القربان. ثم اختفَى سنمو. وعلى أغلب الظن أنه قد تعرّض لعذاب أعتقد أن الموت سيكون رحمة عنه. إلى أن شوهِدَت جثته بعد وقت طويل.

يسمع الجميع كلام قُصيّ غير مصدقين. والشيخ حسن يقول في داخل نفسه:

- إلى أي مدى هيَ معرفة هذا الفتى؟! هل بالفعل كلامه صحيح. وبذلك ستكون هذه المرة هيا المرة الأولى ضمنيًا الذي ينجح فيه المشماد. لكني أشعر بخطر كبير قادم! وأنَ هذه الدقائق هيَ آخر ما تبقَى لنا: فاليوم ستُحصَد العديد من الأرواح.

يتابع قُصيّ حديثه قائلًا:

- أنا مثلكم لا أعرف هل ستنجُون أم لا، لكني متحمّس بشدة لرؤيته.

يقول أوديون، ومع اشتداد الريح لدرجة أنها تكاد تقتلع الأرض من مكانها:

- ماذا تقصد بسَتَنْجُون؟ لماذا لم تجمع نفسك معنا؟! فأنت الأكثر عرضة للخطر الآن.

يتسع فاه قُصيَ ضاحكًا وهو يثبت أقدامه على الأرض لمقاومة الريح العاتية قائلًا:

- أوديون، صديقي العزيز، ألا تتذكّر إجابتي لكَ عند سؤالكَ لي مَن أنت؟

هنا يتسمر أوديون مكانه وهو يتذكر كلمات قُصيَ التي حفظها، لكنه لم يفهمها حينها يتذكر قوله له:

- أنا لا أحد، أنا أنت، أحبّ من أحببت، وأكرهُ من كَرِهت، كم وددتُ أن أعيش وكم تمنيتُ أن أموت، أنا وَهْمٌ تحوّل إلى حقيقة، وحقيقة صارَتْ دروب الخيال، لم أكن نفسي يومًا ما، وسأظل كذلك ما حييت، أنا فقط أبحث عن الخلود، هل عرفتَ من أكون؟

يردد أوديون هذه الكلمات داخل رأسه مرّات عديدة، يقلّبها ويحاول فكّ ألغازها محدثًا نفسه:

- أنا أنت وأنا لا أحد، يبحث عن الخلود وكان وَهمًا ثم تحوّل إلى حقيقة، لقد قرأتُ أشياء مشابهة ولكن بشكل متفرق، يجب أن أجمعهم سويًا لأعرف من هو.

ثم يصيح وهو يتذكر أحد الألواح التي كان يقرأها قديمًا أثناء أبحاثه، ومع جحوظ عينيه للأمام:

- لا أصدق. لا أصدق هل أنتَ من قرأتُ عنه وحقيقي بالفعل؟ لكن كيف؟! إن كنت تملك القدرة كما قرأتُ؛ فنحن هالكون.

لا يعي الشيخ حسن ما يسمع من تلميذه، وهو يقول:

- ماذا تقصد يا أوديون بقولك؟ لا أصدق ما يُقال أمامي! هل تفوق التلاميذ على الأساتذة ويعرفون الآن ما لا نعلمه.

- يا شيخي، إن حقيقة قُصيِّ هي أنه ك......

وقبل أن ينطق أوديون بحرف آخر تشتعل النيران مرة أخرى دون تدخل بشري. ظلال تتحرك في جميع الأرجاء والرجال الملثَّمون يصابون بالذعر. يقف الجميع مع هدوء الرياح، ولكن الضغط المجهول المَصْدَر يُجبِر الدماء على السريان من فتحات الجسد. نتيجة لذلك يسرع الجميع لخارج الساحة. فيما عدا الشيخ حسن.. والمعلم داوود.. وأوديون الذي لا يزال متجمدًا.. قُصيِّ الواقف على الدائرة بكل ثبات. وأخيرًا سليم الملقى على الأرض.

كائن غريب يتشكل من الظلام دون أن يراه أحد. وبصوت شديد الغلظة يقول:

- مرة أخرى، بعد كل تلك المدة تأتون بي. حسنًا سأستلِذّ بالرجوع لعالم البشر مجددًا؛ فالجلوس على العرش وحيدًا لا يريقني.

بمجرد أن تنتهي الكتلة الظلامية من الكلام: تبدأ الصرخات في جميع الأنحاء. تنطلق الظلال نحو الرجال الملثَّمِين؛ فيتساقطون الواحد تلو الآخر. والشيخ والمعلم وأوديون ينظرون حولهم في فزع لا يصدِّقُون ما يرون: فما هذه القوة القادرة على سحق الجميع بهذا الشكل؟ أليس من المفروض أنهم قاموا بذلك من أجل القضاء على المأمون الذي سيجلب الدمار. أليس من المفروض أن ينجوا هم لا أن يُقتَلوا؟! تضاربات عديدة تدور في أذهانهم دون جواب.

تهدأ الأصوات الفزعة بعد أن سقطوا جميعًا، ثم تختفي الظلال وتتحدث الكتلة الظلامية مجددًا قائلًا:

- لا تفزعوا؛ فهذا جزاء من يغادر البقعة المحصنة ويهرب خيفة من الظلال، أما أنتم فالحكم عليكم بعد السماع، لماذا أحضرتموني إلى هنا؟

من هول الصوت وقوته لا يستطيع أحد التحدث، بل إن الخوف وصل بالمعلم داوود إلى أنه قام بالتبول في بنطاله لا إراديًا! ثم يقع على الأرض وقد أصابه الجنون، وقبل أن يحدث أي شيء إذ بصوت يخرج من الشاب الواقف على الدائرة غير مبالٍ لكل ما حدث، يقول وهو يبتسم:

- أخيرًا رأيتُك، القوى الأعظم داخل ممالك الجان، من كنتُ أخشاه حتى لا أقوم بالبدء فيما أريد إلا عند لُقْياك.

يتوقف الصوت لحظات كأنه يدقّق النظر أو يتفحص المتحدث، ثم يقول بصوت مرتفع يهز أرجاء الساحة كلها والصحراء التي بالأعلى:

- لا أرَاك، إذًا لقد صدَقَت النبوءة، لكن كيف أنت هنا؟ إلا إذا كانوا لا يعرفون حقيقتك أيها الطفل.

- يعرفها شخص واحد فقط، هذا الفتى الأسمر، وسوف أقوم بقتله لاحقًا، لكن الآن هو ميعاد نِزَالِي معك، لقد انتظرتُ هذه اللحظة لقرون!

يذعر أوديون لما يسمعه، والشيخ حسن يكاد يختنق من التفاف الكلمات حول مسامعه غير مصدق أن الطفل الذي رآه في السابق هو نفسه الشاب الذي يقف أمامه الآن.

يكمل قُصيّ حديثه قائلًا وقَدْ فَقَدَ أعصابه:

- أظْهِر وجهك الآن، أرني ما لم يرَه أحد. هيا!!!!!!!!!!!!!!.

لكن ودون أن يتوقع ما حدث، يقول الكائن المتمثل في الكتلة الظلامية:

- لا: فالقضاء عليك لن يكون بالنزال! بل بالإرث.

يندهش قُصيّ ويتحول وجهه من الترقب إلى القلق قائلًا:

- ماذا تقصد بهذا القول؟

- سيأتي عصر تتغير فيه الأمور، تشيع الفاحشة وتزداد سلطتُك، عندها سيقوم بشريّ بعقد القربان وفعل الجماع، سيظهر الإرث وستكون الحرب حينها. أما الآن فلن يموت هذا الفتى الأسمر، بل إنه سيكون مفتاح الأمانة ومصدر التراث: فهو نقيّ لم يُلوّث بعد. سيكون رحّالًا، وأرجو أن يهرب من قبضتك حتى اليوم الموعود.

كلمات لاذعة تجعل قُصيّ مضطربًا: ليفاجأ بعدها بوميض هائل أفقده توازنه ثم أسقطه على الأرض. لا يصدق أنه تم فعل ذلك به! والشيخ حسن والمعلم داوود من ورائِه ينزفان الدماء بغزارة من أثر الوميض. أما أوديون فيلحظ قُصيّ بعد مدة من الوقت وهو على الأرض ما بين الإفاقة والإغماء أنه واقف يتحدث إلى شخص ما ويعطيه صندوقًا صغيرًا وهو يربت على كتفه كأنه يحفّزه.

***

لحظات قليلة إلى الوراء...

يقف أوديون وهو يستمع إلى ما يقوله الكائن الخفي غير مصدّق أنه يتحدث عنه: فيفاجأ مثل الجميع بالوميض ويرى سقوطهم جميعًا على الأرض حتى قُصيّ. ولكنه يشعر بجمود في جسده غريب وطاقة هائلة تقترب منه. يدقّق النظر بصعوبة في الضوء الساطع أمامه:

فيجد رجلًا ضخم الجثة قبيح الوجه يقترب منه. إلى أن يقف أمامه مباشرة ينظر له وهو يوجه عينيه السوداوين لأسفل: فيتراجع أوديون خطوتين إلى الوراء وهو يقول في خوف:

- أرجوك لا تقتلني. لا أريد أن أموت وأنا على هذه الحال.

ثم يسقط على الأرض.

يقول الرجل المخيف الهيئة:

- قِف: فأنا لن أؤذيك. أنا الجان الذي قمتم بإحضاره. وهذه هيئتي البشرية الجميلة الشكل. وأنت تذعر منها! فلتحمد الله أنني لم أظهر على هيئتي الحقيقية: فإن فعلتُ لكنتَ ميتًا الآن.

يقف أوديون وهو يقول متعجبًا:

- هيئتك الجميلة هو هذا الشكل. لكني رأيت ظلالَ العديد من عشائر الجان. فلماذا أنت مميز إلى هذا الحد؟

- لا يهم: فليس أمامنا وقت طويل قبل أن ينهض هذا الفتى القابع على الأرض. لكن يكفيني أن أخبركَ أنني مختلفٌ عن كل ما شهدت. الآن يجب أن تعي ما سأقول جيدًا: فأنا لن أؤذيك، بل سأحمّلُكَ إرثًا يدوم لسنين طويلة.

ينظر أوديون إلى الجان المتحدث في هيئة بشري بانتباه شديد قائلًا:

- وما هو هذا الإرث؟ ولماذا أنا؟

- لقد اخترتُكَ لأنك مارست السحر وستعي جيدًا ما سوف أقول. بجانبِ أنكَ ومن بين جميع الحاضرين هنا أنت الأنقَى والأكثر صفاءً. وهذه المهمة تحتاج إلى شخص له هذه المواصفات. صديقك الذي تقول له قُصيّ هو أخطر ما عرفت. لقد حاربتُ كل أنواع الجان والعشائر. يهابني الجميع وأعيش منعزلًا أراقب ما يحدث فقط. ويظن

العالم بأني اختفيتُ. لكن ما شعرتُ به عند رؤيتي لصديقك شيءٌ لا يصدق. كما أن النبوءة صادقة. يوجد لوح قديم يُمثّل دستورًا لنا به قوانين الجان. وما هو مقدار اختلاطنا بالبشر والعهود التي نبرمها معكم عند إحضارنا تُسجل به: فإذا نَقَضَ أحدنا العهد البشري قُضيَ عليه في الحال. في هذا اللوح أسماء كل العشائر والملوك التي حكَمَتْ منذ وجودنا على هذه الأرض. وأيضًا أسماء العشرين عفريتًا الذين نعرفهم منذ العهد السليماني وسلطته علينا حتى اختفوا من بعده. كل ما يحدث لنا من أحداث مسجلة في هذا اللوح. لكن كانت هنالك أسطورة تقول أن هذا اللوح كان به قطعة فُقِدَت أثناء نقلِه بين عرش الملوك. وكانت بها كتابات تنصّ على أنه سيأتي شخص يُدعَى المأمون سيكون على يديه هلاكنا جميعًا. وأن هذا المأمون سيكون نسلًا لكائن مختلف. لم نعرف ما معنى هذا الاختلاف. ولكن...

يقاطع أوديون الجان قائلًا:

- أنا أعلم كل هذا: فقد جمعت عباراته عندما سألتُه سابقًا من أنت. ومع البحث القديم لي ورد بالفعل هذا اللوح وهذه النصوص. لكن يظل اختلافه هذا لغزًا محيرًا لي: فلا يوجد أي نص أو عهد يتحدث عنه. لكن ما عرفته أنه خُلِقَ عن طريق تزاوج اثنين من الجان قيل أنهم ملك وملكة قد نجَوا من الحرب العظيمة لكم. والتي سبقت نزول البشر على هذه الأرض. وأنهم عندما يأسُوا من الفوز على باقي الملوك وخافوا أيضًا من نزول كائنات جديدة وسماعهم بأن البشر سيهبطون على هذه الأرض قرّرا فعل المحرمات؛ فقاما بالتشكل على هيئة بشرية بعد رؤية سيدنا آدم كأول بشريّ يخطو على هذه الأرض. ثم وبعد العديد من العلاقات والمحاولات على هذه الهيئة حملَت الملكة وقد تألَمَت كثيرًا وهي على هيئة البشر تحمل طِفلًا من المفترض أنه من الجان. وقبل ولادتها بساعات عادت مع زوجها إلى هيئة الجان مرة

أخرى: ليولد الطفل في أبعادكم. لكني وللأسف لم أعرف ماذا حدث بعد ذلك لعدم وجود تراث لذلك، وأنا أشك أن هذا الطفل هو قُصيّ.

لحظات من الصمت تسود بعد هذا الكمّ الخطير من المعلومات، ثم يتحدّث الجان قائلًا:

- لم أُخطِئْ عندما اخترتُك لحمل الإرث، معلومات هذه ستساعدني كثيرًا للبحث وراء ما حدث، وإن كان كلامك صحيحًا فقُصيّ هذا يجب أن نتخلص منه ونتّحِد في ذلك، ولذلك سأعطيك هذا الشيء.

ثم يُخرج الجان صندوقًا صغيرًا ذهبيّ اللون به خطوط متوازية سوداء وكلمة من الخارج.

- خذ يا أوديون، هذا هو إرثك من الجان.

- ما هذا الصندوق؟

- بعدما انتَشرَت أسطورة هذا المأمون اتّحدَ أربعة عشر ملكًا يُدعَون الملوك الأوائل من أجل التحضير لإيقاف المأمون إن ظهر، وقاموا وعلى مدار سنين طويلة بتجهيز هذا الصندوق وخبأوه في مكان لا يصل إليه أحدٌ إلا هم فقط، خيفة من أن يصل الصندوق للمأمون: فيدمره قبل أن يفتحه وتضيع كل مجهوداتهم هباءً. مرّت الأجيال وصار الصندوق ملكًا لعائلتي، ولأنني الأقوَى قمت بالحفاظ عليه، ويبدو أنه الآن ليس في مأمن معي: لذا الصندوق هو إرث الجان للبشر، عليك أن تمرّرَهُ عبر الأجيال إلى أن يحين وقت من يقوم بفتحه وإنقاذنا جميعًا.

يُمسك أوديون الصندوق وهو لا يصدق أنه الآن يحمل إرثًا ويقع على كاهله إنقاذ فصيلتين.

- والآن سأغادر، وأنت يجب أن تهرب وتختفي عن أنظاره؛ فنحن لا نعرف قوته بعد. إياك أن تقاتله، ومساعدتي الأخيرة سأقوم بتوفير الحماية لكَ حتى تذهب إلى أي مكان تريد. لكن أسرع: فتأثير الوميض قارَبَ على الانتهاء، وقد قُتِل الجميع إلا هذا الفتى، وهذا يقلقني.

- حسنًا لقد قررتُ، سأقولُ لكَ الآن إلى أين سأذهب وسيكون الصندوق في مأمن معي.

بعد لحظات يختفي الوميض وتتلاشى الظلال تاركة مجزرة على هذه الساحة، الجميع فارق الحياة إلا قُصيَ، الذي ينهض بعد فترة من الوقت وهو لا يرى جيدًا، حتى يستعيد كامل قواه ليصرخ قائلًا:

- أين ذهبوا؟! أين أوديون وذلك الجان؟! لاااااااااااااااااا.

ثم يسمع صوتًا يقول بضعف شديد:

- لقد وثقتُ بك، اعتقدتُ أنَكَ المخلِّص الذي ستنقذنا جميعًا، عاملتك كابنٍ لي وأردتُ أن أُورِثَك هذا المكان، ولكني خذلتُ الجميع؛ فيبدو أنك الشر المطلق، أرجوك وقبل أن أفارق هذه الحياة قل لي من تكون؟

يقترب قُصي المنزعج من الشيخ حسن ببطء، ثم يقول وهو ينظر إليه مباشرة وهو يبتسم قائلًا:

- أنا لا أحد، أنا أنت، أحبّ من أحببتَ، وأكره من كرهتَ، كم وددتُ أن أعيش وكم تمنيتُ أن أموت، أنا وَهْمٌ تحوّل إلى حقيقة، وحقيقةٌ صارَت دروب الخيال، لم أكُن نفسي يومًا ما، وسأظل كذلك ما حييت، أنا فقط أبحث عن الخلود، لا يهم معرفة من أكون، لكني سأسألك ما هو أهم، هل تعتقد أنكَ ستدخل الجنان أم أنك ستشتعل في لهيب الجحيم؟

يلفظ الشيخ آخر أنفاسه وهو ينظر إلى قُصيّ وعيناه تذرف الدموع؛ فكلماته ذكّرَته بما فعل وأنه ذاهب للقبر وسيواجه الله؛ ليتعذب قبل موته. إلى أن ينتهي أمره بجانب صديقه داوود الذي فَقَدَ حياته منذ أن بدأ الوميض.

يغادر أوديون مصر ليصل بعد رحلة شاقة إلى بلدة صغيرة في أفريقيا بها خِيَمٌ متقاربة وأرض خضراء. يسير نحوها وهو يُمسك الصندوق، ثم يقابل طفلًا صغيرًا يلهو. وبمجرد أن يراه يقول له باللغة الإنجليزية:

- سيدي، هل أنت غريب؟

يرد أوديون وهو يبتسم له:

- نعم.

- ما اسمك؟

- اسمي هو...

يتردد قليلًا، ثم يقول:

- اسمي هو جودفري.

***

شهور عديدة مرت على وجود الشيخة انتصار في القاهرة، ذاع صيتها وصارت مقرَّبة للطبقة العليا في المجتمع: رجال الأعمال، مديرين البنوك، أصحاب الشركات والمصانع وخلافه. وذلك لقدرتها الهائلة على معرفة أسرار الماضي وخبايا الأمور. حلّها للمشاكل التي تواجههم بكل يسر وسهولة دون وقت طويل، فقط تعطيهم حجابًا أو ورقة كُتِبَ عليها بعض الكلمات الغريبة ورسومات أعدَّتها خصيصًا لكل حالة. يُشفَى الناس وأموال طائلة تحصدها يومًا بعد يوم. إلى جانب سمعتها

التي انتشرت وبشدة في جميع الأنحاء إلى أن وصلت للخارج، رجوع انتصار بهذه القوة وتحوّلها من سيدة مجنونة يرميها الأطفال بالحصى إلى سيدة مجتمع قوية يضع لها الجميع ثقلًا وحسابًا جعلها تغترّ وأصابها بالكِبْر، وصلت إلى ما تريد في وقت قصير، وذلك أيضًا نتيجة لمساعدة سانوخ لها وجلب حراس الهيكل لخدمتها؛ فبطشهم شديد وتنفيذهم للأوامر سريع، سرعتهم تفوق كل العشائر التي تعامَلَت معهم، هذه السلطة جعلت منها شخصًا مغايرًا، صارمًا، مغترًّا، قويًّا وقاتلًا، لا تخشى موت أحدهم؛ فالمهم هو تنفيذ ما تأمر به، وفي ظل كل هذا المجد لم تنسَ ثأرها الثنائي؛ الأول سيكون من أهل قريتها وذلك الصبي الذي كان يعمل معها لما فعلوه بها من إهانة وازدراء، والثاني من سعفان: لأنه الشخص الوحيد الذي كان سببًا لكل ما مرّت به، وهو حالة الفشل الوحيدة لها: لذا تريد أن تمحوه، وذلك أيضًا ما يريده سانوخ الذي يشعر بالقلق هذه الفترة لسبب آخر غير مسعد وسعفان، لقد رأى أن حراس الهيكل الشداد منسجمون مع انتصار، وبدأ يشعر بأنهم أحبوا هذا العمل على عكس جلوسهم في الصحراء، صاروا يحبّون أن يروا الناس وهم يمجدونهم وأنهم في أنظارهم كالآلهة، وأن انتصار هي السبب في ذلك؛ لذا تقربوا منها لدرجة أنهم صار حديثهم مع سانوخ أقل من السابق بكثير، هنا يشعر ابن إبليس بأنه مهمّش: فانتصار شديدة التعلق بالقوة المتمثلة في الحراس، وهم معجبون بما يفعلون وهي السبب في هذا، فأين هو من كل ذلك؟ هل صار الآن عبئًا بعد أن قام بتجميعهم؟! لكنه يقرر الصمت وعدم فعل أي شيء والعيش تحت جناح انتصار مؤقتًا، إلى أن تأتي له الفرصة المناسبة للرجوع.

في غرفتها المظلمة والأنوار المزعجة، وعلى مقعد يهتز تجلس انتصار تُجهّز لانتقامها الأول، اليوم هو الموعد لجعل من أهانوها يدفعون الثمن، ثم سيأتي الدور على هذا الشاب الذي هو وصمة عارٍ في حياتها.

تضع على المنضدة كتابًا ضخمًا لونه أصفر وعباراته سوداء مُلثَت بحبر قديم، تُقلّب في صفحاته إلى أن تجد الطِّلْسَم الذي يخدم خطتها، تقرأه بالطريقة الصحيحة، ثم تُغمض عينَيها في انتظار الاستجابة، لحظات من الوقت، ثم تصدر صوتَ شهيقٍ مخيف كأنها رأت شبحًا، فانتصار وعلى رغم تعاملاتها الكثيرة مع الجان والحراس إلا أنها لم ترَهم حتى الآن بهيئتهم: فهذه هي عادة السحرة؛ لأنهم يعرفون أن رؤية الجان قد تصيبهم بالجنون أو تُوقِف القلب، كما أنهم غير مسموح لهم برؤية الوجه الحقيقي للجان؛ لذا طلسم اليوم يجب عليها أن ترَى فردًا منهم عند إغماضها لعينها بعد قراءته، حذّرَها الحراس من ذلك، لكن حبها للانتقام منعها من الاستجابة لهم.

- ألم أقل لكِ أن هذا الطلسم خطير؟ يتوجب عليكِ رؤية من سيحضر، ونحن لا نريد أن نفقدكِ.

تجيب انتصار على الصوت الذي يُحدّثها وهي تأخذ أنفاسها بصعوبة بالغة:

- يجب أن أنتقم منهم، لكني لم أستطع الاستمرار في إغماض عيني لبشاعة الشكل الذي بدأ في التكوّن، لا يهم سأعيدها.

- لا يا انتصار، لا تفعليها؛ فهم الآن لا يشغلوننا، هذه فترة انتهت، أنتِ الآن شخص مختلف.

ترد انتصار في ضيق:

- اصمت يا سانوخ؛ فأنا أعرف ماذا أفعل.

يغضب سانوخ لطريقة انتصار في الرد عليه، لكنه مجبرٌ على الصمت الآن؛ فالحراس يحبونها، ليتقهقر للوراء.

تفتح انتصار الصفحة مجددًا، ثم تقرأ الطلسم مرة أخرى، وبعد الانتهاء منه يجب علها أن تُغلق عينَها مجددًا لكي تستطيع إتمامه، تحاول أن تجد حلًا لهذا المأزق؛ فقد تتعرض بعد كل هذه الخبرة للموت إن لم تتحمّل ما سترى، ثم تلمع في رأسها فكرة، تُغمض وتفكر في لقاءها الأول بسعفان وحالة الفزع التي تعرّضَت لها جراء مشاهدتها له، يتشكّل الجان وانتصار ما زالت تفكر في هذا الفتى، والسر الذي يحيط به، يعتلِها الغضب، لكنها لم تعتقد بأن الجان الذي ستراه له القدرة على النفاذ داخل عقلها لجعلها تراه وهي صافية الذهن لا تفكر بأي شيء، في ثوانٍ تفقِدُ انتصار قدرتها على تذكر سعفان وترى أمامها وجهًا لم ترَ أقبح منه في حياتها! لا تصدق بأن هذه المخلوقات تعيش بالقرب منها، نبضات قلبها تقِلَ وتشعر بإعياء شديد، يبتسم الوجه قائلًا:

- تمت الشروط وحُقّ التنفيذ.

تفقد انتصار وعيَها وتسقط على الأرض، تمر ساعة منذ سقوطها وقد تجمّع حولها الحراس وسانوخ يراقب فقط، إلى أن تفتح عينَيْها وهي غير مصدقة أنها قد نجَت وعلى قيد الحياة، تنهض وتجلس على الكرسي، ثم تشعر بثقل في يدها اليُسرَى، لتصيح قائلة:

- لا أستطيع تحريك يدي! ما معنى هذا؟ أشعر بألم شديد بها.

- ألم نخبركِ بأن هذا الطلسم مغاير وخطير، هذه ضريبة حياتك تمّ إصابة الجزء الأيسر من روحك في يدك، وكل هذا حدث وأنتِ لم ترَيْ الوجه الحقيقي كاملًا؛ فقد تدخّلنا نحن لإنقاذك.

- هل تقصد أنني شُلِلت؟ لا أصدّق! هل وأنا بكل هذه القوة ما زالَت العشائر والجان لديهم ما لا أقوى عليه؟! وتعويذة مثل تلك لم أستطع إتمامها إلا بمساعدتك.

- أعمارنا تُقدّر بآلاف السنين وما زلنا نجهل الكثير. فما بالك بسيدة مثلك من البشر لا ترانا وعمرها لم يتجاوز الستّين بعد!

تضحك انتصار قائلة:

- لا يجب أن تذكرني بعمري؛ فالمرأة لا تحب ذلك. وأنا ما زلت بشرًا. لا يهم ما حدث بيدي، لكن سأحظَى بانتقامي. ماذا عليّ أن أفعل الآن؟

- ماذا قال لك الجان الذي حضر؟

ترد انتصار وهي تحاول أن تتذكر قائلة:

- تمت الشروط وحُقّ التنفيذ.

- جيد. افتحي الآن الصفحة التي قرأتِ منها الطلسم وستجدين ما يرشدك.

تنفذ انتصار ما سمعَت. تنظر إلى الصفحة: فتجد أن الطلسم قد تغير. لا تصدق ما تراه. ثم تبتسم: فذلك معناه أنها قد نجَحَت في اختبارها! تعتدل في جلستها ثم تدقّق النظر به.

دائرتان متوازيتان غير مكتملتان. في كل واحدة ثلاثة خطوط مقسَمون طوليًا. وفي كل جزء أرقام أو رموز غريبة. فوق كل دائرة كلمتان: العجَل.. الرحيل. وأسفلهما حروف تُشكّل جُملًا غير معهودة تقرأها انتصار بصعوبة وبمساعدة الحراس وتنتظر.

يمر وقت طويل ولا يحدث أي شيء. إلى أن يقول أحد الحراس:

- لقد حضروا. الآن ستعلمين لماذا هم مناسبون لفعل ما تريدين؟

تنظر انتصار حولها في ترقب، ثم تشعر باهتزاز الأرض أسفلها ووقوع التماثيل التي تزيّن بهم غرفتها. تستمر الهزة لدقائق وانتصار عاجزة عن تصديق حجم العشيرة التي أتت لفعل كل هذا.

يقول أحد الحراس مجددًا:

- انتصار. الآن وفي هذه الغرفة يوجد مائة وخمسون ألف جان من عشيرة الشماشقة.

تذعر انتصار لهذا العدد، ثم تضحك قائلة:

- الآن علمتُ لمَ هذا الطلسم بالتخصّص هو الوحيد الذي يستطيع اختراق قرية بأكملها. هل تسمعونني يا معشر الشماشقة؟

- نعم يا سيدتي، لقد أتممتِ شروط تحضيرنا، وواجب علينا مساعدتك لمرة واحدة، فماذا تريدين؟

- أريد أن تهلك قرية الضبعية، تُطلَّق نساءها، تبور أراضيها، ويصيب الضيق الرجال، افعلوا ما يحلوا لكم بهم، لكن وقبل أي شيء أريد لهذا الفتى أن يصيبَه الجنون.

ثم تخرج انتصار صورة الصبي الذي كان يعمل معها قديمًا في القرية؛ ليراه الجان وينطلقوا جميعًا تحت أنظار الحراس المعجبون بقوة هذه العجوز، وسانوخ الذي يرى انتصار تزداد قوة يومًا بعد يوم.

مرّت خمسة أيام منذ ذلك اليوم وانتصار تمارس أحد تجاربها، تسمع صوتًا يقول لها:

- تمت المهمة سيدتي، الفتى الذي أردتِ جنونه فقَدَ عقله والجميع يحتقره، والأطفال يسيرون ورائه وهم يرمونه بالحصَى. أما

أهل القرية ففي حالة تشتّت كبير والضيق قد حلّ بهم جميعًا، تم تنفيذ مرادك وحان وقت رحيلنا، وداعًا.

تضحك العجوز انتصار بشدة فخورة بنفسها وبما حققته، الآن يعاني الجميع كما عانت هي، ولم يتبقَّ لها إلا سعفان، ومع قوتها المفرطة تتحمس: فاليوم هو ميعاد القضاء عليه.

تردّد بعض الكلمات الغريبة التي تعبّر عن العهد المقروء الذي يسمعه حراس الهيكل فقط ليحضروا إليها، وما هيَ إلا ثوانٍ معدودة حتى تسمع صوت قائدهم يقول:

- بماذا تأمرين يا انتصار؟

- اليوم آخر ما أريد، بعد انتقامي من القرية وأهلها أتى اليوم الذي أرى فيه هذا الشاب ضريحًا، اليوم سيُقضَى على سعفان، وسأترك لكم أنتم فن اختيار موته، هل تريدونه أن ينتحر نتيجة للجنون؟ أم يرى وجه أحدكم فتنتابه سكتة قلبية؟ أو تقتلونه مباشرة بعد إضعافه وتعذيبه؟

- يبدو أنكِ تكرهين هذا الفتى كثيرًا، نحن سنختار أن نعذّبه أولًا ثم نجعله ينتحر؛ فهذا أفضل وأكثر مرحًا.

انتصار ضاحكة:

- ليكن ما قلت.

ثم يذهب الحراس إلى سعفان تاركين العجوز وهي تقول:

- اليوم ينتهي أمر الجميع، وتعيش انتصار خالدة على عرش الجان.

ينتقل الحراس نحو عنوان سعفان، وفي ثوانٍ يصبحون هناك، يدخلون المنزل ويتجهون ناحية غرفته الغير مضيئة، يبدو أنه نائم،

يقتربُون منها وهم يستعدّون لفعل ما جاءوا من أجله، لكن يتوقف أحدهم لرؤية عددٍ كبير من الجان خارج الغرفة وداخلها، يتعجّب ثم يقول لمن معه:

- ماذا يفعل هؤلاء هنا؟ عددهم كبير جدًا ومتنوّع من مختلف العشائر، هل جاءوا أيضًا للانتقام منه؟

يرد القائد قائلًا:

- لن نستطيع الدخول؛ فمقاطعة هذه المجموعة عما تفعل سيجلب لنا حربًا شديدة، كما أنه محرّم علينا التدخل أثناء التقاط الجان لروح بشري، ومن المشهد هنا أرى روح سعفان يمسكها أحدهم والباقي يشاهدون.

- ولكن لماذا كل هذا؟ مَن يريد القضاء على هذا البشري بتلك الطريقة؟ إنني أشفق عليه حقًا لما سيلاقيه.

يعود الحراس أدراجهم؛ فتشعر بهم انتصار متعجبة لقدومهم المبكر قائلة:

- ماذا حدث؟ هل انتهيتم منه بهذه السرعة؟!

يشرح لها أحد الحراس ما شاهدوا؛ فيستشيط غضب انتصار وهي تصيح قائلة:

- لا، سعفان من نصيبي أنا، وأنتم الحراس وبطشكم شديد، كيف لا تفعلون ما أمرتكم به؟! هيا اذهبوا للقضاء عليه مهما كانت المحرمات.

وبعد العديد من النقاشات يحتدم الصراع بين انتصار وأوامرها والحراس ومحرماتهم، إلى أن تقول:

- حسنًا، لا أريد أحدًا؛ فأنتم كالباقي لستم مميّزين، هيا اذهبوا.

يترك الحراس انتصار المشتعلة بالغضب وقد أزعجهم حديث العجوز.

يراقب سانوخ كل ما يحدث، ثم يبتسم ويقول داخل نفسه:

- الآن هذه فرصتي، لن يدوم مُلكَكِ يا انتصار؛ فأنا سانوخ بن إبليس ملك الدهاء، سأفعل بك الأفاعيل، وستندمين على تهميشكِ لي.

ثم ينتقل للبحث عن الحراس.

***

في هذا المبنى المتهالك، وبعد الصعود عدة درجات إلى الأعلى للوصول إلى الطابق الثالث، ثم تجاوز ذلك الباب الأصفر القديم ليدخلك إلى ساحة ضيقة، مرورًا ببعض الأثاث الهَرِم تجد بابَ غرفة أخرى، تتجاوزه فترى غرفة سوداء شديدة الظلمة، نوافذها مغلقة، على الفراش يوجد شاب نائم وهو يتقلّب مترعجًا؛ إنه سعفان، الذي وبعد أن أدرك فقدانه لحبيبته ومع حلمه الأول صار يحلم بها كل يوم دون أن يستطيع إيقاف ذلك الحدث الذي يرهقه، يرى الآن سعفانَ نفسه على نفس الأرض الزراعية ونفس الجبل، وأمنية تهرب منه، ثم يعبر الأشواك ويشعر بوجود كائن لا يراه؛ فيستيقظ على الفور.

لم يخرج سعفان من غرفته منذ بدَأ ما يحدث معه، كَبُرَ شعرُه وذقنه صارت كثيفة، عيناه شديدة الإرهاق وتحتهما سواد يشعرك بأنه يشرب المخدرات، نقُصَ وزنه بشدة وصار هزيلًا، ووجهه شاحب اللون، من الوهلة الأولى التي تنظر له فيها تشعر بأنه رجل كهف في العصور القديمة، بعدما يستيقظ ينبض قلبه وهو يقول داخل نفسه:

- ما الذي يحدث لي؟! حتى وإن كانت أمنية ذهبت فهذا ليس غريبًا عني؛ فمنذ طفولتي وأنا لا أستطيع الحفاظ على ما أملكه، وحتى

عندما كبرت حدث نفس الشيء انتهاءً برضوى. فما المختلف هنا؟! ذهبت من أحبَبْت وانتهى الأمر.

لكن صوت آخر داخل عقله يقول:

- لا يا سعفان، أمنية مختلفة. ألا تذكُر أنها الوحيدة التي سمعَتْك وأنت تقول بحبك. ألا تذكُر الأحلام والروحانيات معها. أمنية مختلفة لا تجعلها تذهب. تحدّث معها لعلها ترجع.

تبدأ الأصوات تكثر داخل عقل سعفان، ليتحدث صوت آخر:

- لا لا كيف أحدّثها وقد تمت خطبتها؟! لقد انتهى الأمر، وبالتأكيد سأعيش وأعمل، وحينها سأجد من أتزوجها: فربما لم يشأ الله لي بالزواج بعد.

- كيف تقول ذلك؟! فكيف تفسر إذًا أحلامها بك وأحلامكَ بها، هل كل ذلك هباءً منثورًا؟ تحدث معها: فمن دونها أنت سراب وسيغضب الله عليك.

تتضارب الأفكار داخل عقل سعفان، حتى يستسلم لفكرة أنه لا يجب أن يضيعها من يديه، يُمسك هاتفه ويبحث عن رقمها على الواتس آب: فيجد أنها قد أغلقته، يخفق قلبه، ثم يبعث برسالة إلى صديقتها سلمى التي كانت تعرف بأمرهما وقامت أُمنية بجعله يتعرف عليها، كانت سلمى تحب سعفان وتراه فتًى طيبًا. وقد حزنت كثيرًا عندما علمَت أن أمنية ستتركه، وقد ساعده هذا في التكلّم معها، وبعدما ترجّاها مرات عدة أعطَت له رقم أمنية الجديد وهو يعِدُها بأنه سيصلح الأمور. يأخذ سعفان الرقم ويعتدل على فراشه وهو واثق في أن أمنية ستقدّره وترجع إليه: فهي أحبته كما أحبها، ثم يبدأ في الحديث. ولحسن حظه يرى أن رقمها نشط الآن على الواتس آب:

سعفان: أمنية، أخبارك؟ أنا سعفان.. جِبْت رقمك من سلمى، وكنت عايز بس أقولّك حاجة.

لحظات من الترقب وتتأخر أمنية في الرد؛ فيقلق سعفان الذي يبتسم وهو يراها على الهاتف تكتب برسالة له.

أمنية: اتفضل.

سعفان: كنت عايز أقولّك إني معرفش حصلّي إيه، بس أنا قررت إني هحارب عشانك.. عشان بحبك وبقدّر نعمة وجودك جمبي، وإني هنسحِب بس لو انتي اللي رافضَة. بس عالأقل ما أبقَاش سايبِك وأنا جبان.

أمنية: لا ماتحاربش، بس أنا مش أمنية بتاعة زمان خالص، حتى لو مش مخطوبة فأنا اتغيّرت، مش عايزاك تتكلم يا سعفان عشان كلامك مش هيفيد، وفترة خطوبتي غيّرتني وكل شيء قسمة ونصيب.

يرى سعفان هذه الجملة؛ فتبدأ الأصوات داخله بالنهوض مرة أخرى قائلة:

- ألم أقل لك؟ غضب الله سيتحقق! لقد ضاعت ولن ترجع، نعم نعم أنت الآن خسرتَ كل شيء ولن تعود مرة أخرى.

ترتعش يد سعفان؛ فيكتب سريعًا وهو غير مصدق ما يراه.

سعفان: هو انتي تبقِي مين؟ أمنية اللي أنا حبّتها ولا انتي شخص تاني بيكلّمني ولا الرقم غلط؟ انتي عارفة كويس أنا عانيت ازّاي زمان وحبّيتك ازّاي، أنا نَفسي معرفش حصلّي إيه، ولأول مرة أعيّط عشان حاجة عايزها.. عشان نَفْسي، ولأول مرة أمتلك شيء بعد ما قعدت طول حياتي سلبي، وأحلامنا وكلامنا عن إن ربنا اختار نكون سوَا، كل ده راح؟

أمنية: أنا معرفش انت حلمت بيّا ليه ولّا أنا حلمت بيك ليه؟ معرفش ردّ لحاجة أنا نَفسِي مجهولة بالنسبالي، أنا كمان ضحِّيت كتير عشان أسعدك، وفي الفترة الأخيرة كنت بعيّط كتير عشان اللي وصلناله وانتَ مش بتتحرّك، أنا حبّيتك زي ما انت حبّتني، بس فيه حاجة أهم من الحب عندي، أولهم الأمان يا سعفان، وانت مش هتعرف تحقّقه، الأمر مش سهل عليّا، بس لازم يحصل، وقصتنا انتهت.

يرتجف جسد سعفان بالكامل غير مدرك لما يحدث معه كل هذا؟ ولماذا يريد أمنية بهذه الطريقة؟ وكيف صارت هكذا؟! تزداد الصراعات داخل عقله وهو يكتب بصعوبة محاولًا أن يجد بَصِيصَ أمل مع هذه الظلمة التي يراها.

سعفان: أمنية، أنا تعبان مش عارف مالي، أنا حقيقي بنهار ومش عارف امتى وازّاي بقيت كده، أرجوكي ماتقوليش كلامك ده، أنا عمري ما عملت كده عشان شخص، ماتبقِيش انتي اللي تعملي فيّا كده، ماتبقِيش انتي اللي توصّليني للانتحار.

تذعر أمنية عندما ترى كلمة الانتحار؛ فتكتب سريعًا:

أمنية: سعفان أرجوك انت ماتخلّينيش أحس بذنبك، كفاية اللي فيّا، اتقّي الله وخاف على نفسك، وحاول تكمل حياتك بطريقة صحيحة، وأكيد هتنساني.

يكتب سعفان وقد بدأت الدموع تنزل من عينيه لا إراديًا ولا يستطيع منعها من الهطول.

سعفان: أمنية، أنا رسمت حياتي عليكي، مستقبلي.. طريقتي وكل حاجة، قُولت خلاص دي الشخص اللي هتكمّل معاك وهتستحملك، أنا دلوقتي بترجّاكي وأنا مش عارف حتى كل ده بيحصل ليه، موقف الذلّ ده أنا هستحملُه، بس ماتبِعْنِيش.

أُمنية: أنا مابِعتكْش، انت جاي في وقت استنفِذْت فيه كل طاقتي وجاي تحاسبني، بص زمان وشوف مين كان بيقولّك روح اشتغل واتعالج، وانت دلوقتي تلومني أنا!

سعفان: أقسملِك إن أنا سليم، ومعرفش الشيخ ده قال ليه كده؟ بس أنا مش مسحور، ازّاي أكون أنا السبب في كل ده، وأنا مبحبّش سكة الشيوخ دي ومُعرّض فها جدًا إني أتبهدل.

أُمنية: سعفان، أنا مخطوبة دلوقتي وبكلمك بس عشان أفهّمَك إن موضوعنا خلاص، وده عشان أنا مش بذلّك زي ما انت قولت، لو سمحت ماتبعتْش تانى وياريت صورتنا تفضل حلوة للآخر.

سعفان: انتي ازّاي بقيتي كده؟ نسيتي أحلامنا والحاجات المشتركة الكتير بينَا؟ نسيتي إننا ازّاي قُولْنا ربنا جمعنا لسبب مش عارفينه وهنكتشفه سوَا؟ نسيتي الخطط اللي رسمناها والحياة اللي قولنا هنوصلّها؟ نسيتي حتى صلاة القيام وقصص كل يوم؟ نسيتي كل ده ازّاي؟ نسيتي حتى الظروف الصعبة اللي كنا بنعدّيها سوَا ولما كنتي تقلقي كُنت جمبك، أرجوكي ماتعملِيش كده.

يكتب سعفان هذا الكلام وهو يتجوّل في غرفته لا يستطيع الجلوس وقلبه يخفق بشدة، حتى شعر بألم في صدره يدل على إرهاق عضلة القلب.

أُمنية: أنا مانسِتْش وسيبني في حالي أرجوك، سافر يا سعفان، انْساني أو تناساني، بس مش هقدر أكون ليك.. أنا اتغيّرت، الفترة دي غيّرتني ومابقِتْش أمنية اللي تعرفها، أنا هعمل بلوك ومش عايزاك تبعت أي حاجة تاني، أنا خدت قراري، وعشانَك مش عشاني.. روح اتعالِج يا سعفان.

وبعد نقاشات عديدة وحالة سعفان المزرية وترجّيه لأمنية بكافة الوسائل، ومع إصرارها على عدم الرجوع واضطرارها لإيذائه ببضع

كلمات جارحة لكي يكرهها ويذهب بعيدًا، ينتهي كل شيء؛ يفقد سعفان أمنية للأبد، وتقوم هي بمسح رقمه وتنفيذ وعيدها، تاركة سعفان الذي أقنعَ نفسه بعد توتر شديد بأن هذه قصة حب وانتهَت، ولا داعي لكل هذا، لكن تستمر أمطار دموعه في الهطول دون توقف.

مر أسبوع واحد على هذه المحادثة، وحالة سعفان تسوء أكثر فأكثر على عكس ما توقع؛ فهو لا يستطيع أن يأكل فمجرد ملامسة الطعام لمعدته يجبره ذلك على التقيؤ، ولا يستطيع أن يفكر؛ فعقله قد توقَّفَ تمامًا، بجانب شعوره بعدم قدرته على النوم وتعدد الأصوات داخل رأسه، وأخيرًا البكاء دون سبب عند فقط تذكّره لوجه الفتاة التي أحب، يظن سعفان أن هذه حالة أصابته لحبه الشديد لها وستنتهي مع الوقت، يحاول أن يخرج من هذه الحالة بسماعه لبعض الأغاني أو الأفلام الشيقة، لكنه يتذكرها في كل كلمة وكل مشهد، لقد كانت تشاركه حياته بأكملها وأحلامه بالطبع، يحاول بشتّى الطرق الوصول إليها، لكنها استطاعَت بناء حاجز منيع يمنعه من الاقتراب منها، وهو لا يدري لماذا يريدها بهذا القدر؟! لماذا الحياة متوقفة؟! ما الذي أصابه؟!

يقضي سعفان اليوم كالمعتاد في غرفته لا يخرج منها، جالس وحيدًا في ظلامها، ووالدته بدأت تشعر باضطراب ما به، لكنها كلما فتحَت معه حديثًا صدَّها وأخبرها أنه بخير.

ليلة أخرى وسعفان جالس على فراشه ليذهب في النوم، دقائق في نومه وساعات في الحقيقة، حتى يحلم بأنه يقف على أرض جرداء لا زرع فيها ولا حياة، لا يستطيع أن يتحرك؛ فهو مكبل اليدين ومثبّت على الأرض، ينظر أمامه فيرى أمنية، ثم تجحظ عيناه لرؤية كائن غريب بالخلف، هيئته بشعة وقوته كبيرة، يلتفّ حولها ببطء وهو ينظر إلى الفتى المكبل الغير قادر على الحركة أو التحدث، ثم يستيقظ في الحال وهو يتعرق بشدة قائلًا:

- أمنية.. أمنية!

يبحث عن هاتفه، وبمجرد أن يمسكه يتذكر بأنها ذهبت.

عقله مشتت والأصوات تعلو داخله قائلة:

- سعفان، أمنية معرّضة للخطر، انتَ ضعيف.. لا يا سعفان فُوق.. على هذا المنوال ستجن.. سعفان، أمنية ستؤذَى بسببك: فأنت من تركها.. سعفان أنت ضعيف تترك كل من تحب ليموتوا.. سعفان لا تسمعهم: فأنت من تواجه الخطر، أمنية رحلَت وهي بخير إن لم تنتبه ستنتهي.. سعفاااان أمنية ستموت.

ينفجر الفتى الذي تتصارع أفكاره داخله كأنما تحوّل جسده لمسكن أرواح مختلفة، ثم يُمسك الوسادة ويضعها على فمه وهو يصرخ بأقصى ما عنده ودموعه الغزيرة تهاطل، يضرب رأسه بيده وهو يقول بصوت خافت حتى لا تسمعه والدته:

- كفاااية، كفاااية أنا بمووووت.

قرابة الخمسة شهور منذ ذلك اليوم ونفس الحدث يتكرر باختلاف المشهد. يقضي سعفان يومَه بائسًا وهو يجلس على فراشه لا يتحرك، يداه على رأسه، نظره مثبت للأسفل، يحاول الوصول لها دون جدوى، يتذكّر فقط كل لحظة قضاها مع أمنية. ويأتي الليل؛ فينام وهو خائف ليحلم مرة أخرى، هذه المرة يرَى سلمى صديقتها وهي تنظر إليه قائلة:

- سعفان، خد أمنية عايزة تكلمك على الموبايل.

يأخذ سعفان الهاتف وهو لا يصدق، ويضعه على أذنه فيسمع صوتها وهي تبكي قائلة:

- سيبتني ليه؟ حرام عليك. أنا كنت فاكرَه إنك الأمان ليَا.

صوتها يمزق قلبه، ثم يحاول أن يتحدث إليها؛ فيجد أن فاه مكبّل، أو أنه لا يملكه من الأصل، ثم يستيقظ في الحال وهو يبكي لا يعلم ما كل هذا؟ وكيف أنه ضعيف هكذا؟! الشعور بالذنب يذبحه؛ فهو يشعر بأنه السبب في كل شيء، ولأول مرة تأتي له الأصوات التي لا يعلم مصدرها بفكرة الانتحار.

ليلة أخرى ونوم يتجدد معه فظاعة ما يرى هذا الفتى، سعفان يقف مع أمنية في ساحة مكتظة بالأناس، يتجوّلون سويًا باحثين عن شيء ما، وفجأة يظهر أمامه شيخ لا يستطيع رؤية وجهه، يُمسك بيده قطعة من اللهب ويضعها على وجه سعفان الذي يصرخ متألمًا، ثم يجد نفسه أمام مرآة، ينظر لها ليرى أن عينَيْه تحولَت إلى لون تقشعر منه الأبدان، وأن وجهه ينمّ على أنه صار شيطانًا وليس من الإنس، يقوم وهو يصرخ قائلًا: لاااااااااااااااااااااااااااااااا.

خمسة شهور وسعفان كل ليلة يحلم بحلمٍ مختلف يرى فيه أمنية وهو ضعيف، والجان يتملكها، أو أنه يتحول إلى شيطان! أو ربما يرى حبيبته وهي تقول له بأنه السبب! مرّت عليه كل عشائر الجان، وصار يراهم واحدًا تلو الآخر، حتى جاءت هذه الليلة التي ومع عدم نومه خوفًا من تجدّد أحلامه لم يستطع المقاومة، ودخل في ثبات مؤقت، يرى نفسه في مكان مظلم، فراغ قاتل ولا يعرف أين هو؟! ثم ومرة واحدة يخرج له من الظلام كائن يعرف داخل الحلم أنه إبليس، لا يصدّق ما يراه؛ هل هو بالفعل يرى إبليس؟! يراه على هيئة عفنة في جسد بشري، عينان واسعتان تتدلّى من جسده ورأس غير منتظمة، لا قرنان له، إنما شعر خفيف يتساقط، يقف مرتعدًا أمامه، ثم يراه يبتسم له وهو يمد له يده؛ ليشعر سعفان داخل حلمه بأنه إن قام بالسلام عليه ووضع يده بيدِ هذا الجان المشهور ستُحلّ أزمته وينجو مما هو فيه، لكن وقبل أن يمدها يتذكّر الله، للمرة الأولى ومنذ خمسة

شهور يتذكّر سعفان أن هنالك إله؛ فبسبب انقطاعِه عن الصلاة وهجره للقرآن نسِي كل شيء. وبخوف شديد يسحب سعفان يده ويضعها خلفه؛ فيرى وجه إبليس وهو يغضب وينشق قلب الفتى لرؤية هذا المنظر؛ فيستيقظ على الفور، وكعادة كل يوم وكل استيقاظ صراخه المكتوم في الوسادة وبكاءه الغزير. لكن هذه المرة زادَت عن سابقتها أنه رأى جسده هزيلًا وعظامه هشّة وقوته تتلاشَى. يَنزل بصعوبة على الأرض ويحاول رفع كيس صغير فلا يستطيع. يقع على الأرض وهو لا يصدّق. ينظر إلى يديه: فيجد أنها ترتعش. ثم يتذكَّر الحلم وأنه لم يسلّم عليه. والوجه الذي رآه وكم البشاعة التي به. يعِي أن عدم سلامه عليه تعني الموت. وأن أعصابه تلفَت وقوَته تلاشَت. هنا تعود الأصوات مرة أخرى إلى سعفان الذي يجلس على الأرض وهو يضم يدَيه على جسده. وتلتفّ قدماه على بعضها البعض لمحاولة إخماد انتفاضة جسده المتسارعة.. سعفااان سيقتلنا الجان وأمنية لن تعود. لقد تركَتْكَ تواجه كل ذلك وحيدًا.. لا يا سعفان هي لا تعلم... كفى غباءً. وحتى لو علمَت ما الذي يجبرها على مساعدة شخص مسحور مثلك. أنت الآن تستحق الازدراء... لا يا سعفان أمنية أحبّتْكَ لا تسمع له... سعفاان هذا هو الوقت المناسب للانتحار: فأمنية لن تعود والجان يحاصرونك. وأنت شيطان بالفعل لم تكذِبْ أمنية عندما قالت لنا ذلك؛ فجسدك مفتوح والسحر كان منك. هيّا يا صديقي لننتحر ونُنهي كل هذا العذاب.

بسبب توالي الأحلام يصاب سعفان باضطراب الأعصاب؛ فلا أحد يتحمل كل تلك المدة على هذه الشاكلة. ثم تسيطر فكرة الانتحار من بين كل الأصوات عليه؛ فهو لم يعُدْ له شيء. الحياة قاسية بحق. والله يرى ذلك ولا يساعده. والفتاة التي ضحَّى بكل شيء من أجلها لن تعود. والسحر تمكَّن منه وجسده صارَ كهلًا. ما الذي يدفعه لإكمال حياة انتهَت قبل أن تبدأ؟! ما الذي يرغمه على الاستمرار وهو كل يوم يحلم

بهم وبها؟ فإن كان الهروب حلًا في الواقع فكيف هو في المنام. يستجمع سعفان قواه وينهض متثاقلًا، يرتدي ملابسه بصعوبة، وينزل من منزله وقد تجمّعَت في داخله عدد من الأفكار للقضاء على حياته.

يمشي ببطء وهو يتجه ناحية إحدى الصيدليات المجاورة، يدخلها قائلًا:

- لو سمحت عندك سرنجة؟

يرد الصيدلي بنبرة قلقة:

- لا مفيش.

يعي سعفان أن الصيادلة لا يخرجون هذه الأشياء بمفردها؛ فالمدمنون يستخدمونها في أفعالهم، كما أن وجهه المظلم النحيف وذقنِه الكثيفة وشعرِه الغَير منظّم والكبير يؤكدان أنه مدمن، ثم يقول له بصوت متسارع:

- أنا مش مدمن والله، أنا بس والدتي تعبِت فجأة ولازم أدّيها الحقنة، ولو ماخدِتْهَاش هتموت، صدقني أنا مش مدمن وممكن أديك البطاقة بتاعتي تأكيد.

يشعر الصيدلي بأن الفتى صادق، وبطيبة قلب يُعطي له ما يريد، وهو لا يعلم بأن هذا الفتى على بُعْدِ دقائق من إنهاء حياته بهذه الطريقة.

يتجه سعفان إلى أحد المناطق التي تطل على النيل من أجل أن يضع تلك الأداة وهي فارغة في الوريد، وهذا ما يُطلَق عليه طبّيًا (حقنة هواء)، وبمجرد أخذها تذهب فقاعات من الهواء للقلب والرئتين لتوقف عملهما، وتؤدي بذلك للموت في وقت قصير.

يضعها سعفان في ذراعه وهو يبكي متذكرًا أمنية والذكريات السعيدة والوَهْم الذي اعتقَد أن الحياة ابتسمَت له أخيرًا، ويضغط عليها لكي تفرغ الهواء في جسده.

ينتظر سعفان الموت وهو جالس ينظر إلى الماء، وقد انتابته هيستيرية من الضحك يتبعها لحظات من البكاء. يُغمِض عينَيه وهو ينتظر الموت الذي تأخّر. ينظر لجسده مندهشًا؛ فهو لا يشعر بأي شيء، ثم يركّز نظره على ذراعه؛ ليجد أنه لم يصب الوريد وإنما فعلها بشكل خاطئ؛ فهو لا يعرف الطب أو التمريض. الصوت يزداد داخل عقله وهو يقول له:

- لا يهم يا صديقي، لنقُم برمي أنفسنا في الماء، على الأقل سنموت شهداء والجِنَان تنتظرنا. والله أحنّ علينا من حبيبتك ومن هذا الواقع القاسي؛ فهو لن يعذبك وأنت تريد الذهاب إليه لتهرب من الشر الذي يوجد بالدنيا القاسية تلك.

يقف سعفان المستمع لصوته غافلًا عن الأصوات التي تنهَاهُ عن ذلك. وقبل أن يقفز يرى أناسًا يمرُّون بجانبه، وقد لاحظَ أنهم يشكّون فيه؛ فيتراجع ليقرر الذهاب إلى السكة الحديد؛ فهو يعرف منطقة لا يوجد بها أحد والقطار يكون مسرعًا فيها، وسيرمي نفسه وينتهي الأمر. بالفعل يتوجه إلى هناك وهو يجلس منتظرًا القطار. ينظر إلى السماء وهو يقول باكيًا:

- ليه بيحصل معايا أنا كده يا رب؟! ليه دايمًا سعفان لازم يعاني؟ من طفولتي واسمي معرَضني للتنمر والتريقَة من كل الناس، فَقْرِي كان عار. وكنت بشوف العيال في المدرسة بيجِيبُوا كل اللي عايزينه وأنا بتفرج بس. حتى الأب حرمتني منه. كبِرْت وقولت خلاص هتعرّف على شلّة وأصحاب والحياة هتتغيّر. لقيت نفس التنمر وإن ازّاي سعفان الغلبان يكون في شلة أغنياء، وإنه مكتوب عليه يكون أقل منهم، وكنت بسمع كلامهم وأعمل نفسي بضحك عشان بس أكمّل وأقول هتُفرَج يا سعفان.. هتُفرَج وربنا مش هيسيبك. حصلِت كل الأحداث وألاقي والدي بيموت قُدّامي وسحر ومقابر وصندوق وأقول

معلش أكيد فيه يسر جاي بعد عسر، قولت خلاص الصندوق ده كنز وهيتفتح وهقدر أتجوّز رضوَى اللي هي أكتر شخص عطَف عليّا وماحبّتنيش، بس كانت بتقدّر مشاعري. أكون السبب في إنها تموت؟! أتعذب وألاقي راجل بتاع قهوة السبب في كل حاجة ومعرفش أوصلّه؟! وبعد معاناة أقرّر أنهي الماضي وأبتدي من الأول وأنا لسّه بقول يا رب، لحد ماشوفتها.

وهنا تتهاطل الدموع بكثرة من سعفان ويشهق بشدة. قائلًا في صوت ينأى له الجبين:

- شوفت أمنية وحلِمْت بيها وحلمِت بيّا، قولت بس.. ده عوض ربنا، خلاص كدّه الحياة عملِت فيك كل ده بس ربنا بيكافْأك، لقيتها مشتركة معايا في كل حاجة، حتى في صفاتي التافهة استحملتها وحبّتني، ولأول مرة أحب شخص بصِدْق وأقولهالُه وأنا مش خايف، والذكريات السعيدة وكل حاجة تمام، وحبِّيتك قوي يا رب قُولت مش بتنسَى عبادك، قالتلي إنها مسحورة قُولت مش مهم وهقف جمبِك وهتطلعي برّا كل ده، آه صح يا رب سعفان بيحبّ يساعد الناس قوي، بس الناس عمرها ما هتساعد سعفان، وفجأة كل حاجة اتقلبِت وشيخ معرفهوش يقولّها إني مسحور وجسمي مفتوح وأنا السبب في كل حاجة، ورجِعْت أسوأ عشر أضعاف من الأول، كأني مكتوب عليّا إني لازم أوصل لليوم ده، والشخص الوحيد اللي حبِيتُه بكل حاجة فيّا يكون هو السبب في إني أنتحر دلوقتي، أنا جايلك ومش عارف هيحصل فيّا إيه، بس أكيد انت أحنّ منهم، الناس ظالمة قوي وأنا مش قدّهم ومش قَدّ الجن اللي بيموّتني يوم بعد يوم.

يسمع سعفان صوت القطار، يمسح دموعه ويقف؛ فيراه قادمًا من بعيد نحوه بكامل سرعته، يتحرك بضع خطوات إلى الأمام ليقف في مواجهته وعيناه تنظر إلى السماء التي هو قادم إليها بعد لحظات.

ومع اقتراب القطار يرى سعفان مشهدًا يحرّك فيه صوتًا خاملًا منذ شهور بعيدة. تتسع عيناه وهو يرى نيزكًا أو شيئًا يحترق في السماء ويهبط بسرعة إلى الأرض في لحظات. صوت داخله يستيقظ وهو يقول له:

- سعفاان فاكر ده إيه؟ الصلاة يا سعفان افتكر.

وقبل قدوم القطار بلحظات يتراجع إلى الخلف وهو يسقط على الأرض ناظرًا للأسفل، متذكرًا اليوم الذي كان يقرأ فيه مع أمنية في صلاة القيام سورة الشعراء، ويتذكر تلك الآيات جيدًا؛ لأنه أحبها وكأنما حفظها لمثل هذا اليوم. يتذكر قول الله تعالى والذي يردّده بصورة غير إرادية:

"وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ(227)"

بمجرد رؤية الشهاب المحترق يردّد هذه الآيات دون توقف، وصوت الانتحار داخله يضمحل. ويعلو مكانه صوت جديد نسيَه تمامًا وهو يقول داخله:

- سعفان، ألا ترى هذا الشهاب المحترق؟ إنه شيطان كان يريد أن يتصنَّت على الملائكة لمعرفة الغيب، من ذهب لأمنية وأخبرها أنك مسحور ليس بشيخ إنما ساحر. يعرفُ جيدًا أن حديثه سيصل إليك.

وأنها ستتأثَّر بذلك وأنت ستُجَنّ وتنتهي منتحرًا، العيب ليس بك إنما في من أحبَبْت، الشعراء يتبعهم الغاوون، قد تعتقد أنه شيخ، ولكنه ساحر يتظاهر بالتقوَى والورع، بحديثه الخلّاب يُذهب العقول ويحرك القلوب، انتحارُك يعني هلاكك؛ فعذاب الله أشد وأعظم من أفعال البشر، لقد سمعكَ الله يا سعفان ونجّاكَ بجعلك ترى هذا الشهاب الآن، إن الشيطان يزين لك الانتحار في صورة أن الله غفور رحيم وسيدخلك الجِنَان إن ذهبت له، وبالتأكيد ليس ظالمًا كالبشر، إنما الحقيقة هو يريدك أن تفعل الكبائر حتى تَهلَكَ وتلقَى عذاب الله؛ لأنك سمعتَ كلام شيطان رجيم ولم تتمسك بحبال الله الغفور الرحيم.

ينهض سعفان من مكانه والآيات تخترق قلبه.. عقلَه وجميع أنحاء جسده، لا يصدّق ما يحدث، الأصوات التقية ما زالت تصيح داخله، ثم يمسح دموعه وهو يقول بصوت مرتفع:

- يا رب، يااا رب، يااااااااااااااا رب.

***

- انت ازّاي يا حضرة الظابط تروح مكان لوحدك من غير أوامر؟

- يا فَنْدِم كنت بحاول أجمَع معلومات.

- دي مش مهمتك، ونتيجة لتسرعك ده حصل إيه؟ سلاحك اتّاخِد منك وبقَى منظرك في الداخلية سيء، من النهاردَه اعتبر نفسك في أجازة مفتوحة لحد ميعاد التحقيق، اتفضل.

- تمام يا فندم.

يخرج الرائد حسام من المكتب وهو لا يدري ماذا يفعل، وظيفته على وشك أن يخسرها إن لم يُحضِر دليلًا أو يأتي بشيء جَلل من أجل

تحسين موقفه، ولكن كيف سيفعل ذلك وهو لا يعرف مكان لبنى الآن؟ ولا يملك مخبرين يعملون لأجله. يفكر في كل ذلك وهو يحدث نفسه:

- ماذا ستفعل الآن يا حسام؟ ما هو الخيط الذي يجب عليك إتباعه؟ هل ستكتفي بالجلوس مكتوف الأيدي حتى ميعاد تحقيقك؟ صار عدائي مع لُبنى شخصيًا بجانب موت حامد. ولكن لحظة.. ماذا إن كانت لبنى صادقة عندما ذكرَت لي قصة حامد مع الجان وأحمد تلميذه الشاب؟!

هنا يقرر الرائد حسام السعي وراء هذا الخيط، يذهب إلى الجامعة التي كان يعمل بها صديقه المتوفَّى، وهناك يسأل عن الطلبة المقربِين منه عندما كان حيًا يُرزَق مدعيًا أن التحقيق في موته تم فتح ملفه ويحتاج إلى هذه المعلومات، وبعد مجهود وفير يصل إلى عنوان منزل أحمد؛ فقد كان الجميع في الكلية يراهم كثيرًا سويًا وذلك لصلته المقرّبة منه، ثم وعلى الفور يقرر الذهاب إليه والتحدث معه.

يصل إلى المنزل الذي يقطن فيه أحمد؛ فيجده في منطقة سكنية راقية، يرنّ الجرس، ولحسن ظنه يفتح له شاب، فيقول مسرعًا:

- انت أحمد؟

يرد أحمد مرتابًا:

- أيوَه، حضرتك مين؟

- أنا الرائد حسام، صديق مقرب للدكتور حامد الله يرحمه.

أحمد مندهشًا مما يسمع يقول:

- وحضرتك عايزني ليه؟

في صوت خافت يقول الرائد حسام:

- كنت عايز أستفسر منك على الوشم اللي مرسوم على جسم دكتور حامد.

بمجرد أن يسمع أحمد ما قيل حتى يُغلق الباب، ثم يقول له:

- الكلام ده خطير ومش هينفع هنا، تعالَى نتكلم تحت في أوضة بستقبل فيها الناس وأمان.

يذهب الاثنان للغرفة حتى لا يسمعهما أحد، ثم يقوم الرائد حسام بالشرح عن كيفية معرفته للوشم، وأنه يتعين عليه حل لغزه، وأحمد يسمع هذا الكلام وهو لا يصدق أن الدكتور حامد تم قتله على يد راقصة، ثم يشرح هو الآخر علاقته بالدكتور وما مرّ به مع أصدقائه، والرائد يسمع كل هذا متعجبًا، هل هذه العوالم موجودة حقًّا؟ وهل ما يحدث ليس كذبًا؟!

بعد الصدمات المتبادلة يقرر الاثنان حلّ لغز الوشم سويًا، ثم يخرج أحمد بعض الأوراق المخبأة داخل الغرفة وهو يقول:

- الورق ده أنا رسمت فيه الوشم من كل النواحي، وبعد مقارنات كتير لقيت إنه مش وشم عادي لا، كأنه طريق مرسوم بأبعاد معينة، أعتقد إنه بيرسِم الوِجهة للرسالة اللي سابها دكتور حامد، بس مش عارف أحدّد الطريق ده ممكن يترسم ازّاي.

يأخذ الضابط الرسومات ويبدأ في معاينتها قائلًا:

- الأشكال دي مش غريبة عليّا، حاسس إني شوفتهم مع حامد قبل كده.

يقرر الاثنان عدم تضييع الوقت والبحث من الآن عن مدلول هذا الوشم، يُخرج الرائد حسام علبة السجائر الخاصة به، ويقوم أحمد

بعمل فنجان قهوة، ويجلس الاثنان والرسومات أمامهما يحلّلان كل شيء ويضعان الافتراضات؛ لعلهم يصلون إلى نتيجة.

ساعات من العمل الشاق، التركيز والتفكير الدقيق؛ ففي الوشم كلمات وأرقام متفرّقة وغير مرتبة دون معرفة معنى صريح لذلك، يصيح الرائد حسام قائلًا:

- اكتشفت اللغز أخيرًا.

يرد أحمد مسرعًا:

- قول بسرعة عرفته ازّاي؟

- الوشم ده أنا قولتلّك إن شكله مش غريب عليّا، دلوقتي افتكرت، حامد كان معاه خريطة مشابهة للرسومات والأرقام دي، وكان دايمًا يقول عنها.. حل أي لغز يكمُن في تجميع القطع المتفرقة، وده اللي لازم نعمله، احنا بنمسك كل رسمة بنحاول نحلها لوحدها وبكده عمرنا ما هنوصل لحاجة، لكن إذا رتّبنا الرسومات دي بترتيب معين هتتكوّن الخريطة، وساعتها هنعرف المكان.

أحمد فرحًا:

- انت عبقري.

يقومان بترتيب الأوراق بتسلسلات مختلفة على نحو أفقيّ أو رأسي، وأخيرًا يصلان إلى الترتيب المناسب، وتعتلي الدهشة وجههما وهما يريان أن الخريطة ترتسم بالفعل، وفي وسطها عنوان مكتوب يجمع الأرقام والكلمات معًا.

يقرأه أحمد قائلًا:

- المريوطية 303، يعني إيه؟

- يااااه! ده عنوان أول شقة قعدنا فيها أنا وحامد أول ما جينا القاهرة من سنين. كنا بنقول عليها الاسم ده عشان الناس ماتعرفش احنا ساكنين فين. بس العنوان ده أنا الوحيد اللي أعرفه. هل يُعقَل إن حامد كان عارف إننا هنتجمَع سوَا؟

يقول ذلك الرائد حسام مندهشًا.

- دكتور حامد كل يوم بيثبتلي إنه شخصية غريبة محدّش يقدر يتوقعها.

يقرر الرائد حسام مع أحمد أن يتوجها إلى هذا العنوان عقب فرح أحمد الذي اقترب، ولن يستطيع الذهاب في هذا الوقت؛ لانشغاله بالعديد من الترتيبات المهمة، وأيضًا يجد الرائد حسام هذا مناسبًا له من أجل الاستعداد وإحضار سلاحٍ آخر معه؛ فهو لا يعرف ماذا سيجدان هناك؟ ثم يتفرق الاثنان وهما لا يصدقان أنهما وأخيرًا توصلا إلى عنوان الرسالة، غير مدركَيْن بأن هنالك من يراقبهما دون أن يرياه.

***

وداد على الأرض لا يقدِر عقلها على استيعاب كيف أنها على قيد الحياه حتى الآن؟ أمامها الرجل الغريب وقد توقّفَت يداه عن الحركة، وبجانبها جودفري بجسده الضخم يقف وهو ينظر للرجل والغضب يملأه.

يتراجع الغريب عن قتل وداد، ويلتفّ ليواجه جودفري قائلًا:

- أرى أنك أصبحت أضخم من السابق، وأشعر بالقوة تشتعل في جسدك.

جودفري متهكمًا:

- وأرى أنكَ صِرتَ عجوزًا يا قُصيَ.

- لا يا صديقي، لم أصِل لتلك المرحلة بعد، وحتى إن حدث ذلك سأعود، لقد علمتُ أنّكَ غيّرتَ اسمك لجودفري، لكني لا أصدق أنك هنا الآن، ألا تخشى أن أقتلك لمّا فعلت؟

- ليس غريبًا عليك أن تعلم بأمور لا يدركها أحد. وأيضًا إلى متى سأهرب منك؟ هربت من المقبرة في مصر ومن قريتي في أوغندا. فهل لي مكانٌ أتوجه إليه بعد العراق؟

- لكني مندهش، هل جئتَ إلى هنا لتحمي هذه الفتاة منّي؟ هل صار الفتى الأسمر عاشقًا الآن. يبدو أنّكَ تغيّرتَ كثيرًا يا صديقي القديم.

- الجميع يتغير، فمن يصدّق بأن يتسبّب شخص مثلك في القضاء على مقبرة توارثها أجيال وموت شيوخ أقوياء. وأيضًا قتل سليم؟!

يقول ذلك جودفري متأسفًا وهو يتذكر صديقه.

قُصيَ مبتسمًا يقول:

- هذه هيَ الحياة يا جودفري: فالسلالات تنقرض والأجيال يجب أن تنتهي، لكن عندي سؤال، لماذا اخترتَ العراق للهروب منّي هذه المرة؟

- كنت أعرف بأنني سأموتُ يومًا ما؛ لذا اخترتُ أن أموت في بلد صديقي سليم الذي لم أستطع إنقاذه؛ لعله يسامحني.

قُصيَ ضاحكًا:

- وهل تعتقد أن سليم الآن في حال يسمح له بمسامحة أحد. ما زلتَ ساذجًا. وهذا هو سبب تفوقنا الدائم عليك.

جودفري غاضبًا:

- ماذا تقصد بهذا القول، وهل تعرف ماذا يحدث معه؟

- إن سليم يحترق الآن في انتظار أجساد جديدة ترافقُه. وأنا أفضّل أن يكون جسد هذه الفتاة الجميلة هو من يؤنسه.

ترفع وداد رأسها بصعوبة وجسدها بأكمله يرتعد، ثم ترى قُصيّ يُحَرِّك سكينه صوبها مرة أخرى، لكن وقبل أن يفعلها يسمع صوت جودفري يقول:

- إن قتلتَها فلن ترى الصندوق أبدًا، ألا تريده؟

يتوقف قُصيّ وهو يوجه بصره إلى الرجل الأسمر الضخم قائلًا:

- حسنًا، سأعفو عن حياة صديقتِكَ تلك، أعطني الصندوق هيّا.

- لا لتذهب أولًا، وبعد ذلك أعطيه لك.

قُصيّ ضاحكًا:

- بالفعل الحب داء، لا يجلب إلا الموت لصاحبه، حسنًا لتذهب، فلا ضرر لي من ذلك.

تنهض وداد، ثم تجمع متعلقاتها وبعض الأوراق الهامة، وتتجه ناحية الباب وهي تقول لجودفري والدموع تتثاقل عليها:

- هل سأراكَ مرة أخرى؟

ينظر لها وهو يبتسم، تمر تلك اللحظات على الاثنين كأنها دهرًا يتذكران فيه كل شيء، كيف كان لقاءهما الأول؟ وكيف قام بتعليمها كل شيء عرفه؟ ثم يهز جودفري رأسه لها كأنه يأمرها بتنفيذ خطة مُتّفق عليها سابقًا؛ فتغادر وداد على الفور.

يجلس قُصيّ، ثم يتحرك جودفري إلى الداخل ويجلس أمامه، ثم يقول:

- هل تعلم ماذا حل بي بعدما هربتُ منك في بوكومانسمبي؟

- حسنًا، إن كنتَ تماطلني لهروب فتاتك من هنا فلا مانع عندي، أريد أن أعرف ماذا فعلت؟

- كنتُ مشتّتًا لا أعلم إلى أين سأتجه والصندوق معي، فكرتُ في الرجوع إلى مصر مجددًا، لكني لم أتحمل أن تطأ قدمي هذه البلد مرة أخرى بعد ما حدث؛ فمنذ ذلك اليوم وكوابيسه تطاردني. لذا قررتُ أن أتوجه إلى العراق؛ فقد كان سليم يخبرني عنها كثيرًا وعن المناطق هنا، وأعطاني خريطة لبلدته وماذا أفعل إن ذهبتُ إليها، كأنه يعلم أنه سيموت وأنني سأهرب منك إلى هنا.

- هل تعلم أنني أفتقده؟ فقد كان شابًا قويًا، ولكن المعلم داوود هو السبب: فإن لم يجعله مؤدّي المشماد لكان حيًا يرزق الآن.

جودفري غاضبًا:

- كاذب. فأنت كنت ستقتلنا جميعًا عاجلًا أم آجلًا، منذ اليوم الأول لك معنا ورأيتُ فيك تعطشًا للقوة لم أفهمه.

ثم يكمل حديثه عن هروبه قائلًا:

- جئتُ إلى هنا وتعرفتُ على أهل سليم، وأخبرتهم بأنه بخير حال. لقد كان أهله فقراء يعيشون بصعوبة؛ لذا وعن طريق الجان قمتُ بتغيير حياتهم إلى الأفضل، وكنت سعيدًا بذلك كأني أردّ دَيْنَ صديقي وتركي له يموت على يديك، قضيتُ سنين عديدة هنا، وفي مساء يوم مظلم كنتُ أذهب إلى أحد الأماكن المهجورة لمتابعة التعلم وتأدية الطلاسم، سمعتُ صوت فتاة تبكي، اعتقدتُ في بادئ الأمر أن ذلك

صوت جان هائم. ولكن مع اتّباع الصوت وجدتُ وداد ممزقة الملابس وبجانبها شاب فارق الحياة. بعد أن قمت بتهدئتها شرحَت لي أن ثلاثة من اليهود تعقّبوها هي وخطيبها إلى هنا. وواحد منهم كان مغرمًا بها. ولطبيعة الإسلام وحرمة الزواج منه أجبَرَها على الخضوع له بعد أن قتلوا خطيبها وهو يحاول الدفاع عنها. أخبرتُها بأنها إن كانت تريد الانتقام سأجعلها تفعل ذلك. وبعد سؤالي لجان الصحراء عرفتُ مَن هُم. ومنذ ذلك اليوم قمتُ بتعليم وداد كل شيء؛ السحر الأوّلي وإبرام ذيعان وعهود الملوك. لا أنكر كانت استجابتها سريعة ودوافعها للانتقام أكبر من خوفها مما تفعل. حتى جاء اليوم الذي قامَت فيه بقتل الثلاثة وهي تقف أمامهم تذكّرُهم بما فعلوا بعد أن ذاقوا الويلات. ثم تقرّبنا من بعضنا. وتزوجتُها وقضيتُ هنا أجمل سنين عمري. لكني كنت قلقًا من مجيء هذا اليوم. وها قد جاء.

يقف قُصيّ مصفّقًا ثم يقول:

- يا لها من قصة حب عظيمة. حسنًا يكفي هذا الآن. أريد الصندوق.

- انتظر يا صديقي.. سأكمل لكَ آخر جزء من القصة.

يتعجّب قُصيّ من إصرار جودفري على الإكمال. ثم يجلس مرة أخرى مترقبًا.

- في يوم قريبٍ أخبرتُ وداد كل شيء عني وعن ما حدث في مصر. وجعلتُها ترى الصندوق الذي حُمّلتُ بأمانتِه دهرًا من الزمن. وبعد تجهيزات عديدة أخبرتُها بأنه إذا جاء اليوم الذي يدخُل فيه غريبٌ إليكِ فاعلمي أن موتي قريب. وأنه يجب عليكِ الهرب بالصندوق لإكمال مهمتي.

قُصيّ غاضبًا بشدة. يقول وقد نهض من على كرسيه منتفضًا:

- هل تقصد بأن هذه الحمقاء هربَت بالصندوق وأنه ليس معك الآن؟!

جودفري مبتسمًا:

- نعم، لقد خبأتُه في مكان ليس ببعيد عن هنا، وأعتقد أنها الآن أخذته وفي طريقها إلى مصر.

- جودفري، سأقتلك وأذهب وراءَها لأعذّبها، سأجعلكَ تندم على كل ما فعلت؛ فأنت أحمق وسهّلْت عليّ الوصول إليها بإخبارك لي عن وجهتها.

- وهل تعتقد أنني لم أحسب حساب هذا اليوم، سنموت سويًا يا قُصيّ، وستعيش وداد في مصر تحاول أن تفعل ما فشلتُ أنا به.

قُصيّ متهكمًا:

- وهل تعتقد أن بمقدورك هذا؟! هل جعلك الزمن تنسَى ما أنا قادر على فعله.

- لم أنسَ، ولكنك أخطأتَ في تقديري، لا أحد كان جانٌّ أو بشريّ يستطيع الهروب من المشماد المغلّظ.

بمجرد أن يسمع قُصيّ الاسم ينظر إلى جودفري غير مصدق قائلًا:

- وكيف علمتَ هذا النوع من المشاميد؟ لكنه يحتاج إلى وقت كبير لإحضار خادمه، وأنا سأقتلك حتى قبل أن تفكر في فعلها.

جودفري ضاحكًا:

- ومن قال لك بأنني لم أقُم به قبل أن آتي إلى هنا؟

لأول مرة يشعر قُصيّ بالخوف، ويتراجع خطوتين إلى الوراء قائلًا:

- يا أحمق، ستموت إن قمت بفعلها! سأتركك تعيش ولا تعترض طريقي.

- أعرف أنني سأموت جراء تنفيذها. لكني لن أدعك تعيش يومًا آخر؛ فأنت خطر يهدد الجميع.

ينطق جودفري ببضع كلمات غير مرتبة. ولحظات بعدها حتى تهتز الأرض تحت أرجله بشدة. ينظر قُصيّ لمَا يحدث وهو يعلم أنه قادم على خطر حقيقي؛ فهذا المشماد هو ثاني المشاميد قوة بعد ما قاموا بتحضيره في المقبرة، كما أنه لا يملك أي معلومات عن من سيحضر، وهذا يربكه.

يشتد الظلام وتكثر الظلال. يُمسك جودفري رأسَه من الألم كأن شيئًا ما يتوغل به، ثم يفتح عينَيْه ناظرًا لقُصيّ وقد تحولَتا إلى الأسود:

- الآن ستموت.

صوتٌ آخر غليظ يتحدث من داخل جسد جودفري قائلًا:

- إذًا أنت هو الفتى الذي أراد منّي جودفري قتله مضحّى بذلك بحياته الثمينة.

- من أنت؟ وما اسمك؟

- أنا معقوف، الجان الوحيد الذي له القدرة على تلبّس الجسد ومزاحمة الروح داخله.

قُصيّ متحمسًا:

- أخيرًا رأيتك، لقد كنتُ أسمع عنكَ الكثير، الجان الذي يختلف عن البقية؛ فالجميع يستطيع أن يمس الروح فقط مفتعلًا بها الكثير.

أما أنت تتميز بقدرتك على الدخول داخل الجسد والتلاحم مع الروح مفجّرًا بذلك قوة لا قِبلَ لأحد بها.

- أندهش من معرفتك لتلك الأمور؛ فالملوك الأربعة فقط هم من يعرفونني. صدق جودفري عندما قال أنكَ قويّ. لكن اليوم حان موعدك.

ظلال كثيرة تتحرك ناحية قُصيّ الذي يبدأ في قول طلاسم سريعة. ثم يقتلهم واحدًا تلو الآخر بجيش مساند له. يشاهد جودفري ذلك ومعقوف أيضًا من نفس الجسد. وبعد حرب طويلة بين الظلال يتقدّم معقوف سريعًا وهو يُمسك في يده خنجرًا ويضعه في يد قُصي، الذي يضحك قائلًا:

- أعتقد أنك أخطأتَ الهدف: فالموت يأتي من القلب.

يتراجع معقوف قائلًا:

- يُدعى خنجر السبق، وداعًا يا قُصيّ.

يندهش قُصيّ لهذا القول. وبعد لحظات يشعر بأن قدراته تُسلَب منه شيئًا فشيئًا. يسقط على الأرض والدماء تتهاطل منه، ليقول:

- ماذا فعلتَ بي؟! وما هذا الخنجر الغريب؟!

يكرر قُصي هذه الجملة إلى أن يسكن جسده، وأمامه معقوف يضحك وقد وصلَت حدود طاقة روح جودفري إلى ذروتها؛ فلا تستطيع احتمال وجود هذا الجان ثانية أخرى: فيغادر سريعًا وقد تأكّد من موت قُصيّ.

بمجرد أن يغادر معقوف جسد جودفري حتى يسقط الأخير على الأرض وقد تهشّم جسده، كأنه كان يحترق وقاربَت نهايته. يتذكر ماضيه كله في لحظات: المقبرة والدروس. الشيخ داوود وإطرائه عليه.

صديقه سليم وماذا فعل به قُصيّ. الإرث الذي وحتى الآن لا يعلم كيفية فتح الصندوق وماذا يوجد به، لكنه قام بتأدية الأمانة على أكمل وجه، وأخيرًا حبيبته وداد التي ذهبَت إلى مصر؛ حيث عاش هناك ذكريات لن تُمحَى من مخيلته متمنيًا أن تنجح في فعل ما لم يفعله هو.

تتلاشى قوى جودفري وقد قارَبَ على لفظ أنفاسه الأخيرة، تُغلَق عيناه ببطء، لكنه لا يصدّق ما يحدث، يشعر بوجود حركة بجانبه، ثم يرى وجه قُصيّ ينظر إليه والدماء تحيط به قائلًا بصوت متقطع:

- سيذكر التاريخ بأنك قمتَ بإسقاطي يا جودف.. لا بل سأقول يا أوديون، أما بالنسبة لمعقوف فسأذهب إليه يومًا ما، ولكن بعد أن أستعيد نفسي التي وبسبَبِكَ يا أحمق سأظل أعوامًا عديدة لا أقدر على فعل شيء.

جودفري يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو لا يصدق بأن قُصيّ نجا من كل هذا، ثم يقول بصوت ضعيف وخافت:

- مَ مَمَمَ.. من أنت؟

- أنا لا أحد، أنا أنت، أحِبّ من أحببتَ، وأكره من كرِهتَ، كم وددتُ أن أعيش وكم تمنيتُ أن أموت، أنا وَهْمٌ تحوّل إلى حقيقة، وحقيقةٌ صارت دروبَ الخيال، لم أكُن نفسي يومًا ما، وسأظل كذلكَ ما حييت، أنا فقط أبحثُ عن الخلود، هل عرفتَ من أكون؟

يثبت جودفري نظره على صديقه القديم، وهو يقول مجددًا:

- لقد أخطأتُ في توقّعي لك، أخشى على الكون منك.

وقبل أن يفارق جودفري الحياة يقول قُصيّ جملته المعتادة:

- هل تعتقد أنك ستدخل الجنان، أم أنك ستشتعل في لهيب الجحيم؟

يسمع جودفري هذه الجملة ويتجمّع على مقلتيه الدمع مُعَذِّبًا بتذكّر الله قبل أن يلقاه، ثم يفارق الحياة بعد أن حفظ الأمانة وفشل في الانتقام لصديقه القديم.

***

يجلس سعفان في غرفته المظلمة بعد عودته من محاولات انتحار متعددة قادته في النهاية لرؤية معجزة، وظهور صوت آخر داخل عقله يدعوه لعبادة الله. تتجمّع الأصوات داخله مرة أخرى وهو جالس على فراشه لا يصدق ما يمر به: سعفان هل ستصدّق ما رأيته؟ هل تعتقد أنك نبيّ سيريد الله أن يريَكَ شيئًا مثل هذا؟.. لا يا سعفان ما رأيته صحيح: فالله يساعدك ولم يتركك وحيدًا، إن لم ترجع الآن له فمتى ستفعل؟... ههه إنهم مضحكون جدًا يا سعفان؛ فلتتركهم وتسمعني أنا، يجب علينا ألا نفعل أي شيء، ننام فقط منتظرين الموت؛ فقد انتهى أمرنا منذ أن تركتنا أمنية... سعفان استيقظ من سُبَاتِك، تَذَّكر الآيات التي ردّدَها قلبك قبل عقلك، وإن لم يحدث ذلك لكنت ميتًا الآن تواجه الله فماذا كنت ستقول له حينها؟!

أصوات عديدة تعصف برأس الفتى الجالس على الفراش يبكي ورأسه تكاد تنفجر، حتى يقرّر أن يتبع الصوت المقرب له، ينهض من على فراشه، يُحضر قلمًا وورقَة ويكتب عليها كل أفعاله الخاطئة التي تُغضِب الله ويقوم بترقيمهم.

1. انقطاعي عن الصلاة.
2. سماعي المفرط للأغاني وهجري للقرآن.
3. أتلفّظ بكلمات نهى عنها الله ورسوله.

4. السلبية المفرطة وعدم العمل.

5. انجرافي وراء الشهوات.

يدون سعفان هذه النقاط ويبدأ في إصلاحها قائلًا لنفسه:

- أولًا يجب أن ألتزم في الصلاة ولا أترك فرضًا واحدًا من اليوم، بل وأكثر سأؤدي صلاةَ القيام بدون أمنية وحيدًا، أعرف أن الأمر قاتل، لكن يجب أن أقوم به. ثانيًا سأترك الأغاني تمامًا لن أسمعها؛ فالموسيقى مدخل الشيطان. وسأقرأ القرآن في كل وقت؛ فقد تجمّعَت الأتربة عليه لهجره. ثالثًا لن أسبَّ أحدًا ولن أتلفّظ بقول يُغضِب الله ورسوله. رابعًا سأبدأ في البحث عن عمل؛ فرغم تثاقل قلبي إلّا أنني يجب أن أحارب. خامسًا سأصدّ شهوات الشيطان وأقاتل من أجل الله.

يبتسم سعفان وهو يرى نفسه يتحوّل من منحنى لآخر بسبب موقف لم يخطر بباله أبدًا؛ فالذي كان يريد الانتحار قبل قليل هو نفسه الذي يتوب إلى الله الآن، لكن استبشار سعفان كان عظيمًا لدرجة أنه اعتقد أن كل شيء سينتهي في الحال بمجرد أن يفعل هذا.

اتّخذَ سعفان قرارًا آخر بخصوص أمنية؛ بأنه سيقوم بمتابعة أخبارها عن طريق صديقتها سلمى، ثم أخذَ يبحث عن أي موقع إلكتروني ليصل إليها؛ فلم يجد لقيامها بحظره، لكنه وجد في الأخير موقع وحيد يُدعَى ask.fm يستطيع من خلاله أن يبعث لها برسائل حتى وإن كانت لا تفتحه أبدًا. ليقوم سعفان باتّخاذ هذا الموقع كرسائل مسجلة له، وأن يقوم كل يوم بإرسال رسالة عليه لأمنية يخبرها فيها بما يحدث معه بعد أن تحوّل تمامًا على أمل أن تفتحه يومًا، أو تكون ذكرى دفينة لا يراها أحد.

منذ هذه اللحظة ولمدة شهرين آخرين يطبّق سعفان ما قاله. يقرأ القرآن ليل نهار، يصلي الفرائض والقيام، وهو في كل سجدة يدعو الله

بأن يردّ له أمنية باكيًا متضرعًا لعله يستجيب. امتنع عن قول السوء وصار قلبه يتحوّل لمنعطف جديد مليء بالروحانيات الغير معهودة له. لكن ومع كل هذا واجهته مشاكل عديدة: ففي كل صلاة أكانت فرضًا أو قيامًا يتحرك صوت بداخله يقول له: لا تصلي يا سعفان: صلاتك غير مقبولة. الله يكرهك. تبًا للصلاة ولمَا تعتقد. ابتعِد عن هذا يا سعفان. وأشياء أخرى أصعب من ذلك بكثير.

يعتقد سعفان أن هذه الأصوات ناتجة عنه. وأنه ذاهب إلى الجحيم مهما فعل. ولكن مع إصراره على الإكمال تضمحِلّ تلك الأصوات قليلًا لتأخذ منعطفًا أخطر وأشد قسوة. في أحد الأيام التي يختم فيها سعفان القرآن في ركعتَي القيام. وأثناء قراءته يخرج من داخله صوتًا يقول له:

- لماذا تصلي يا سعفان؟ وهل تعتقد أن هنالك إله من الأصل؟ أم أنك مخدوع تنادي وتدعو إلهًا ليس موجودًا؟!

هنا تجحظ عينان سعفان ويتلعثم في قراءته متوقفًا لازدياد تلك الأصوات داخله. وهي تكرّر قائلة:

- أشفق عليك يا سعفان: فالله ليس موجودًا. والكون هذا خُلِقَ من العدم. فإن كان الله موجودًا حقًا فلماذا يتركك تواجه كل هذا وحيدًا؟ ولماذا يترك السحرة يفعلون كل ما يريدون؟! اترك الصلاة يا سعفان فليس عليك حرج.

يتصلّب سعفان في مكانه وهو يزيح ما يأتي من داخل نفسه. ثم يكمل الصلاة وقد بدأ يترحزح إيمانه قليلًا حتى يسجد. وبمجرد ملامسة رأسه الأرض يبكي بكاءً شديدًا قائلًا:

- يااا رب. أنا بموت. هو أنا فعلًا اللي بقول كده؟! أنا فعلًا مش مصدق بوجودك؟! هل هبقى ملحد؟! بس لو كل ده صح: فالأمل في

كلمة يا رب هينتهي، الكلمة دي اللي مخلّياني عايش لحد دلوقتي ومصدق إني هتخلص من كل ده في يوم من الأيام. يا رب ساعدني إذا كان ده ابتلاءَك ليّا؛ فأنا أضعف من إني أستحمله. أنا ضعيف وبضعَف كل يوم. طريقك صعب قوي وخايف أتحوّل للمحد بدل ما أكون تائب.

يقول سعفان هذه الكلمات وهو ساجد لا يستطيع أن يرفع رأسه، يريد أن يظل ساجدًا طيلة حياته حتى لا يسمع أصواتًا أخرى. ولعل الله ينجيه.

أما بالنسبة لأحلامه فازدادت سوءًا على عكس ما توقع؛ فكل ليلة وبمجرد أن بدأ في قراءة القرآن والصلاة ومع تلاوته للأذكار وقراءة آيات التحصين قبل النوم، يجد نفسه مختَرَقًا أيضًا: فتارة يحلم بأنه في متاهة كبيرة والجميع يجري وهو معهم حتى يصل إلى حائط مسدود، ثم ينظر خلفه فيجد قطًّا أسودَ ضخمًا. من منظره ينشقّ قلب سعفان، ثم يقفز عليه ليعضه في يده، ويشعر بقط آخر يفعل ذلك! ولكن في وسط جسده، فيقوم وهو يتألم بشدة ممسكًا معدته، وبعد أن تهدأ يشعر بألم آخر في ذراعه: فينظر لها ويصعق برؤية آثار أسنان القطَ على يديه، يصرخ وهو يضع الوسادة كعادة كل يوم على فمه والدموع قاربت أن تجف من عينيه من كثرة هطولها يوميًا.

وتارة أخرى يحلم بأنه في منزله ووالدته بالداخل وهي تقول له: أمنية مش هترجع يا سعفان، يسمع ذلك وهو يرى كلبًا أسودَ يلهث أمامه ويحاول الدخول إلى المنزل، يجلب عصا ويحاول أن يضربه، لكن الكلب لا يتأثّر، ومع محاولاته تلك يظل يسمع والدته وهي تردد: أمنية مش هترجع يا سعفان، ثم يُجْمِع قواه ويضرب الكلب بقوة؛ ليزيحه خارج المنزل ويُغلق الباب، وعندها يسمع جملة: أمنية رجعِت يا ابني، ليستيقظ وهو مذعور من المشهد وفَرِح لما انتهى عليه.

يتخلّل الأحلام السيئة بعض الرؤى المبشّرة كما في ليلة ختمته للقرآن للمرة الثانية. يذهب للفراش بعد أن يصلي الفجر فيحلم بأنه هو ووالدته يجلسان في منزل غريب. ينزل عليهم من الأعلى مصابيح عظيمة، ويُمسك كلٌ منهما قرآنًا يقرآن فيه. ثم تُكتب أمام سعفان سورة القدر بأحرف من ذهب. ويستيقظ بعدها في الحال وعلى لسانه يتردد: لَيلَة القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شَهْر.

تستمر معاناة سعفان وتصارع الأصوات داخله بين القلب المؤمن.. العقل المشتّت.. النفس الملحدة وقوّته التي تخور. وخلال تلك المدة يلحظ كل مَن في البيت ما يحدث مع سعفان. وتأتي له والدته حتى تطمئنَ عليه كل يوم وهو منغلق داخل غرفته. وهو يطمئِنُها بأنه بخير. وها هي تدخل عليه مجددًا وقد ضاقت نفسها كثيرًا.

- سعفان يا ابني انتَ كويس؟

- أيوَه يا ماما، قولتلِك كتير إنه مفيش حاجة، وممكن بس تسيبيني دلوقتي.

يقول سعفان ذلك وهو يشعر بتثاقل قلبه عليه، كأن الأصوات تريد أن تخرج مجددًا. لكنه يفاجأ ولأول مرة برد فعل يصعقه.

تقول الأم وقد بدأ صوتها يرقّ ونبراته تضعف:

- يا ابني عايزَه أعرف مالك، انت بتضيع مني وبقيت مش عارفة أساعدك ازّاي، انت متخيل إن فيه أُمّ ممكن تستحمل تشوف ابنها كده؟

وهنا تجهش الأم بالبكاء بعد أن قاوَمَت لوقت كبير. يرى سعفان هذا المشهد وقلبه يعتصر، والدته تتألم بسببه. تذرفُ الدموع من أجله وهو لا يستطيع حتى أن يخفّف عنها؛ فحالته يُرثَى لها. ليتصنع ابتسامة مزيفة قائلًا:

- أنا فعلًا كويس، هيَ ظروف بس وهتعدي، وخلاص أنا عشان تتأكدي إني بخير مطلَع أتعشَّى معاكم، تمام كده؟

تمسح الأم دموعها قائلة:

- أخيرًا، خلاص هروح أحضّر العَشَا وناكل سوَا تاني زي زمان.

تخرج الأم من الغرفة تاركة سعفان الذي ينهض ويذهب لإغلاق الباب، ثم يحكم قبضته ويصوبها نحو الجدار مرارًا وتكرارًا حتى تتجمع قطرات من الدماء على يديه، ويتساقط على الأرض سائل عينيه وهو يحدث نفسه قائلًا:

- هل وصلتَ لذلك الحد يا سعفان؟ هل صرتَ مصدر حزنٍ للجميع ولا تستطيع أن تقاوم؟ ما أعجب هذه الدنيا! عرَفَتني أمنية وهي في غرفة مظلمة يبكي عليها الجميع، خرجَت منها وتركتني أنا في نفس الغرفة تبكي عليّ أمي!

بعد هذه الحادثة يقرر سعفان أنه يجب عليه إيجاد عمل، حتى وإن كان لا يستطيع، لكن بعد ما حدث لا ينبغي له أن يُطيل البقاء في البيت، وبينما هو غارق في تفكيره وماذا سيفعل يُصدِر هاتفه صوتًا ينمّ عن رسالة جاءته، يهرع إليه كعادته معتقدًا أنها أمنية؛ فيجدها رسالة عن فتح باب التقديم للعمل لشركة سياحية في القاهرة، يغضب ولكنه يتذكر أنه يريد أن يعمل حتى يبتعد عن البيت؛ لذا يقرّر أن يجرّب حظه في هذه الشركة.

يستيقظ سعفان باكرًا، يرتدي سترته القديمة ولا يبالي لذقنه الغزيرة وشعره الغير مرتّب؛ فلأول مرة ومنذ شهور يخرج سعفان إلى العالم الخارجي خارج محيط غرفته، وقد تغيّر تمامًا صار لا يهمه شيء، بارد الطباع، لا يتحدث كثيرًا ويريد الموت بأي طريقة، يتوجه إلى عنوان الشركة في أحد المباني الراقية بالزمالك، وهناك يرى العديد من

الشباب الذي يبدو عليهم أنهم استعدّوا جيدًا للمقابلة، وذلك يظهر من مظهرهم. أما هو فلا يصدق أحد أنه قادم بالفعل ليقدّم على وظيفة في هذه الشركة التي يبدو أنها لمستثمرين أقوياء. لكنه لا يهتم بكل هذا. يجلس في ثقة ناظرًا للأسفل يحاول تحجيم الأصوات بداخله، وسط كل من يوجد بالشركة يلحَظُ وجود شابٍ آخر يجلس بعيدًا عنه، وجهه يبدو عليه اليأس ويثبّت نظره نحو الأرض أيضًا. للحظة ما شعر سعفان بأن هذا الشاب يمرّ بظروف تشبهه، أو ربما أقل منه قليلًا.

يأتي الدور على سعفان للدخول. يتقدّم بخطى ثابتة نحو الغرفة التي سيُجْرِي داخلها المقابلة، وبعد أن يدخل يجد سيدة جميلة تجلس وأمامها منضدة باهظة الثمن. يجلس في الجهة المقابلة منها وهي تُقلّب في بعض الأوراق التي أمامها، ثم تبدأ في الحوار معه قائلة:

- عرّف نفسك يا سعفان وقولّي انت ليه عايز تشتغل هنا؟

في صوت مبهم يقول:

- اسمي سعفان، 26 سنة، ما اشتغلتِش قبل كده في أي مكان، وجاي هنا عشان شوفت الإعلان بتاع الشركة وأنا في حاجة للشغل.

تندهش السيدة من الحديث الذي تسمعه، ومن البرود الذي فيه هذا الشاب؛ فترد قائلة:

- وانتَ شايف إن دي أسباب كافية تخليني أقبَلك هنا؟

- لا.

تقول وقد تم استفزازها تمامًا:

- تعرف أي لغات؟ ألماني.. فرنساوي، أو إنجلش حتى؟

- لا.

- طيب تعرف تشتغل على الوورد والإكسيل؟

- لا.

تُمسك السيدة كوبًا من الماء وتشربه بسرعة؛ فقد شعرَت بالاختناق، ثم تقول في غضب:

- هو حضرتك عارف انتَ جاي ليه هنا أصلًا؟! ده أغرب انترفيو مرّيت بيه، عامةً رقم تليفون حضرتك عندنا وهنبقَى نتصل بيك.

يشعر سعفان بمحاولة الأصوات مرة أخرى في الظهور؛ فيضع يديه على أذنيه لإخمادها، ثم ينظر للسيدة ووجهه ما زال جامدًا لا يوجد عليه أي تعبير، ينهض ويتحرك ناحية الباب كأنه زومبي، والسيدة تنظر له وقد انتابها الخوف من ذلك الشخص غريب الأطوار.

يذهب سعفان للمنزل وهو يعلم أنه لن يُقبَل في أي وظيفة على تلك الحال، لكن ما باليد حيلة، يحارب شيئًا لا يعلمه حتى الآن! وبمجرد أن يصل يبعث برسالة إلى أمنية يخبرها بما حدث معه على ذلك الموقع وهو يتهكّم على نفسه بأنه لن ينفع في أي شيء، ثم يجلس على الفراش وهو يبتسم محدثًا نفسه:

- يا للعجب! أقوم كل يوم بمراسلتي لها وأنا أعلم أنها لن ترى ما أرسله! وأجلس في غرفتي وحيدًا، ومرة واحدة أتخلص من تفاهتي تمامًا وخوفي من كل شيء وأصبح كالكهل الذي يعيش للموت. ما أجمل حياتك يا سعفان! فما يحدث داخل هذه الغرفة يختلف تمامًا عن البشر الذين بالخارج، الجميع يذهب، يتقاتل من أجل المال والسلطة، ويعمل وهو لا يدري أن هنالك خطرًا في هذه الدنيا أهم من كل ذلك، وأعداء لا نستطيع مواجهتهم! حتى ومع صلاتي والقرآن لا أستطيع أن أحمي نفسي منهم.

يدخل في هيستيريا من الضحك إلى أن ينام، والدموع تتجدد في التكون على عينيه.

يستيقظ فزعًا على صوت رسالة أخرى يأتي من هاتفه وقد تصبّب وجهه عرقًا جراء ذلك الحلم المزعج، لكنه لا يُلقِي للأمر بالًا؛ فالموت الآن صار كل ما يتمنّى، يُمسك هاتفه على أمل أن تكون أمنية، ولكنه يصدم برؤية رسالة تخبره بأنه تم قبوله للعمل في الشركة السياحية وأن عليه البدء من الغد، لا يصدق ما يرى، محدثًا نفسه قائلًا:

- هل أسعد حقًا بذلك؟! لكن ما هي السعادة في هذه الدنيا؟! لا تفرح كثيرًا يا سعفان؛ فلا تعتقد بأن هذا العمل مساعدة من الله لك؛ فهو ليس موجودًا... الله موجود يا سعفان لا تسمع له، ثق به واجعل اليقين يحركك.. لا يوجد إله هذه مزحة، الكون لا يحكمه أحد، وحالك الآن خير دليل؛ فكيف يوجد وأنت تقرأ القرآن وتصلي كما أمر ولم يتغير شيء، بل على العكس؛ تزداد أحلامك ظلمة وتقترب أمنية من الزواج.

هنا يخفق قلب سعفان وتسيطر عليه فكرة الإلحاد؛ فحاله يسوء مع القرآن، والتوبة لم تأتِ بشيء، لكنه يعود إلى رشده صارخًا:

- يكفـــــي.

صباح يوم جديد يستيقظ فيه الشاب الغير متزن، يرتدي ملابسه ثم يخرج من غرفته، ليجد والدته تبتسم له لا تصدق بأن ابنها ذاهب للعمل في شركة كبيرة.

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير يا ابني، يا رب تكون نمت كويس، وكنت عايزَه أبخَّرَك قبل ماتروح شغلك يا حبيبي.

بصوت جاد يقول سعفان:

- عايز أقولّك حاجة بعيد عن الكلام ده، من غير ماتتخضّي بس أنا فيّا حاجة غلط، ممكن أكون مسحور، معرفش بس كل ده حصل من ساعة ما ارتبَطْت بأمنية اللي حكِيتِّلِك عنها زمان. مش عايز منك أي حاجة غير إنك تدعيلي بس، وماتتصرَّفِيش أيّ تصرف.

لحظات من الصمت والأم تنظر لابنها غير مصدقة لما تسمع، لدرجة أنها فقدت النطق، وقبل أن تتحدث يقاطعها سعفان قائلًا:

- يلّا همشي أنا دلوقتي عشان اتأخّرت عن الشغل، وادعيلي عشان أنا محتاج دعواتك جدًا.

لينطلق سعفان تاركًا والدته التي ما زالت في حالة جمود لا تصدّق بأن ابنها الوحيد قد تعرض لتلك الأمور، وقد قررت التصرف بأية وسيلة من أجل مساعدته.

يصل سعفان للشركة، يجد عددًا من الموظفين هناك يعملون بجد؛ فعلى رغم حداثتها إلا أن العمل بها بدأ بسرعة غير مسبقة، وبعد التحدّث مع المدير يذهب للجلوس على مكتبه ومعه أحد الموظفين الكبار لإيضاح له طبيعة عمله هنا، لكن وقبل أن يبدأ يُفاجَأ برؤية الشاب الذي جذب انتباهه بالأمس أثناء التقديم للعمل يجلس بجانبه على مكتب آخر، ويبدو أنه تم قبوله في العمل أيضًا، ثم يتعلم الاثنان سويًا ما عليهما من واجبات وما لهما من حقوق.

في القصر يجلس كلٌّ من مسعد.. رنا، والرجل الضخم من أجل النقاش حول بعض الأمور.

- أنا مش مصدّقة إن خطتك نجحِت إنك تجيب سعفان بسهولة يشتغل في الشركة.

تقول ذلك رنا والحماسة تملأها.

- ساعدتني الظروف؛ فهذا الفتى يبدو أنه يمرّ هذه الأيام بكرب شديد، لكني لم أستطع اختراق عقله ومعرفة ما يحدث به، وهذا يثير غضبي.

- تفتكر سعفان ممكن يكون الشخص القديم؟

يقول مسعد بصوت صارم:

- بحسب ما قال لي سليمان النجار، وبالتأكد من قوته، فنعم.. الحقيقة هيَ أن سعفان هو قُصيّ.

حالة من الصمت تصيب رنا غير مصدّقة ما تسمع، ثم تقول بعد محاولة لاستجماع قواها:

- بس لو كده يبقى احنا في مشكلة كبيرة.

- يجب أن أجبره على العمل معي، وبعد ذلك سأجعله يتذكّر كونه ليس من هذا الزمن ومقدار قوته الهائلة، فحتى أنا لا أعلم بعدُ كيف تحوّل لهذا الشكل وتلك الطباع؟

- وشايف امتى الوقت المناسب عشان تعرِض عليه الشغل الحقيقي بتاعنا؟

- مر شهر وهو يعمل في شركة السياحة، أظن أنه اقترب موعد إخباري له بذلك؛ فالمقابر تتوالَى في الظهور، وأريد أن أصل إلى الصندوق قبل أن يستعيد ذاكرته، بجانب أن هنالك مقابر خطرة لا أستطيع إرسالك هناك بمفردك.

- تمام، صحيح سؤال محيّرني.. ليه قبِلت عُمَر الشاب المحبط ده اللي شغال مع سعفان وهو غير كفؤ برضُه؟ يعنى حتى سعفان نفسه مستحيل نقبلُه لولا الغرض اللي عايزينه منه، أما عمر ليه؟

يرد مسعد مبتسمًا:

- ألم تلحظِي أن هذا الفتى الآخر مر بأمور غير دنياوية؟ انظري جيدًا إلى ملامح وجهه، فمنذ أن رأيته مع المتقدمين أثار فضولي، لذا وعلى الفور قُمتُ باختراق عقله، وعلمت ما مر به من القرين المصاحب له، قصته بالفعل حزينة وحب آخر يسقط، بجانب أنّكِ لم يشد انتباهك تكوّن صداقة قوية بينه وبين سعفان، حتى صارا يسيران سويًا كل يوم يتحدثان؛ لذا قررتُ أن أستخدم عمر أيضًا في عمل المقابر؛ فشخص مثله لن يخاف بعد ما مر به.

- دايمًا ليك رؤية محدش بيفهمها غيرك يا مسعد، طيب وليه خلّيت المدير يؤمرهم إنهم مايتكلّموش غير لغة عربية فصحى بس ويلغوا العامية حتى في كلامهم مع بعض؟

- حتى يصبحوا مثلي! يتحدثون بها طيلة الوقت، وليس مثلك عند فقط تعاملك مع الجان، عندما يفعلون ذلك لن يجدوا صعوبة في التعامل مع الجان أو التحدث إليهم، وأنا ليس أمامي وقت كبير، كما أن الجان الذين يراقبونهم لن يفهموا حديثهم إلا إذا كان بالفصحى.

تنهض رنا من على مقعدها قائلة:

- طيب والصحفي اللي اتجنّن ده ومحبوس في الأوضة جوّا هتعمل معاه إيه؟

- ليس من شأنِك، اذهبي أنتِ الآن لمتابعة أعمال الشركة وأنا سأتولى أمره قريبًا جدًا.

تذهب رنا، ثم يشير مسعد للرجل الضخم بحمل الصحفي والذهاب به للمصحة النفسية التي يوجد بها أمجد مشدّدًا عليه أن يمر من الباب الخلفي للقصر حتى لا يراه.

يذهب الرجل الضخم للغرفة الموجودة في الطابق الأرضي؛ حيث يتواجد مسعود بعدما تم نقله إليها. يدخلها فيجده جالسًا على الفراش وهو يهرتل ببضع كلمات غريبة، ثم يقفز ويجري في أنحاء الغرفة. يحاول أن يمسكه، ولكن مع خفة حركة مسعود يهرب منه، ويزداد غضب الرجل الذي فقد عقله من كثرة هروب مسعود منه، وفي النهاية يحكم قبضته عليه، ثم يحمله متجهًا به إلى خارج القصر، ولكنه ومع ما حدث داخل الغرفة ينسَى ما أمره به مسعد بوجوب خروجه من الباب الخلفي، ويتجه به ناحية الساحة، وهنا ولأول مرة يلتقِي مسعود الذي جُنّ تمامًا ومسعد الرئيس الجالس على الأريكة، يذعُر مسعد لرؤية عينَي مسعود وهو يحدق بهما تجاهه؛ ليقف وهو يصيح في الرجل الضخم قائلًا:

- ألم أقل لكَ أن تذهب من الباب الخلفي؟ يا أحمق، لقد حكمتَ على هذا الرجل بالموت، اذهب به إلى المَشفَى كما قلت لك.

يرتبك الرجل الضخم من الخطأ الذي قام به، ثم يتوجه به كما أمره الرئيس إلى المشفى ليودِعَه في المصحة النفسية.

يصل مسعود للمشفى، وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة ودفع المبلغ المطلوب يجلس في إحدى الغرف لتتم متابعته نفسيًا وجسديًا، ولكن في نفس الوقت يأتي أحد أقرباء رجل الأعمال أمجد راضي لكي يقوم باستلامه بعدما تلقى مكالمة منه وهو يقول له بأنه صار أفضل ورجع عقله له أخيرًا، يمر مسعود الذاهب لإحدى الغرف بجانب أمجد الذي سيترك المشفى؛ لينظرا إلى بعضهما البعض وهما لا يعلمان أنهما جاءَا إلى هنا لنفس السبب ونفس الغرفة.

يهبط الليل، مسعود جالس في غرفته في سكون تام يحاول أن يتذكّر ماذا كان يعمل؟ أو من هو؟! وعقله لا ينسى وجه الرجل الذي

رآه في القصر، وأمجد يجلس مع أسرته الفرحِين بعودته وهو يحاول تذكّر ماذا حدث له؟ ومع من كان قبل الحادث؟

تأتي الساعة الواحدة صباحًا، وعندها يشعر أمجد بخلَلٍ ما في عقله، همس يحدثه ويُسيطر عليه؛ فينهض من فراشه دون أن تشعر به زوجته ليغسل وجهه، لكن قبل أن يقوم بذلك يزداد الاضطراب به ويسمع صوتَ صفيرٍ حاد داخل أذنيه، ثم يسقط على الأرض وهو ثابت لبضع ثوانٍ، يقف وبدلًا من أن يقوم بما كان ذاهب ليفعله يعود إلى غرفته يبحث عن ثيابه من أجل الخروج من البيت، تشعر الزوجة النائمة بحركته؛ فتقوم في فزع وهي تقول:

- أمجد، انتَ رايح فين متأخّر كده، هو حصل حاجة؟

يرد أمجد بصوت ثابت:

- لا يا حبيبتي، أنا بس افتكَرت مشوار مهم هخلَصُه وجاي على طول.

تقول الزوجة مندهشة:

- مشوار بالليل قوي كده؟ أمجد انت كويس؟

- آه ماتقلقيش. أنا بس هخلّص المشوار ده عشان حاجة مستعجلة وجاي، ماتقلقيش أنا سليم.

يُكمل أمجد ارتداء ملابسه سريعًا، ثم يخرج وزوجته قلقة، لكنها تُقنع نفسها بأن كل شيء على ما يرام.

يستقل سيارته متجهًا بها ناحية القصر الملعون، وقد توقّف عقله عن التفكير كأن شيئًا ما يحركه، في نفس الوقت خطوات منتظمة تتحرك بالقرب من المشفى التي يتواجد بها مسعود الصحفي الذي ما زال مستيقظًا وقد اقترب من تذكّر ماذا حدث له؟

يصل أمجد إلى القصر؛ فيفتح له الحارس الهزيل البوابة، ثم يتقدّم بسيارته حتى يصل إلى الداخل، يحاول أن يتراجع ولكن يشعر بأن عقله صار مسلوبًا منه ويُحرّك جسده من تلقاء نفسه، يجد الباب مفتوحًا، يتقدّم بخطى مهزوزة، ولا أحد بالجوار، حتى يصل إلى الدرج؛ فيتخذه إلى الطابق الثاني الذي كان يتواجد به منذ أسابيع، يتقدم نحو الغرفة 40 ويدخلها؛ ليجلس على الفراش دون أن يتحرك.

بجانب المشفى يمشي مسعد وقد أصدر أوامره لأحد التابعين له وينتظر التنفيذ، وعلى الجانب الآخر مسعود يجلس في غرفته المظلمة والجميع بجانبه في ثبات، يحاول أن يتذكّر ما حدث معه؛ فالأدوية التي قام بأخذها ساعدته على الرجوع ولو جزئيًّا لعقله مرة أخرى، ولكنه أثناء ذلك يسمع صوتًا غريبًا يهمس في أذنه، ينتفض وينهض سريعًا في محاولة لكَي يرى مصدر الصوت، لكنه لا يجد أحدًا، فقط المرضى الآخرين نائمون على فراشهم وسكون تام، يظنّ أن ذلك بسبب ما تناوله من عقاقير، ثم يعود لنومه مرة أخرى، لكنه بمجرد أن يضع رأسه على الوسادة حتى يزداد الصوت الذي يسمعه يهمس بداخل أذنيه، أصوات مخيفة تثقلُ الجسد وتُذهب الروح، يشعر الصحفي النشيط بأن جسده صار ثقيلًا جدًا عليه، وأنه لا يستطيع تحمّل مثل هذا الشعور، وبعد قليل من الوقت تخورُ قواه ويقرر أن ينتحر ليتخلص مما يسمعه، ظنًا منه أن بذلك سينتهي كل شيء، لكنه لا يجد أية وسيلة لفعل ذلك داخل الغرفة؛ حيث أنه ممنوع وجود أي أدوات حادة حرصًا على سلامة المرضى، الصوت يزداد وتبدأ أطرافه في التصلّب وينتفض جسده بشدة، ينهض بصعوبة وهو يرى ظلالًا في كل مكان، ثم يتجه سريعًا ناحية دورة المياه؛ حيث توجد تلك المرآة التي يقوم بكسرها وهو لا يعلم من أين أتت له القوة لفعل ذلك، يسمعُ التمريض صوتَ كسر زجاج أثناء هذا السكون؛ فيهرعون إلى الغرف، لكنهم لا يجدون أي حدث غريب، ينطلق أحدهم ناحية دورة المياه؛ فيفتح الباب ليرى دماء كثيرة على الأرض وشخصًا قابعًا بجانبها يضحك وهو يغرس الزجاج في رسغه، وقبل أن يصل إليه الممرض يفقد وعيه معلنًا بذلك مفارقته للحياة.

يذهب مسعد لأحد المناطق الهادئة من أجل الانفراد بنفسه قليلًا؛ فهو غاضب لاضطراره قتل ذلك الصحفي، لكنه رآه.. ومن يرى الرئيس وهو يعلم أنه مسعد يجب أن يموت، وفي أثناء تفكيره يسمع صوتًا خفيًا يقول له:

- لقد انتهى أمر أمجد، وانتهى قربانه يا رئيس، لم يتبقَ لنا سوى آخر خطوة.

***

مر شهر على تعيين سعفان في هذه الوظيفة وتلك الشركة، يتعامل خلالها مع الكثير من العملاء في الصباح، وكما نبَّه عليه المدير لا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى، ويعود ليلًا لغرفته وصلاة القيام وعالم الأحلام الذي لا ينتهي وقد قارَبَ على فقدان عقله، لكنه ودون أن يُدرك ذلك نشأت بينه وبين عمر الشاب الغامض الآخر صداقة قوية؛ فهما يشعران بأن حالهما سيء، ومشاركتهما في ذلك كانت الأساس لقيام صداقة مترابطة، يمشيان كل يوم بعد العمل ويتحدثان في أمور شتى، حتى جاء اليوم الذي أراد كلٌ منهما إخبار الآخر بقصته، ينتهي العمل ويمشيان سويًا كعادة كل يوم، ثم يسمع عمر قصة سعفان وهو لا يصدق قائلًا:

- وأنا الذي كنت أعتقد أن الروتين في هذه الدنيا مزعج، يبدو يا صديقي أنه كنز لا نشعر به.

- نعم، الحياة قاسية، لكن قبل أن نُكمل أريدُ أن أسمع قصتك، ولماذا أنت بائس هكذا؟

ينظر عمر للأمام قائلًا في صوت مكتوم:

- حسنًا، ولكن في البداية هل تعلم لماذا يأمروننا بالتحدث هكذا؟ أشعر بأنني في مسلسل عربي قديم.

سعفان مبتسمًا:

- صدقًا لا أعلم. لكنها تظل وظيفة مريحَة ومرتب مجزي: لذا ليس عندي مانع. كما أنني يجب أن أبتعد عن البيت. وأنتَ صرتَ تعلم لماذا.

- نعم أعلم. سأقول لكَ إذًا لماذا أنا هكذا. وُلدتُ في الإسكندرية وكنت أعيش بها حتى وقتٍ قريب. كنتُ أعمل في إحدى المراكز الصحية مستقر في عملي، وحياتي تمشي بشكل طبيعي. حتى جاءت لنا في العمل فتاة جديدة. كانت جميلة بحق والجميع معجب بشكلها. لكني لم ألْقِ لها بالًا: لأني كنت خاطبًا في ذلك الوقت. ليس عن حب نعم لكنه ذلك الروتين، وأنا سعيد بذلك. خصوصًا أنني شخص عاطفي في الأصل وأخشى على نفسي مني! مرّت الأيام وكانت العلاقة بيني وبين خطيبتي تتوتّر في الوقت الذي لم أكن أتحدث فيه مع هذه الفتاة الجديدة. حتى جاء اليوم الذي قررتُ فيه أن أفسخ تلك الخطبة؛ فطباعها لا تُحتمل وضقت ذرعًا بها.

يقاطع سعفان حديث صديقه قائلًا:

- فهمت الآن. وتأثرتَ أنتَ بذلك وصرتَ يائسًا.

يبتسم عمر ويبدو على وجهه الألم:

- لا لا. هذا لا يُذكر إنما مقدمة لما حدث. وستضحكُ أنتَ عندما أخبركَ بأن علاقتي تطورَت مع فتاة العمل الجديدة تلك عندما أخبرتني بأنها حلمت بي.

ما أن يسمع سعفان تلك الجملة حتى يتذكّر أمنية ويشعر بأن قلبه سيتوقف. لكنه يظل منتبهًا لصديقه الذي يُكمل قائلًا:

- لكني وعلى عكسك لم أَحلُم بها. ثم بدأنا نتكلم كثيرًا. وبالمناسبة كان اسمها علياء. وقد تعلّقتُ بها جدًا. أحببتُها يا صديقي ولا أُنكر أحبّتني هي كذلك. كنت أذهب للعمل باكرًا من أجل أن نفطرَ سويًا.

ولا يمرّ أسبوع إلا وأنا أُحضر لها هدية. كنت أعيش أجمل لحظات حياتي مع الفتاة التي أحببتها بكامل مشاعري. ولحسن الحظ كنتُ قد قاربتُ على الانتهاء من تجهيز شقتي، وكانت تُلحّ عليّ أن أتقدم لخطبتها وقد فعلت، ذهبتُ مع أبي وأمي، وكانت الأمور تمشي بشكل جيد وأخبرتني أنها ستصلي استخارة. مر يومان، وهاتفني والدها ليخبرني بالجملة المشهورة: كل شيء قسمة ونصيب. أتذكر ذلك اليوم جيدًا، لا زال صوته يرن في مسمعي، حاولتُ معه ولكنه قال لي جملة ذبحتني فيما بعد، بأنه ليس عنده مانع إن وافقت بنته على الخطبة، ثم ذهبتُ إلى عملي بعدها لأراها، وعندما حدّثتُها قالت لي بأن والدها أخبرها بأن الحياة قاسية، وأننا سنعاني سويًا؛ لأنني لستُ غنيًا بالطبع، وهنالك شاب يعمل بالخارج يمتلك أموالًا طائلة يتقدّم لخطبتها، وشعرتُ بأنها مقتنعة بكلام والدها، ذُهِلتُ لسماعي هذا الحديث؛ فكيف لها أن تجعلني أتقدّم لها ونعيش كل ذلك معًا ثم تقول لي مثل هذا الكلام، مرت الأيام وكانت تبكي لي كل يوم للفراق، وفي نفس الوقت ترفض فكرة إلغاء خطبتها مع ذلك الثريّ، تجعل قلبكَ يذوب، وفي نفس الوقت تطعنك فيه، وقد كنت أحمقًا يا صديقي: أُصدّق أنها تحبني أكثر من المال، لكن شخصًا مثلها يجب أن يُحتقر، ثم أخبرتني أيضًا بأنها حلمَت بعد صلاة الاستخارة بأنها تغرق وأنا واقف على الشاطئ لا أساعدها، بل أشاهدها فقط رافضًا أن أمدّ لها يد المساعدة، ولأول مرة يا صديقي أبكي في حياتي، كانت أمامها بعد محاولات عديدة وعلمي بأنها لن ترجع، ثم علمتُ بعد ذلك بأن والدتها ذهبت بها إلى شيوخ الزار، وأنت تعلم ما معنى ذلك.

يسمع سعفان هذا الكلام وكأن صديقه الجديد يروي له قصة مصَغَّرَة من مأساته، (زار) يعني شيوخ كالسحرة، وبكاءه يذكره بدموعه التي تتساقط كل يوم على فتاة قاربت على الزواج.

يُكمل عمر قائلًا:

- صرتُ أحلم أحلامًا غريبة ومزعجة، وتغيّرت حياتي الطبيعية لمأساة بسبب فتاة أحبَّت المال وجعلته أولوية لها عن حبها لي، مثل أمنية التي جعلت الأمان فوق كل شيء حتى وإن كان على حساب قلبها ومن تحب، قصصنا يا صديقي متشابهة في النتائج باختلاف الأسباب، فكرتُ في الانتحار ولا أنكر ذلك، وما زال عندي أمل أن تفسَخَ خطبتها وترجع لي، كما أنني سأقول لك إن أحبَّتْكَ أمنية بصدق فسترجع لك يا سعفان لا تقلق، فمن يحبّ لا يقبل أن يُترَك، حتى وإن رجَع لرشده في آخر لحظة، أما إن كنت خيارًا ثانيًا لها فلن ترجع ولو فقدتَ حياتك.

لا يصدق الصديقان أن القدر جمعهما سويًا من شتى الأماكن وهما يتشابهان كثيرًا في القصص التي مستحيل أن يصدّقها عقل؛ لذلك تشتد الرابطة بينهما مع الأيام، وبعد مصارحة بعضهما البعض بذلك السر الذي يخفيانه عن الجميع، كانا يخففان الصعاب التي يتعرّضَان لها؛ فتارة يكون الثقل شديد على سعفان؛ فيطيّب خاطرَه عمر، والعكس يفعل ذلك سعفان عندما يجد صديقه في كرب وهو لا يعي ما هذه الأقدار؟ وهل الروحانيات بالفعل موجودة؟! لكنه يُخفي عن صديقه سر الأصوات التي يسمعها والإلحاد الذي هو قريب منه.

يوم جديد يسير فيه الصديقان سويًا بعد العمل، ثم يجد سعفان صديقه فرحًا ووجهه متغيّرًا، فيسأله سريعًا:

- ماذا حدث؟ منذ مدة لم أرَك بهذا الإشراق، هل رجعَت حبيبتك لك؟

- لن تصدق ما حدث يا سعفان، قمتُ بصلاة الاستخارة منذ يومين عندما ضاقَت نفسي كثيرًا، ثم حلمتُ بأنني أتزوج فتاة أخرى أعرفها من نفس المنطقة التي أعيش بها، استيقظتُ وأنا لا أبالي لذلك الحلم؛ فأنا ما زلت متأثّرًا بعلياء، لكن بالأمس حلمتُ به مرة أخرى، ثم

صحوتُ على صوت هاتفي يرن، وعندما رددتُ عليه وجدته صوتًا نسائيًا تخبرني بأنها قريبة هذه الفتاة وأنها تحبني كثيرًا، وقد ذهبَت للمشفى مرتين بسببي من كثرة ما دعَت بي ولا أشعر بها. وأنا كل هذا أعيش في عالم آخر. بالطبع كانت إشارات الله واضحة أمامي، علياء شر يجب أن أتخلص منه ووباء يقضي بدموعه المزيفة على قلوب الجميع، وأنه يجب أن أتبع رؤياي وأتخذ طريق الله. أعرف أن ما أقوله غريب، لكن أقسم لك أن ذلك ما حدث؛ لذا في الغد سوف أتقدم لخطبتها يا سعفان؛ فالله قد اختار طريقي لي، ويبدو أن هنالك نورًا آخر ظلمة النفق.

لا يصدق سعفان ما يسمعه. هل بالفعل ممكن أن يحدث ذلك؟ الله يسمعنا بحق وموجود بجانبنا لا يتركنا لمثل هذه الفتن! وعلى الفور يسأل سعفان صديقه:

- أخبرني كيف أصلي صلاة الاستخارة يا عمر؛ فيبدو أن تأثيرها عظيم، ويعلم الله أنني فَرِحٌ لك وأريد أن أرى فتاة أخرى تخلصني مما أعاني منه.

يعود سعفان للمنزل وهو متحمس جدًا لتأدية صلاة الاستخارة؛ فهو لم يعتَد أن يفعل ذلك والآن سيستخير الله في أمره، ينتظر لمنتصف الليل، وبعد أداء فرائضه يقوم ليصلي ركعتَي الاستخارة ويقول دعاءها في السجود بقلب صادق. يترك فيه الأمر على الله ولا يدعو برجوع أمنية هذه المرة؛ فدعاء الاستخارة يقضي بأنه إن كان هذا الأمر خير للدين والمعاش وعاقبة الأمر فليتمَه الله. وإن كان شرًا فليبعده الله عنه ويبدلَه خيرًا منه. لكنه يضيف جملة أخرى قائلًا:

- يا رب لا تجعلني أحلم إنما اجعل حكمك في الواقع؛ فقد تعبت من الأحلام ولا أقوى على المزيد!

يذهب سعفان لفراشه، يقرأ القرآن للفجر ثم يصلي الفرض وينام، وقد بعثَ لأمنية برسالة أخرى يخبرها بما يفعل، حتى وإن كانت لن تراها، لكنه يريد أن يوثّق كل حدث يقوم به.

يستيقظ في الصباح وهو في خير حال قائلًا:

- الحمد لله لم أحلم، إذًا سأنتظر أمر الله في الواق..

وقبل أن يُكمل جملته إذ به يتذكّر أنه حلم وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء له في الحلم، يرتبك سعفان وهو يغمض عينيه يتذكر كل ما رآه، يتذكر أنه كان في أتوبيس كأنه ذاهب لرحلة مع مجموعة من الناس، ينزل منه ويجلس على قهوة، ثم تأتي له فتاة تقول له:

- انتَ مش جاي معانا؟

فيخبرها بأنه قام بقطع وعدٍ لشخص وسينتظر هنا، وهو يقول لها حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي ينص على:

"آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمِنَ خان".

تسمع الفتاة الحديث ثم تذهب مبتعدة، ثم يطلب سعفان كوبًا من الشاي وشيشة، وأثناء ذلك يقلب في التليفزيون حتى يصل إلى قناة معينة، وهو يشرب الشيشة، لحظات ويمر عليه صبي القهوة مرة أخرى؛ ليخبره سعفان بأنه يريد كوبًا من الشاي، فينظر الصبي أسفله، ويتبعه سعفان ليجد الكوب الذي طلبه ما زال كما هو ومليء بالشاي؛ فيتأسف ويشربه كاملًا ليستيقظ من ذلك الحلم العجيب، يتعرّق وهو يتذكر تفاصيل هذا الحلم، ثم يقول:

- إذا وعد أخلف، ما معنى هذا؟!

فيُصدَم وهو يتذكر أنه أقسم لأمنية كل يوم أنني لن أتزوج غيرك، هل هذا يعني بأن استخارتي لله تخبرني بأني لن أتزوّج إلا هي؟ كما أنني لم أشرب إلا كوب الشاي السابق ولم أغيّره، يتحمس سعفان ويقفز من فراشه فرحًا وهو يردد:

- أمنية سترجع.. أمنية سترجع.

تستمر الأحلام الغريبة في مطاردة سعفان بعد صلاته للاستخارة: فتارة يحلم بأنه يلبس شرابًا ممزقًا ثم يأتي له شراب جديد. لكنه يأبى ويستمر بنفس الشراب الممزق، وذلك مثل كوب الشاي الذي لم يبدّله. وبعد أن استشار أحد الشيوخ علم أن الشراب الممزق يعني نصيبُكَ مليء بالعقبات لكنك لن تأخذ غيره، وتارة أخرى يحلم بالقطار وبرجوعه من درجة عالية لأخرى منخفضة، ورجل غريب يخبره بوجوب انتظارك لتلك الدرجة: فهي نصيبك، روحانيات تعصف بسعفان الذي أخبر صديقه عمر بكل ذلك، والآخر أخبره بدوره بأن أمنية أيضًا سترجع، وأنه يجب أن يثق بما يراه مستشهدًا بحاله، وأنه الآن قام بخطبة الفتاة التي جعله الله يحلم بها، وإنه إن لم يتبع رؤياه لكان مدمَّرًا الآن.

تخمد أصوات الإلحاد داخل سعفان، ويعلو مكانها صوت الروحانيات والإيمان، شكر الله في كل صلاة وانتظار عودة حبيبته، وأنه سيحافظ على قَسَمِه حتى لا يكون كمن قال فيهم الرسول (ص) إذا عاهد أخلف.

يوم آخر من العمل ينتهي، ثم يعود لبيته متفائلًا ينتظر تحدُّث أمنية له، ومستعدًا لصلاة قيام أخرى يغسل فيها روحه. يُمسك هاتفه: فيجد رسالة من سلمى صديقة أمنية، يدق قلبه كثيرًا محدثًا لنفسه قائلًا:

- هل ستخبرني بأن أمنية فسخَت خطبتها وتريد أن تحدثني؟ هل تحقّقَت الصلاة بهذه السرعة؟

يفتح الرسالة سعيدًا متحمسًا ثم يقرأها.

سلمى: سعفان عايزَه أبلّغَك إنّ فرح أمنية اتحدّد كمان أسبوع. أنا آسفة كان نِفْسِي أساعدك، بس هي صدّت كل محاولاتي، أتمنّالَك يسر الحال وكل شيء قسمة ونصيب، وانت عارف كده ولازم تنساها بقى.

يقرأ سعفان الرسالة فيسقط الهاتف من يده. يتحول وجهه المشرق المتفائل لظلمة، تتجمّع الدموع بسرعة لا مثيل لها في عينيه، يسقط على الأرض والأصوات تنال منه من الداخل قائلة: هههههه ألم نخبرك يا أحمق أنه ليس هنالك وجود لإله؛ فأين رؤياك تلك؟ لقد عصف بك الجان وقرأت القرآن فلم تتحسن، بل ازدادوا سوءًا، ثم استخَرْتَ الله الذي تزعم وجوده، وها هو ما يحدث، أمنية ستتزوج: فأين رجوعها الزائف... سعفان لا تسمعه، أنا لا أعلم ما الحكمة لكن لا تنجرف وراء هذا الصوت، هذه الدنيا لم تُخْلَق عبثًا، الله موجود ويراك ويعرف كل شيء، لكن هذا ابتلاء لا تجعل من نفسك ضحية له... ابتلاء! هذه الكلمة خدعة، هل ستصدق مجددًا بأن هنالك إله وتجري وراء السراب؟ هل سترضَى بأن تكون أحمقًا مرة أخرى؟ إما أن تنتحر أو تترك الصلاة وهذه الأمور؛ فلا جدوى منها، حتى حلمك الوحيد ودعوتُك ورؤياك حدَثَ العكس وذهَبَت فتاتُك للأبد؛ فماذا تريد أكثر من ذلك لتعلم أنك تناجي كل يوم ليلًا فراغًا. كم أرثي لحالك؛ فأنت تجعلني أسمع دعاءَك كرهًا ضاحكًا لما تعتقد أنه سيتحقق، وأنك صرتَ مقربًا من الله ويرسل روحانيات إليك، أمنية ستتزوج وأنت ما زلتَ متوهمًا.

يخبط سعفان رأسه على الأرض مرارًا وتكرارًا راجيًا أن تتوقف الأصوات التي بداخله، ثم يقول بصوت يذرف الدمع:

- يا رب لماذا؟ عرفتُ أمنية بشكل مقدّر وحلمتُ بها وحلمَت بي، وقلتُ تدبيرك ويسرك، ثم هجرَتْني، قلتُ سأتوب وستتوقف أحلام

الجان وأنه تدبيرك ويسرك، ثم زادَت الأحلام وصار تأثير الجان في الأحلام يظهر على جسدي في الواقع، بعد ذلك جمعتَني بعُمَر وتشابَهَت قصصُنا ولا أنكر أنه خفّفَ عني الكثير ولولاه لكنت تائهًا وقلتُ هذا تدبيرك ويسرك، ثم أخبرني بصلاة الاستخارة وجعلتَني أحلم بأحلام متعاقبة منحَتْني الأمل، وقلتُ استجبتَ لي، لكنك أردتَ تعليمي درسا قاسيًا أولًا وأن ذلك تدبيرك ويسرك، لكن فرحها بعد أسبوع، لماذا تعتقد فيّ كل هذه القوة؟ لماذا ترى أنني سأتحمّل كل ذلك العبء؟ فتاة أحببتها ضاعت، قلب لا أملكه وعقل يكاد يضيع، جانّ يحيطون بي وأحلام كل يوم لمدة تسعة شهور الآن، فمن هو الذي يقدر على تحمل كل ذلك؟! ثم هذا الابتلاء الجديد وهو أن تخبرني بما لم ولن يحدث ويكون الواقع مضاد لرؤياك لي، كأنه ينقصني ابتلاء أعظم مما أمرّ به، والآن تعتلي أصوات الإلحاد داخلي، أعرف أنك موجود وترى كل شيء، وأعرف أنني أذنبتُ كثيرًا في حياتي وأن هنالك ذنوب لا تُمحَى إلا بالابتلاء ولا يمحيها دعاء، لكن سعفان أينَ من كل هذا؟! تعتلي أصوات الإلحاد داخل نفسي وستقودني إلى الجحيم، فهل يرضيك هذا؟ لماذا لم تُبْتَلَ هي؟ لماذا وقع الاختيار عليّ أنا؟ ووالدتي وأختي الصغيرة اللتان بالخارج ما ذنبهما ليرَيا شبحًا يخافان منه بدلًا من أن يكون أمانًا لهما، هذا الابتلاء عظيم يا رب وأنا لا أقدر عليه! ينفطر قلبي لمعرفة أن الفتاة التي تملكتني ستتزوج غيري، ويغيب عقلي عن إدراك علمك وقوتك، وتُنهَك روحي التي عصف بها الجان يومًا بعد يوم، أرى في كل ليلة عشيرة مختلفة ووجوه تؤذي أمنية لإثبات أنني ضعيف، أريد أن تأخذ روحي! أرجوك يا الله خذها! أعرف أن الانتحار كبيرة من الكبائر، لكن على هذه الشاكلة سيجعلونني أُلحِد، وعندها سيقع عليّ حكم الكافر؛ فأنا ضعيف لا أستطيع منعهم.

أثناء جلوس سعفان على الأرض وحديثه هذا تدخل عليه والدته، تشغّل الأنوار لتفاجأ بابنها قابع بالأسفل، فتقول مسرعة:

- سعفان.. ابني، جرَالَك حاجة؟

دون أن يرد ينهض سعفان من على الأرض ويجلس على فراشه وهو يضع الغطاء على كامل جسده مخفيًا وجهه؛ حتى لا تراه أمه.

- أنا عرفِت انت بتمرّ بإيه. أنا روحت لشيخ معاه خدَمَة ويعرف ربنا.

هنا يكتم سعفان غيظه، ويظل ساكنًا يستمع لكلام والدته المفاجئ له.

- الشيخ قالّي ومن غير ما أقولّه حاجة غير اسمك بس، إن ابنِك كان بيحبّ واحدة ومعاها مشاكل، وكان بيدعِيلْها وبيقرأ عليهم قرآن، وإنه اتحرق منهم عدد كبير؛ عشان كده هما جايِّين ينتقموا منه وبعدها هيرجعوا للبنت دي تاني، وإنه هيحاول يساعدك، بس بيقول إن الشيخ المزعوم اللي قرأ عليها قوي جدًا، وإنه عادي يبيّن إنه بيقرأ قرآن وهو من جوّاه بيقرأ طلسم سحر، وإن من قوّته مش عارف يشوفه حتى، فهو هيحاول يساعدك يا ابني.

تقول ذلك الأم وتذهب للخارج وهي تكره اليوم الذي تعرّضَ فيه ابنها لكل هذا.

يسمع سعفان الجالس تحت الغطاء هذا الكلام، ثم يضحك بشدة وهو لا يعلم لماذا، يظل على تلك الحال دقائق، يتقلّب يمينًا ويسارًا ويضرب بيديه في كل اتجاه وهو يقول:

- الانتقام مني! هذا رائع الجان يسعى ورائي الآن؛ لأني ساعدتُ فتاة لكَي تتزوج غيري!

يستمر في الضحك بصورة غير طبيعية، ليكمل قائلًا:

- ما أجمل هذه الحياة! جميعنا دوائر تتشابك في حياة بعضنا البعض، الحب والموت، الإيمان والإلحاد، الكره والنفوذ. كل شيء يؤدي للآخر، يبدو أن أيامي صارت معدودة؛ لذا سأنهيها الآن.

يزيح سعفان الغطاء عن جسده، وينهض من على فراشه قائلًا وهو ينظر للأعلى:

- هيّا، أنا أمامكم الآن، اقتلوني! نعم أنا من قمتُ بحرق بعضكم لأجل فتاة وسأعيدها إن عاد بي الزمن، هيا تخلصوا مني. أنا هنا وحيد وضعيف وما أسهلَ ذلك عليكم. ليدبّ أحدكم ظفره في قلبي. أو لا لا هذا موت سهل، ليقوم أحدكم بسلخي حيًا! ستستمتعون كثيرًا لفعلها، هيا اقتلوني.

يردد سعفان تلك العبارات وهو يمشي يمينًا ويسارًا ويضحك دون توقف كأنه رجل الجوكر، إلى أن يسقط على الأرض.

***

تصل وداد إلى مصر وتحديدًا القاهرة وقد أنهكها التعب بعد سفر طويل، كلها أمل في رجوع جودفري إليها، وأن يستطيع التخلص من ذلك الرجل المرعب، محاطة ببعض الخُدّام الذين لا يراهم الناس، وبعد وقت تستقر في بيت قد وصفه لها جودفري مسبقًا على الخريطة التي معها حيثما تفكر في خطوتها القادمة. وماذا ستفعل بالصندوق الذي معها.

تدخل البيت المهجور، ثم وعلى الفور تنام على الفراش وقد وضعَتْ بعض الحرس من الجان بالخارج خشية أن يأتي أحد من أتباع هذا الرجل.

يهبط الليل لتستيقظ وداد وبجانبها أدواتها، تنظر إليهم ثم تُخرج الصندوق وهي تقلبه، تحاول أن تجد وسيلة لفتحه ولكن دون جدوى، تيأس، ثم تتذكر كلمات الرجل الغريب لها عندما كاد أن يقتلها قائلًا:

- هل تعتقدِين أنكِ ستدخلين الجِنَان أم أنكِ ستشتعلِين في لهيب الجحيم؟

ما زالت هذه الكلمات تُلهِبُ قلبها الذي ينبض متسارعًا خشية من الله الذي تناسته تمامًا من أجل انتقامها وسلطة الجان التي أغرتها، تُخرج الخريطة التي أعطاها لها جودفري وهو يحدد فيها المقبرة التي اتّفقا على تنفيذ العمل بها.

تحدث وداد نفسها قائلة:

- يبدو أن حياتي ستأخذ منحنى آخر من الآن، سأعيش لأعلّمَ أهل هذه البلاد خطورة السحر والجان وكيفية التعامل معهم، سأحفظ سر هذا الصندوق وأُكمِلُ أمانة حبيبي جودفري ولن أخيّب ظنه، أعتقد أنه يتعيّن عليّ الذهاب إلى مدينة الأقصر للبحث عن تلك المقبرة، ولكن لن أكتفي بذلك، بل سأقِيمُ هناك بالنقود الكثيرة التي جمعتها في السابق بسبب ما لديّ من خدَمة صرحًا ضخمًا لتعليم الأطفال كل شيء، لن أجعلهم يمرّون بكل ما رأيناه نحن، ولكن قبل ذلك يجب أن أزور مكانًا واحدًا قبل الذهاب للأقصر.

تضع وداد متاعها على كتفها، وتنطلق من ذلك البيت ناحية عنوان آخر وصفه لها جودفري أيضًا، تمشي تحت شعاع القمر الخافت وظلمات الليل الساكنة طويلًا مارة بأزقة عديدة وطرقات وعرة، حتى تصل للصحراء التي يبدو أنها تغيّرَت معالمها عن ما وصفه لها حبيبها، تخطو بحذر فوق الحصَى، ثم وفي نقطة معينة تقوم برسم دائرة بعصا صغيرة، ثم تُكمل داخلها وتُقسّمها إلى ثلاثة أقسام: في القسم الأول

منها عقرب دون ذيل، ثم على القسم الثاني ترسم وجهًا له قرنان، وأخيرًا على القسم الثالث تكتب بالعصا سبعة حروف غريبة كما فعل الشيخ حسن وعلّمَ تلاميذه من قبل، تنتظر فترة من الوقت، ثم تسمع أصواتًا غريبة وترى درجًا يظهر تحت الرمال، لا تصدق بأن ما أخبرها به جودفري حقيقي بالفعل، وأن جان الصحراء يخبؤون ذلك المكان في انتظار من يعطيهم طلسم البدء فيه، تأمرُ الجان الذين معها بالجلوس هنا؛ فعلى حسب ما علمَت أن الجان لن يستطيع النزول لأسفل وسيُحرق إن حدث هذا، تتخِذُ الدرجات القريبة من بعضها البعض طريقًا لها للوصول إلى الساحة الأولى وهي تُمسك في يدها عودًا من اللهب، ثم ترى الممر الضيق كما ذُكِرَ لها، تتفحّص أولًا الساحة في حذر، ثم تذهب ناحية الممر فتجد الرسومات والكتابات الغريبة على جدرانه، يقشعر بدنها لما تشاهد؛ فهي وعلى رغم كل ما مرت به إلّا أن لهذا المكان رهبة لم تشعر بها من قبل، ينتهي الممرّ ويُكشف أمامها الساحة الشاسعة والأخيرة، التي طالما قضى جودفري وقته فيها يتعلّم ويتحدث مع أصدقائه ومعلميه، تدمع عيناها وهي تمشي ناحيتها، لكنها تشمّ رائحة غريبة تأتي منها، توجّه لهيب النيران ناحية أحد الجدران فلا ترى غير النقوش، ثم تحوله تجاه الأرض فيسقط العود منها في الحال وهي تصرخ غير مصدقة ما ترى قائلة:

- يا إلهي! ماذا حدث هنا؟! هل ذلك يُعقل؟!

تمسك عود اللهب مجددًا وتسير ببطء وبحذر وهي ترى عشرات، لا بل مئات الهياكل العظمية ساقطة على الأرض؛ بعضها مهمشة جمجمته، والآخر دون قدم أو ذراع، تتخيّل فقط ما مرّ به هؤلاء؛ فيدب في قلبها الرعب، ثم تتجه لوسط الساحة لترى الدائرة التي أخبرها جودفري عنها؛ فتجدها كما هي لم تتغيّر، تتبعها لتصعق برؤية شيء آخر غير متوقع، تجد عظامًا بجانب الدائرة، وعلى الأغلب تعود

لجسد سليم صديق جودفري، لكن عندما تنظر للأمام بعده ترى جسدَ رجل عجوز ما زال كما هو لم يتحول إلى عظام ينظر لها؛ فتصرخ من شدة الخوف، لحظات مريرة تمرّ بها، ثم تقترب منه لترى من خلال وصف جودفري أنه بالتأكيد الشيخ حسن، وبجانبه عظام تعود للمعلم داوود، تحدث نفسها قائلة:

- لكن كيف؟! بعد كل هذه السنين جثته ما زالت سليمة، هل يعقل أن....

تنظر وداد حولها وهي توجه اللهب في كل مكان وقلبها يدق متسارعًا، ثم تشعر بيد تُمسك قدمها من الأسفل، تفزع وتنظر للشيخ حسن؛ فتجده ما زال ينظر لها بأعين حادة، ويهيّأ لها بأنه يحرّك يديه، لكنها تُدرك بعد ذلك ماذا يحدث هنا وهي تقول:

- محاااااال.

تجري بسرعة ناحية الممر، والأصوات تشتد قوة في أذنها، وأثناء ذلك يسقط عود اللهب من يدها، ومع قرب الأصوات وبشدة منها تصل إلى الممر لترمي نفسها بداخله، وعلى الفور تختفي الأصوات تمامًا، أنفاس متسارعة وقلبها يكاد يخرج من مكانه وهي الآن في ظلام موحش داخل ممر ضيق لا تدري ماذا تفعل، ولا تقوى على النهوض، تستجمع قواها وتسير كالأطفال على الأرض قائلة:

- يا رب، يا رب،

دقائق حتى تصل للساحة الأولى وهي لا ترى شيئًا، تتخبّط في الجدران إلى أن تصطدم بالدرج، تتخذه مسرعة إلى الأعلى غير مصدقة أنها قد نجَت من موت محقَّقٍ بالأسفل.

تصعد وداد إلى السطح تُحدث نفسها قائلة:

- من هذا الفتى الذي يستطيع فعل كل هذا؟! كيف استطاع إدخال الجان إلى مقبرة محظورة كتلك؟ ولماذا جعل منهم من يقوم بحفظ جثة الشيخ؟! هل ينوِي فعل شيء ما بها عن قريب؟ لغز محيّر ينم عن قوة لا قِبلَ لأحد بها، لقد كدتُ أن أموت بالأسفل، لكن بعد ما رأيت تيقّنتُ بأني يجب أن أحمي هذا الصندوق كما فعل جودفري، وسأقوم بتأسيس الصرح الذي تعاهدتُ معه عليه.

تنطلق وداد المصابة بالذعر نحو الوجهة الثانية لها على الخريطة، إلى الأقصر، أو بالأحرى إحدى قراها من أجل الوصول إلى المقبرة الثانية، وبعد رحلة شاقة أخرى تصل السيدة العراقية للمكان المحدد، وتنتظر أيضًا هبوط الليل حتى يكون الناس نيامًا، تسير على خطى الخريطة التي أعدَّها لها جودفري؛ لتصل إلى مكان مهجور بعيد قليلًا عن العمران، تنظر أسفلها فلا تجد إلا الرمال، تُحدث نفسها قائلة:

- هل المكان خاطئٌ وضللتُ الطريق، لكن كيف؟! الخريطة تُشير بوجود مقبرة هنا، ولم يخبرني جودفري عن كومة الرمال هذه.

تبدأ في التوتر: فعلى هذه الوتيرة لن تُكمِل مهمّتها، لكنها تسير متجولة في الأرض المحيطة بها، وبسبب الظلام لا ترى جيدًا معالم المكان، أثناء ذلك تدهسُ على قطعة غير متزنة تشعر باختلافها عن بقية المناطق، ثم تسمع صوتًا من أحد خُدّامها يقول لها:

- الآن أنتِ تقفين على المقبرة، إننا نشعر بوجود طاقة كبيرة بالأسفل.

تتحمس وداد قائلة:

- وأين المدخل؟

- هذه المقبرة مختلفة، أسفل قدمك يوجد جان حارس، وهذا غريب؛ فلم يسبق لنا رؤية حارس على باب مقبرة، وهذا يستدعي قتله لفتح المدخل.

- أعلم بأن الأمر لن يكون سهلًا، حتى وإن كلّفنا كل ما نملك يجب أن نفعلها.

تقول ذلك وداد بجدية.

يصمت الجان قليلًا، ثم يقول:

- لكني أحذرك... إن تم قتله وفُتِحَ هذا الصرح لن نستطيع إغلاقه أبدًا.

تتردد وداد قليلًا، ثم تقول:

- قوموا بقتله.

تبتعد عن المكان قليلًا وهي تسمع أصواتًا موحشة مختلفة وتضطرب الأرض تحت أقدامها، لا تعلم حجم المعركة التي تدور بالأسفل، لكنها من المؤكد أنها عظيمة.

بعد مدة من الوقت يأتي صوت لوداد التي تقف في قلق يقول:

- لقد مات العشرات منّا لكن تم قتله، اذهبي أعلى الباب، ثم اضربي الأرض بقدمك ستُفتح الدَرَجَات؛ فقد كان الجان الحارس هو من يحفظها من السقوط.

تفعل وداد ما قيل لها، وبمجرد أن تضرب بقدمها الأرض تحدث ضجة وتبدأ معالم الدرجات الخفية في الظهور.

تتخذ وداد الدرجَ سبيلًا للأسفل وهي محاطة بكامل عشيرتها، لكن الغريب أنها تجد المقبرة بها ضوءٌ خافت يكفي أعينها للروية بداخلها

دون أن تعلم سبب ذلك، ولكنها تظن أن الجدران هي السبب؛ فطريقة تصميمها تعكس الضوء الخافت الساقط عليها بشكل أقوى، تصل لساحة صغيرة عليها الكثير من العظام والجماجم وتابوت ذهبي. بمجرد أن تراه وداد حتى تقول لنفسها:

- هذا التابوت يبدو أنه مناسب، هل أتخذه لما أريد؟!

لكن يجذب انتباهها وجود دهليز ضيّق يُذكّرها بذلك الممر في القاهرة، ثم تسأل من معها قائلة:

- تأكدوا بأن هذا الطريق الذي هناك ليس به أي حراس لكي أتقدم إليه.

تنتظر قليلًا من الوقت، لتسمع صوت يقول لها:

- لا نلحظ وجود أي جان بالجوار، لكن الغريب أننا نشعر بوجود مقابر متداخلة مع هذه المقبرة قد يصل تعدادُها ما بين السبعة والتسعة، ثم في آخر هذا النفق توجد غرفة وحيدة لا يوجد بها أي شيء.

تبتسم وداد وهي تحدث نفسها:

- الآن فهمت لماذا اختار جودفري هذه المقبرة؛ فلا يوجد بها ذهب، وبالتالي حتى وإن تم اكتشافها لن يدخلها أحد لأنها فارغة، لكن لا أفهم ما سبب وجود ذلك الجان الحارس، هل تواجده بسبب تداخل المقابر هنا؟ الأمر محير، لكني عرفتُ الآن ماذا سأفعل.

تتقدم ناحية الدهليز، تسمع بداخله أصواتَ طيورٍ وتشعر بوجود خفافيش ساكنة، وعلى الضوء الصغير المنبعث من الجدران ترى كتابات فرعونية ورسومات غريبة تشعر بتغيّرها، لكن كل هذا يزيدها إصرارًا على أنها في الدرب الصحيح، حتى تصل إلى الغرفة الفارغة.

تضع يدَيْها في أمتعتها وهي تتفحَص الغرفة جيدًا، ثم تُخرج الصندوق الذهبي وتضعه في المنتصف.

تذهب إلى الخارج لتعود أدراجها، وفي منتصف الدهليز تفعل ما أمرها به جودفري، تُخرج ملفوفًا وتدسَه في إحدى فتحات الجدار، وخارج الملفوف كُتِبَ بالحبر الأسود.. "تحضير الملك أمريس، الجان المتمثل في البشر".

تخرج وداد من المقبرة وقد وضعَت لفيفة التحضير والجان الأقوى لجودفري ليحرس الصندوق، حتى يأتي المأمون الذي يستحق أخذه وليس المأمون الذي سيجلب الخراب، وبعد أن تصعد للسطح تجعل عشيرة كاملة من خدّامها تحرس الباب مرة أخرى حتى تختفي المقبرة مجددًا؛ لعدم قدرتها على غلقها وقد أزاحت الرمال عليها.

تقف وداد وسط الصحراء وهي تقول ناظرة للسماء:

- يا رب، لقد عصيتُكَ وفعلت الكثير من أجل الانتقام، من اليوم سأغيّر كل شيء.. سأبني صرحًا أعلم فيه الناس ماهية السحر ومدى إغوائه للبشر والنفوس، لن أدع الناس تضلّ بعد اليوم، وسأقضي بقية عمرى من أجل هذه الرسالة، على أمل أن تسامحني ويعود لي حبيبي جودفري يومًا ما.

تترك الصندوق في المقبرة وتسير إلى الأمام والعُمْر يسير معها، تشتري بيتًا، وتُحقق ما وعدَتْ الله به، ذاع صيتها حتى عُرِفَت في أنحاء مصر بالمُعلمة وداد بنت الشبيبي، قصَدَها العديد من الناس لقدرتها على فك الأسحار والتعامل مع الأمور بشكل ديني أمام الناس، وبشكل خفي مستخدمة ما تملك من عشائر في معالجة القوم، وكانت تترحَل في أنحاء مصر تُعالِجُ من تستطيع وتغرِزُ أسس الدين في النجاة.

مرت السنين وكَبُرت وداد حتى صارت عجوزًا، ما زالت تنتظر حبيبها الذي لم يأتِ. وصار لها العديد من التلاميذ صغار السن الذين يحبونها بشدة ويسمعون كل يوم منها دروسًا شيقة وشديدة الإفادة وقصصًا تُذهب العقل، ومع تقدم سنّها أكثر صارت لا تستطيع السير أو الحديث. واشتد المرض بها لتُنقل إلى بيتها القديم الذي اشتَرَتْه في الأقصر؛ لأنها وعلى حسب رغبتها أرادت أن تموت هناك.

نائمة على السرير ومحاطة بالعديد من التلاميذ الصغار الذين يحبّونها وينتظرون دروسها كل يوم غير مصدقين أنها قد تموت في أية لحظة، منهم من يبكي ومنهم من يرفع يديه إلى السماء من أجل الدعاء لها بالشفاء، وفي ألم وتثاقل تنظر وداد لهم مبتسمة محدثة نفسها:

- أحمدك يا الله أنّكَ جعلتني أعود إلى رشدي وأحببتَ فيّ خلقك، سأقابلكَ الآن وأنا أريد ذلك، سأقابلك وأنا سعيدة وكلي رجاء أن تعفو عني. لا أعرف ماذا حل بجودفري الذي لم أنسَه يومًا؛ فيا رب اجمعنا في جنانك سويًا.

تنظر بعد ذلك للأطفال وتشير لهم بالتجمع حولها مبتسمة، وخلفهم الرجال والنساء يبكون على نهاية هذه السيدة العظيمة، ثم تنظر إلى الأعلى لتقول الشهادة. لكن يقطع ذلك المشهد صوت أحد التلاميذ الذي يقترب منها، ثم يقول لها بصوت خافت:

- هل تعتقدين أنكِ ستدخلين الجنان، أم أنك ستشتعلين في لهيب الجحيم؟

لا تصدق وداد ما تسمع؛ فهذه الجملة سمعتها من قبل في مكان وزمان مختلف، عندما كانت ستواجه الموت هناك في منطقة سبع أبكار. تنظُر وقد جحظَت عيناها للخارج لمصدر الصوت؛ فتجد فتى صغيرًا ينظر لها وهو يبتسم، لتقول بصوت متثاقل ضعيف:

- قُـ.. قو.. قصي!

ثم تخرج الروح منها على الفور وقد هطلَت قطرة من الدمع على وجهها.

***

ينقطع سعفان عن العمل، لا يكلّم أحدًا ولا يرد على هاتفه رغم محاولات عُمَر العديدة في الوصول إليه عن طريق الاتصال به، يجلس في غرفته يقضي بها الأسبوع الذي تبقّى على زواج أُمنية، يحارب فكرة الإلحاد داخله ويُكثِر من صلاة الفروض والسنن وقراءة القرآن، وقد نبَّه على والدته أن لا تذهب لذلك الشيخ مجددًا؛ فهو ساحر أيضًا ولن يفعل مثلما فعلَت من أحبَّ ويذهب للسحرة ويكون كالغاوين. سيظل متمسكًا بأمل أن يقبَلَه الله ويخرجه مما هو فيه. حتى وإن تعقد الواقع، اضمحلّت الأحلام، تراءَت البصيرة وذبلَت الروح. سيظل متمسكًا بالحي الذي لا يموت.. بالله فقط.

ينفطر قلبه كل يوم مع قرب ميعاد زواجها، وغدًا هو اليوم المشهود، يجلس على فراشه في الليل، يُمسك بعملةٍ معدنية صغيرة، ووسط الظلام الحالك الذي وضع نفسه به منذ شهور يقوم برفع العملة للأعلى والتقاطِها مرة أخرى، مكررًا ما يفعل دون توقف وهو ينظر للأمام لا يفكر في أي شيء، فقط يترقب يوم غدٍ وضياع آخر أمل له. أثناء ذلك يسمع صوت رسالة تُرسَل إليه على هاتفه، يُمسكُه ليرى مَن الذي بعث له هذه الرسالة، فاقدَ الأمل أن تكون أُمنية، ينظر إليها ويقرأها فيندهش مما كُتب فيها، إنها من صديقِه عمر يقول له بأن هنالك مدير آخر قام بالحديث معه يُدعَى مسعد، وأنه أخبره بأنه سيعمل معه في الآثار، ودون أن يراه قد وافق على عرضه وأنه يحاول الوصول إليه كل تلك المدة دون جدوى.

يضطرب سعفان، ثم يُفاجأ بصوت هاتفه يرن ورقمٌ غريبٌ يشاهده على الشاشة، يتردد لكنه يرد في النهاية..

- ألو، مين معايا؟

في صوت ثابت ومنظم:

- سعفان، أنا مسعد، الرئيس مسعد.

- الرئيس مين؟ ولماذا هذا الاتصال؟

- أعتقد أن عمر أخبرك بما حدث معه؛ لذا سأعرض عليك نفس العرض هل تقبل أن تعمل في الآثار معي؟ حيث الأموال الطائلة والتحول لحياة أخرى؟

- هل تمزح؟ هل شركة السياحة هذه أنت من تملكها في الخفاء؟

- نعم أصبت، وأنا من قمتُ باختياركما للعمل بها لمَا رأيت فيكما من قدرة على العمل فيما أعرضُه عليك الآن.

يتوقف سعفان عن الحديث وهو يفكر؛ كيف أنه بالفعل لم يتوقع أن يُقبَل وحدث العكس؟ وأن هذا الشخص يبدو عليه الصدق وأنه يقول الحقيقة.

- أندهش من تصرفك هذا! ألا تخشَى مني أن أخبر الشرطة مثلًا عن ما تفعل؟

- وهل تُمسك الشرطة الجان؟

يتصنّم سعفان في مكانه، ثم يرد قائلًا:

- سؤال أخير، هل أنت من جعلنا نتكلم باللغة العربية في العمل وبالخارج مع عمر؟

- أصبت مجددًا يا فتى.

يفكر سعفان ثم يقول:

- لا أوافق على طلبك هذا، ومن اليوم اعتبِر أيامّي في الشركة انتهَت.

يُغلق مسعد المكالمة دون أن يرد على كلام سعفان، الذي يندهش من هذا التصرف ثم يعود لعملته المعدنية وظلامه المعتاد.

—

صباح يوم جديد تستعد فيه أمنية مع صديقاتها ومن بينهم سلمى لتجهيز الفستان وإعداد كل احتياجات العُرس، زينة الوجه وتغيير لون الشعر وخلافه من أمور تفعلها العروس في هذا اليوم الهام لها، وسط تجمعات بشرية كبيرة تُهنِّئ الوالد الذي جاء له الجميع من مختلف البلدان، والأم التي وأخيرًا استطاعَت الوصول بابنتها إلى بيت زوجها، أثناء التحضيرات وجوّ الأفراح والتهنئَة، تصل رسالة إلى سلمى من سعفان، تذهب بعيدًا عن أمنية وتقرأها؛ لتجده يقول لها:

- سلمى، طلب أخير إن كان لي قدْرٌ من المَعَزَّةِ عندك، أريدكِ أن تصوري لي مقطع فيديو صغير في الفرح فقط لأراها سعيدة بالفعل وأمقتها، وحتى لا أتذكر وجهها السابق، وأتذكر فقط ذلك الوجه في ذلك العرس ومع شخص آخر.

وبعد محاولات عديدة ترضخ سلمى لطلب سعفان؛ فحاله يُرثَى له، فعلى رغم صداقة أمنية لها لكنها لا تريد لهذا الشاب أن يتدمّر، وكرهه لصديقتها سينجيه.

تمر الساعات ويصل الجميع إلى قاعة العرس، أجواء مبهجة بحقّ؛ فالعريس يحضر لأمنية فقرات عديدة ومفاجآت لم تتوقعها، شباب كثر يتواجدُون يرقصون معه على أغاني مشهورة شعبية، والفتيات مع أمنية. ثم رقصته الخاصة معها على موسيقى هادئة وسط ضحك

وسعادة تملأ الوجوه لذلك الجمع المبهج، وكبار السن يجلسون في الخلف يشاهدون جيلًا متحمّسًا من الشباب يبعث في قلوبهم البهجة. على الجانب الآخر سعفان في غرفته المظلمة يصلي وهو يبكي ساجدًا لله، وقد تحول دعاؤه قائلًا:

- يا رب، إن ما أمر به الآن يجعل الموت صديقًا مقربًا لي، فقدتُ الثقة بكل شيء، حتى ومع تلك الأصوات القاتلة جعلوني أفقد الثقة بك، أنتَ تعلم ما في نفسي! فلا تحاسبني به، وإني لأجاهد من أجلك فأوجرني عليه، لن أدعو بشخص ولا بعمل ولا حتى بالسعادة، فإن كان الابتلاء هو قدركَ فأنا له، وإن كان الصبر هو اختبارك فأنا له، وإن كانت الدنيا لا تساوي عندك جناح بعوضة فأنا لستُ لها، أدعوك فقط بأن تخرجني من حولي وقوتي إلى حولكَ وقوتكَ، ما يحدث اليوم ثقيل على قلبي، مرير على روحي لكني سأتحمل، لا أعلم لماذا حلمتُ بها ولماذا جعلتني أشعر بأنها سترجع لي؟ وأنها نصيبي في رؤياي، لكني سأصبر كما صبر يعقوب على فراق يوسف عسى أن تأتيني بهم جميعًا، أو بالخير في أمر آخر.

يقول ذلك سعفان وهو يبكي، حتى صارت عيناه كالدماء وقلبه كانشقاق بحر موسى.

***

لا تنسى سلمى ما أخبرها سعفان به وتقوم بتصوير فيديو بالفعل للعُرس وهي تحرِص على أن تُظهر أمنية سعيدة غير مبالية بسعفان؛ حتى يمقتها بشدة ولا يفعل في نفسه الأفاعيل.

يمر الوقت، الصخَبُ هنا والبكاء هناك، حتى تصل رسالة إلى سعفان بالفيديو الذي طلبه، وتحته تقول له سلمى: انساها يا سعفان، أمنية راحت وانت لازم تشوف حياتك.

تنتهي صلاة سعفان، ويجلس على فراشه ممسكًا لهاتفه وقلبه يكاد يخرج من مكانه وهو يشغل الفيديو؛ ليرى وجهًا غاب عنه شهورًا. يرى من أحَبّ بصدق يومًا وهي تضحك. تنظر لأصدقائها وهن يستمِعْن للأغاني التي تُدخل في النفس السرور. لا يصدق ما يراه: هل بالفعل الناس تستطيع أن تنسى بتلك البساطة؟! أم أنه هو شخص غير سويّ يسير وراء أحلام لن تحدث وجان يريدون الفتك به؟! ثم يقول بصوت خافت حتى لا تسمعه والدته:

- من أنتِ؟! لا أعرفكِ، لا أعرف هذا الشكل الغريب. لقد عرفتُ فتاة أخرى قابلتها وتحدثتُ معها، لم تكن أنتِ ولن تكونَ أنتِ. يا لكِ من ابتلاء عظيم، لكن سأحرص على أن أموت قبل أن أُقتَل من عشيرة الجان الذين يريدون الانتقام، وسأظل وفيًا لعهدي وقسمي لكِ. الآن أنا أكرهكِ.. أراكِ شيطانًا، أريد أن أقتلك.

يوقف سعفان الفيديو، ثم يبحث عن الرقم الذي حدَّثه بالأمس ويتصل به، ثم بعد وقت قليل يجد الرئيس يرد عليه:

- ماذا تريد؟

بصوت مظلم يقول سعفان:

- سأسألك سؤالًا واحدًا وبناءً عليه سأقرر إن كنت سأعمل معك أو لا.

- إذًا سَل.

- هل عملي معك سأنزل فيه إلى مقابر وأكون معرّضًا للموت في كل وقت؟

يصمت مسعد قليلًا كأنه تفاجأ من هذا السؤال الغريب، ثم يرد قائلًا:

- نعم، فإن كنت ستنزل إلى المقابر فقد تموت في أية لحظة.

ينهض سعفان من فراشه وهو يمسح دموعه قائلًا:

- أنا معك إذًا.

تنتهي المكالمة وداخل سعفان إصرار كبير على المضي في هذه الأمور: لعله يموت قريبًا.

***

مرت الأيام منذ ذلك اليوم، الْتحَقَ خلاله سعفان وعُمَر بفريق مسعد للبحث عن القبور وفتحِها دون أن يروا وجهه، لكنهما قد تفرّقا: فصار سعفان يعمل مع رنا التي طلبَت من مسعد أن تجعله معها لكي تحاول اكتشاف من يكون، يومٌ وراء يوم ومقابر جديدة تُفتح تحت غطاء شركة السياحة، ولكن سعفان تحوّل تمامًا: كلامه قليل جدًا.. نظراته مخيفة.. يمشي بثقل شديد ولا يوجد على وجهه أي تعبير، سواء كان خوفًا من ما يوجد بالمقبرة والأهوال التي يتعرضون لها، أو حتى فرح عند فتحها، ورنا كل ذلك تحاول أن تتحدث معه دون جدوى، تشعر بظلام هائل ينبعث من ذلك الكائن الذي بجانبها: فعلى رغم تعاملاتها العديدة مع الجان إلا أنها تخاف منه ومن ذلك الوجه الثابت الذي لا يتغير مهما حدث له، وكل يوم شكوكها تزداد بأن سعفان هو قُصيّ، خصوصًا مع استمرار فتح المقابر ورؤيتها للجان وهم يحترقون عندما يقتربون من سعفان محاولين قتله من أجل حماية ما تم تسخيرهم من أجله، ولكن ما يدهشها أكثر أن سعفان لا يراهم! يمشي فقط وهو لا يشعر بما يحدث حوله وتأثيره الذي يربك كل شيء، كما أنه ما زاد دهشتها هو أنه لا يرضَى بأن يأخذ نصيبه من المقابر التي يقومون بفتحها، يكتفي فقط بالنزول معها كأنه يريد شيئًا آخر غير الأموال التي تجذب الجميع.

- رنا، اليوم ستذهبون إلى مقبرة أخرى، وقد اخترتكِ أنتِ لها؛ فهذه المقبرة وعلى خلاف ما سبق تحوي شيئًا قويًا داخلها، لدرجة أن الجان الذين معي لم يستطيعوا رؤية ما بالداخل؛ لذا خذي سعفان وفريقك كاملًا واذهبي إليها.

- تمام، لكن بما إنها بالخطورة دي انتَ مش جاي ليه؟

- يبدو أنكِ نسيتِ تاريخ اليوم، لقد اقتربنا من جمع الأربعة القدماء، ويجب أن أجهز كل شيء؛ فلم يتبقَ لي إلا شخص واحد وسيكون الاجتماع الأخير في القصر عاجلًا، لذا لا وقت عندي للاحتمالات؛ فإن كان الصندوق بالداخل فاجلبيه، وإن لم يكن فسنشرع في خطتنا كما هيَ.

- لكن سعفان غريب جدًا يا مسعد، مفيش أي تعبير على وشه؛ لا خوف ولا فرح ولا حتى حزن، عندي شعور إني ماشيَة جمب كائن مش بشري، هل فيه صدمة في الحياة ممكن تخلى الشخص بالشكل ده؟

- هذا أمر خطير، فما زلت أتذكر ما قاله لي في مكالمة سابقة عندما سألني عن طبيعة العمل وهل يجلب الموت.

رنا قلقة:

- تفتكر هو عايز يموت فعلًا وشغال معانا كل ده عشان يوصل للهدف بتاعه؟

- لا أعلم بعد، لكن بعد إخباركِ لي بقصص حرق الجان هذه بمجرد الاقتراب منه وعدم استطاعتي اختراق أفكاره وكونه لا يتذكر كونه قُصيّ، أعتقد أنني يجب أن أقابله قبل أن أقوم بالتجمع

مباشرة. اذهبي فقط إلى المقبرة وأخبريني بالتطورات، وأنا سأذهب لإكمال ما بدأت.

يذهب مسعد وتنطلق رنا إلى المكان الذي اتفقت أن تقابل سعفان فيه لكي يسافرا سويًا إلى سوهاج؛ حيث توجد المقبرة التي يريدون ومعهم مجموعة من الرجال المسلحة. يصلون إلى مدينة سوهاج في وقت باكر؛ لذا تقرّر رنا بأن يتجولًا فيها بعض الوقت حتى ينتصف الليل، ثم يذهبوا إلى أحد المراكز حيث توجد المقبرة.

يتجول سعفان ورنا في مدينة سوهاج، تمر على الكوبري الذي يصل الغرب بالشرق والنيل الذي يطلّ عليه. تذهب إلى بعض الأماكن المكتظة بالناس وتجلس على المقاهي الفاخرة التي بها، وهي لا تصدق تلك النظرة السيئة التي تؤخذ على صعيد مصر، وأنه حقًا جميل وأناسه لا يختلفون كثيرًا عن القاهرة، بل أنّك هنا تشعر بجو من الألفة رغم نقص الإمكانيات المتاحة لديهم.

- إيه رأيك يا سعفان في سوهاج؟

تقول ذلك رنا مبتسمة.

سعفان وهو ناظرٌ للأمام يقول:

- بلد جميلة لم أزُرها يومًا. لكني مررتُ بطريقها سابقًا.

- طيب نفسك تعمل إيه هنا قبل ما نمشي؟

- لا شيء، فقط أريد الذهاب لهذه المقبرة سريعًا.

بصوت يملأه الضيق تقول رنا:

- المرادي المقبرة خطيرة قوي، فأفتكِر إننا ممكن نعمل حاجة هنا نستمتع بيها قبل ما نروح. محدش عارف ممكن مانرجعش.

بصوت خافت يقول سعفان الذي ما زال ينظر للأمام:

- لعلها الأخيرة!

- أنا مش فاهمة، انت مابتخافش أبدًا، دي طبيعتك يعني؟ عمري ماشوفتك من أول ما اشتغلنا سوَا بتضحك أو متضايق، ليه كل ده؟! ممكن أعرف انت بقيت ازّاي كده؟ إيه الشيء اللي في الدنيا يستحق إن الإنسان يفقد حتى شعوره بأي حاجة حواليه؟

بصوت ثابت:

- لا شيء يستحق، لا أحد يستحق.

- سعفان، أنا الفضول هيقتلني، انت مش واثق فيّا تحكيلي بقيت بالوضع ده ازّاي؟

- هنالك أمور إن اخترَقَها الفضول هَلك صاحبها. لا ترهقي نفسك؛ فأنا شخص طبيعي جدًا، والحياة لا يوجد بها أي خطأ.

يستمر سعفان في إرباك رنا، التي ومع الوقت تعلّقت بسعفان وبظلامه الغامض ذاك، حتى أنها بدأت تشعر بأنها معجبة به.

- طيب، إيه رأيك نقوم نتمشّى سوَا، بيقولوا فيه شارع هنا اسمه شارع 15 فيه محلات حلوة.

- لا مانع عندي، هيا.. ليكن هذا آخر ما نفعل قبل أن نذهب.

تمشي رنا أمام سعفان وهي تقول له بصوت مرتفع:

- انت مستفز!

يتجول الرفيقان في هذا الشارع الطويل المزدحم لحيويته، ورنا تنظر إلى الملابس المعروضة وتقرر شراء بعضٍ منها لجمالها، وسعفان بجانبها لا ينظر سوى للأمام بنفس ذلك الوجه الثابت، لا يكترثُ لمَا

تفعله رنا، ولا لسؤالها له عن أي الملابس أفضل عليها، فقط داخل رأسه يفكّر في مدى حجم قوة المقبرة القادمة.

تنتهي رنا مما تفعل، ثم يخبرها سعفان بأنه عليهما أن يستعدا الآن للسفر: فالساعة الآن العاشرة مساءً، يعودان أدراجهما، وأثناء مرورهما بالإشارة الأولى في شارع 15 يأتي فتى هزيل يرتدي ملابسَ توحي بأنه فقير، ممسكًا في يديه عصا صغيرة وبعض الفل الذكيّ الرائحة، يعرضه على رنا قائلًا:

- فل يا مدام؛ ريحته جميلة وهتحبيه.

تنهره رنا التي تحاول أن تمشي مسرعة لتبتعد عنه، لكنه يأبى أن يستسلم ويذهب لسعفان على الجهة الأخرى قائلًا:

- فل يا بيه؟ يا رب مراتك تبقى حامل.

تنظر رنا لسعفان ضاحكة: لأن ذلك الفتى ذكَر بأنها زوجته، لكن سعفان ينظر للأمام وهو يقول له:

- هذه ليست زوجتي وخذ، هذه أموال كثيرة، ولتذهبْ اليوم إلى البيت.

يندهش الفتى من كرم الرجل، ثم يقول:

- انت فل الفل يا بيه، طيب إيه رأيك أقرالَك الكف بالعصاية الصغيرة دي؟ خلّي بالك دي عصاية سحرية بتخلّيني أعرف كل حاجة.

يتجاهله سعفان الذي يمضي، ولكن مع إصرار الفتى يُعطي له سعفان يديه وقد بدأ يغضب.

وسط زحمة الطريق والسيارات التي تُصدِرُ صوتًا مزعجًا يُمسك الفتى الصغير عصاه ويُحركها على راحة يد سعفان قائلًا:

- انت يا بيه هيكون ليك شغل كبير ومعاك فلوس كتير، وهتتجوز الست الحلوة اللي جمبك دي.

تضحك رنا التي أعجبها طريقة ذلك الفتى في الحديث. وسعفان ما زال جامدًا يريد أن يتخلص من ذلك المزاح.

ثم يكمل الفتى قائلًا:

- وهيكون معاك ولدين وبنت زيّ القمر، وتبقى تجوّزهالي بقى.

يسحب سعفان يده بسرعة، وهو ينظر للطفل قائلًا:

- ألا يكفي ذلك، هيا اذهب.

يغادر الفتى الصغير، ويمضي سعفان ورنا إلى الأمام وهما ينظران لبعضهما البعض، رنا ما زالت تضحك وسعفان ما زال لا يشعر بأي شيء، لكنه يسمع صوت الفتى من بعيد يقول له:

- يا بيه عايز أقولّك إن كل ده كان مُقدَّر ليك، بس مش هيحصل عشان اللي حصل فيك من أمنية.

وينطلق بعد ذلك القول مسرعًا هربًا من سعفان، الذي يسمع تلك الجملة وهو ينظر إلى رنا المبتسمة له. تتسع حدقة عينه ويتحول وجهه تاركًا رنا التي لم تفهم ماذا حل به ومن أمنية هذه؟! ويجري وراء الطفل الصغير الذي يحاول الاختفاء وسط زحام الناس بذلك الشارع. يبتعد الطفل عن مرمَى أعين سعفان الذي عبّر الإشارة الثانية من الشارع لكنه لا يجده. عقله يكاد أن يُجنّ يُحدث نفسه قائلًا:

- من هذا الطفل؟ وكيف عرف بأمر أمنية وما فعلَتْه بِي؟!

يرتفع ضغطه ويبدأ الصداع يصيب رأسه، حتى تصل له رنا التي تقول في قلق:

- سعفان مين أمنية دي؟

يرد غاضبًا وبصوت مرتفع:

- ليس لكِ شأن بها، ولا تذكري ذلك الاسم أبدًا، هل تفهمين؟

ثم يتركها ويذهب إلى مكان التجمع، ورنا تلحقه والخوف أصابها من مظهر وجهه المظلم.

***

تنطلق السيارة بالجمع للذهاب إلى المقبرة، وسعفان يجلس بالخلف ينظر للأرض ولا يتحدث مع أحد، فقد ذكّرته كلمات ذلك الفتى بفتاة التي يتناساها محاولًا إخماد أي محاولة داخل نفسه لتذكرها، وهو يرجو من الله أن تكون المقبرة القادمة هيا نهايته، ورنا في الأمام تفكر في اسم هذه الفتاة التي جعلت الشاب القوي الثابت ينهار هكذا ويغضب سريعًا.

ينتصف الليل وتصل السيارة لإحدى القرى التابعة لمركز المراغة؛ حيث توجد هناك المقبرة التي يؤمّها شركاؤهم، تنزل رنا وسعفان ومعهم الرجال، وبعد ترحاب الجميع بهم هناك يأخذونهم لمكان المقبرة؛ ليروا وجود سرداب تحت الأرض وبداخل أحد البيوت يؤدي إلى ظلام حالك، يذهب سعفان أولًا دون أن ينتظر البقية الذين يتبعونه ومعهم المصابيح إلى الأسفل، بعد أن تم إخبارهم بأن عدد من الرجال والشيوخ حاولوا فتحها ولكنهم لم يعودوا حتى الآن منذ أسابيع.

سعفان هو أول من يلامس أرض ساحة المقبرة المليئة بالنقوش كعادة المقابر الفرعونية، لكن الغريب أن الساحة هنا مقسّمة طوليًا لا يوجد بها أية دهاليز أو ممرات خفية، فقط ساحة واحدة كبيرة مما يثير ذلك سعفان؛ فهو يشعر بأن موته اقترب! يتقدم داخلها وبجانبه رنا، وخلفهم الرجال يصوبون ضوء المصابيح على الجدران، يمشون

مسافة كبيرة إلى الداخل، ويشعر الجميع باختناق بسيط بسبب قلة الهواء، إلى أن ومرة واحدة يصدر صوتًا شنيعًا من أحد الرجال، الذي يقول وهو يصوب مصباحه للأسفل:

- فيه جثث ميتة هنا وعليها دم.

ينظر الجميع للأسفل: ليروا جثث كثيرة على الأرض ورائحة عفنة تخرج منها وتجمع كبير من الديدان عليها، يدبّ الرعب في قلوبهم فهم؛ حتى الآن لم يتعرضوا لمثل ذلك الموقف، فيما عدا سعفان الذي تركهم وأخذ يبحث أكثر في المقبرة، وبعد توغّل أكثر للداخل يُفاجأ بعدد من التماثيل الضخمة متراصة في شكل دائري غريب لم يرَه من قبل ولا حتى في أحلامه القديمة، يقف أمامهم وهو يفكر؛ فتتسع عيناه وهو يظن بأنه عرف اللغز هنا، ثم يسمع أصواتًا عديدة من خلفه تنم عن خطر يقترب، يرى الرجالُ ظلالًا كثيرة تتحرك، ووجوهًا تظهر وتختفي وهم يخرجون أسلحتهم ويصوبون عليهم، أما رنا فتقف وهي تحدّث الجان التي تملكهم عن الذي يحدث هنا؛ فيخبرها أحدهم بأن هنا جان أبانوخ وهو أحد الرؤساء أثناء الحرب العظمَى، ويتصف جنوده بأن بطشهم شديد، وأنه يجب عليها الهرب؛ لأنهم لن يستطيعوا حمايتها منهم؛ فعددهم كبير، ولم يتوقعوا أنهم اختفوا ليتواجدوا هنا في هذه المقبرة، وأن الوحيد القادر على هزيمتهم هو مسعد.

تبدأ الظلال في الاقتراب أكثر من الرجال الذين تعتلي صيحاتهم وتكثر أعيرة نيرانهم ولكن دون جدوى، حتى يبدأ الواحد تلو الآخر منهم في رؤية أشكال مزعجة تُثْقِل الجسد؛ فيسقطون على الأرض من هول ما يرون، وعلى ضوء المصابيح يرى سعفان ورنا الدماء وهيَ تنطلق كالسهام من جسد الرجال؛ فتنذعر رنا التي ولأول مرة منذ بدء عملها مع الرئيس تشعر بأنها ستموت، فتسقط على الأرض وهي تصرخ في الجان الذين يخدمونها:

- قوموا بحمايتي، لا أريد أن أموت.

يرى سعفان ذلك المشهد؛ فهدأ جسده لأنه يريد ذلك، واليوم سيتحقق مراده! لكنه يرى رنا تجلس على الأرض وقد فقدَتْ عقلها، بعد تفكير وتردّد يذهب إليها مسرعًا. يُمسك يدها وينطلق بها نحو التماثيل قائلًا:

- إن أردتِ أن تعيشِي فافعلِي ما آمركِ به، هناك خمسة تماثيل هنا، كل تمثال منهم يقوم بحركة معينة بجسده؛ فمنهم من يمد قدمه للأمام ويرفع يده للأعلى، ومنهم من يحرك جسده ناحية اليمين ويديه في الجهة المقابلة، أريدكِ سريعًا والآن الوقوف أمام كل تمثال منهم والقيام بنفس الحركة التي يقوم بها، هيا فلا وقتَ أمامك.

تنفذ رنا كلام سعفان دون أن تفكر؛ فمنطقية تنفيذه وصرخات الرجال تضمحِلّ معلنة عن نهايتهم، ثم ترى رنا وهي أمام التمثال الثالث أن الظلال تتحرك نحوهم؛ فتنظر إلى سعفان الذي يقول لها:

- لا تخافي؛ سأقف أنا أمامهم ليقتلوني، وبذلك أمنحك الوقت لإكمال المهمة، وداعًا.

تُكمل رنا ما تفعل وهي تبكي على سعفان، لكن خوفها يغلب حبّها له، يقف الفتى الذي أراد الموت بكل ما يملك منذ بداية عمله مع مسعد أمام الظلال وهو يُغمض عينيه قائلًا:

- وداعًا يا أمنية.

تنظر رنا للمشهد؛ لتصدم بأن الظلال تحترق بمجرد ملامستها لجسد سعفان، وأن النار تنتشر في بقيتهم كسرعة الضوء، لا تصدق ما تراه؛ فهي تسمعهم أيضًا يصرخون، وكل ذلك يحدث وسعفان واقف ينتظر موته ولا يشعر بما يحدث للجان.

لحظات تمر، سعفان واقف في مكانه، يفتح عينَيه مندهشًا من عدم حدوث شيء، ورنا قد أنهَت الحركة الأخيرة أمام التمثال الخامس؛ ليسمع الاثنان بعدها صوتًا يقول:

- هنيئًا.. تم فتح المقبرة.

ثم تتحرك التماثيل لتكشف عن كنوز وذهب يكفي مدينة بأكملها.

لا تصدق رنا ما تراه، فكأنها مدينة من الذهب، لكن مسعد لن يفرح بذلك؛ فهو يريد شيئًا واحدًا فقط.

يخرج سعفان ورنا من المقبرة وعلى وجوهِهم آثار دماء، والجميع ينظر لهم في ترقب؛ لتأمر رنا الرجال الواقفين بالنزول لأسفل لجمع الذهب وأخذ الجثث. أما سعفان فيضرب بيده على الأرض؛ حتى تنزف وهو يصرخ:

- لماذا لا أموووووووووووووووووت؟!

***

تمر الأيام بعد حادثة المقبرة، وما زال سعفان يحلم كالمعتاد، ولكن هذه المرة تضمحلّ قوى الجان؛ لتتبدل بشيخ يزور منامه كل يوم يحاول أن يقوم بخنقه دون أن يراه، حتى وبعد زواج أُمنية!

بعد يوم عمل شاق يرجع سعفان إلى بيته ليلًا، يصلي كما المعتاد وينام، يرى في منامه أنه يجلس على مقعد أمامه منضدة، وعلى الجهة الأخرى شيخٌ لا يرى ملامحه، ولكنه يسمع صوته وداخل الحلم يعرف أنه السبب في فقدانه لأمنية بما قال وفعل.

يقول الشيخ:

- هل تأدَّبتَ الآن؟

- ماذا تقصد؟ لماذا فعلتَ بي كل هذا؟

- لا يهم، ولكن سأسألك، هل ما زلتَ تحب أمنية؟

- لا، أنا أمقتها وأمقتُ اليوم الذي رأيتها فيه، لا أريد سماع ذلك الاسم مرة أخرى.

يضحك الشيخ قائلًا:

- جيد، إذًا لن تتدخّل إن قمتُ بأذيتها؟

بصوت صارم:

- لا.

- لن تتدخل إن قمتُ بالتلاعب بأحلامها؟

- لا.

- لن تتدخل إن قمتُ بقتلها؟

يصمت سعفان برهة من الوقت، ليرد قائلًا:

- عندها سأقتلك.

ينهض الشيخ من على مقعده قائلًا:

- إذًا أنت لم تكرهها بعدُ يا فتى، وستموتُ لذلك.

ثم يستيقظ سعفان من نومه على صوت هاتفه يرن، ما زال لا يصدق ما حلم به، لكنه يُمسك الهاتف؛ فيجده شخصًا لم يتوقع اتصاله.

- غير معقول! أحمد معي؟!

- ألو يا سعفان، أخبارك؟ وإيه بتتكلم زي أفلام العربي بتاعة زمان كده ليه؟

أحمد مازحًا.

- ظروف عمل يا صديقي، المهم زمن بعيد مَرّ ولم أسمع صوتك، يا ترى ما سبب هذا الاتصال المفاجئ؟

- طول عمرك غريب يا سعفان وبتقع في حاجات غريبة، أنا بكلّمك عشان أعزمك على فرحي بُكرَة بإذن الله.

- ألف مبروووك يا صديقي. لا أصدق أخيرًا ستتزوّج سمر.

- أيوَه هتجوّزها ومستنّاك، هبعتلك في رسالة اسم القاعة وعنوانها عشان عارفك بتنسَى.

- حسنًا، سلام.

تنتهي المكالمة وسعفان ما زال متأثرًا بحلمه الذي لا يفهمه، من هو هذا الشيخ؟! وهل يخترق أحلامه بتلك السهولة؟! ثم يقول بصوت منخفض:

- يا لك من شخص ضعيف يا سعفان، الجميع يفعل بك ما يحلو له وأنت غير قادر حتى على الرد!

ثم ينام مرة أخرى.

***

يأتي الصباح وسمر تجلس مع ندا من أجل التجهيز والذهاب لتحضير كل شيء. أما أحمد فيجلس مع أصدقائه يرتّب ما سيقدمون من فقرات تفاجِئُ العروس وهم يتوعّدُونَه بواجب آخر سيقومون به. يأتي الليل ويصل أحمد وسمر لقاعة عُرْسِهم في إحدى الفنادق الكبرى في القاهرة، وذلك طبيعي لثراء والد أحمد الفاحش، وقد أُعجب أحمد بالقلادة الذهبية التي ترتديها سمر: فيبدو أنها باهظة الثمن، زائد أنه لم يسبق له رؤيتها، وقد تجمّعَ أمام القاعة عدد من كبار القوم،

سيارات فارهة وفساتين يكفي الواحد منهم قُوتَ رجل متوسط الدخل مدة عام كامل.

يصل سعفان متأخرًا، يدخل القاعة ويرى حجم اتساعها وتصميمها الفاخر، ثم يجلس على إحدى المقاعد في الخلف وهو ينظر لأحمد وسمر صديقَي الماضي اللذين يرقصان سويًا على موسيقى هادئة وأنوار خافتة، وقد تشابكت أيديهما وتقاربَت أجسادهم التي تتحرك في تناسق تام.

ينظر لهم مبتسمًا، ومع تركيزه على ذلك المشهد يغُوص داخل أعماق عقله؛ فيرى نفسه يفعل ذلك مع أمنية، لكنه سرعان ما يتذكر أن خياله المريض ذاك يجب أن ينتهي وموته سيأتي؛ لذا يُكمل مشاهدة صديقَيه وهو سعيد لأنهما على الأقل مثال حي لنجاح الحب، وليس مثله هو وصديقه عمر.

ينتهي الرقص ويصعد الأصدقاء يهنئون العريس والعروس، ليأتي الدور على سعفان الذي يراه أحمد؛ فيحتضنه على الفور قائلًا:

- مش مصدق إني شوفتك تاني يا سعفان.

وبعد أن يهنئَهُ ويتحدثان طويلًا، ينظر إلى سمر التي بمجرد أن تراه حتى تُصعَق وتتسمّر مكانها غير مصدقة أن أحمد قام بدعوته، ثم تضع يدها على القلادة محاولة أن تخفيها، لكن يراها سعفان الذي يقف مكانه كأنه يتذكر شيئًا في الماضي، ويُمسك رأسه من شدة الألم الذي حلَّ بها، يتذكر شيئًا ثم يقترب من سمر وهو يقول لها بصوت خافت لا يسمعه أحمد:

- لقد تذكّرت، سأزورِكِ يومًا ما وسنتحدث عن تلك الليلة التي أوصلتكِ فيها إلى بيتك.

يترك سعفان القاعة مغادرًا، تاركًا سمر في حالة غضب من زوجها لدعوته لسعفان دون إخبارها، وأيضًا في خوف شديد من أن يأتي إليها.

يذهب سعفان بعيدًا وهو يحاول أن يتذكر كل ما حدث تلك الليلة، لكن يقاطع حبل أفكاره ذاك رسالة على هاتفه، يفتحها ليجد اسم شخص يعرفه جيدًا يقول له:

- سعفان أنا رضوى، ماكُنتش عارفَه أكلّمك الفترة اللي فاتت بسبب ظروف لما أشوفك هحكيهالك. أنا عرِفْت كل حاجة يا سعفان، وهستناك أقابلك بُكْرَة الساعة 2 بليل عند المقابر اللي أنا المفروض إني مدفونة فيها.

يرى سعفان تلك الرسالة؛ فتتسارع نبضات قلبه وينسى ما كان يفكر فيه بخصوص سمر. ثم يرن على رقم الهاتف الذي أُرسلت منه الرسالة فيجده مغلقًا، ترتعش أطرافه وهو يقول:

- رضوى ما زالت على قيد الحياة! سأجن إن حدث هذا، هل يُعقَل أن تكون هي من يُنقذني وأنه كل ذلك يحدث بي لأجلها، سأخبرها بكل شيء وأنني أحببتُ غيرها وأعرف أنها ستساعدني بالتأكيد، يجب أن أذهب غدًا لذلك العنوان لمعرفة حقيقة كل شيء.

***

في الصحراء يجلس حراس الهيكل وسانوخ الذي جاء لهم في أمر هام لا يحتمل تأجيل.

- قل يا ابن إبليس لماذا جمعتنا هنا؟ وما هذا الأمر الذي تريد؟

- أريد أن أناقشكم في حديث انتصار السابق معكم.

يرد أحدهم بسرعة قائلًا:

- ماذا تقصد؟

سانوخ مبتسمًا:

- هل يقبل الحراس العظماء إهانة بشريّ لهم؟!

يصدر الجميع صوتًا يجعل سانوخ يتراجع للوراء، وهو يكمل قائلًا:

- لا تغضبوا؛ فأنا أقول الحقيقة. ألا تتذكَّرُون اليوم الذي حدّثتكم فيه انتصار بعجرفة لا نظير لها بسبب عدم استطاعتكم القضاء على سعفان؟ فكيف لحراس شداد مثلكم الخضوع لها بهذه الطريقة. حتى أن باقي الجان والعمار المتواجدين لم يصدقوا كون الحراس سهل المنال هكذا.

- هل تقول بأن ذلك ما تراه العشائر وأن صورتنا أمامهم اهتزّت؟

- شاء الجميع أم لا: فأنتم الأقوى والأكثر شهرة بيننا، لكنهم يتحدثون عن انتصار وأنها تأمركم ولا تخشى بطشكم. وأنا بصفتي جان مخلص لكم أخشَى عليكم من أن تكرر هذا؛ فسعفان يتملك عقلها وتريد الانتقام منه بأية طريقة. حتى ولو كانت على حساب أرواحكم. وهذا الفتى هو السبب في ترك العشائر لها سابقًا بعد أن تم حرق المتقصيّ وجُنّ جنونها، وتأكيدًا على كلامي مرّت فترة من الوقت منذ حادثة سعفان وهي لم تقم بأي عمل آخر. تفكر فقط كيف تنتقم منه، وترسلكم كل يوم من أجل ذلك.

يقول رئيس الحراس غاضبًا:

- معك حق، لقد ازداد الأمر كثيرًا. ففي السابق كنا ننفذ أوامرها بسبب أننا نستمتع بما نفعل معها، لكن الآن وصل الأمر حده، وانتصار يجب أن تُسلَب ذلك المُلك الذي صنعناه نحن لها.

يقول الجميع في صوت واحد:

- نعم، لا حكم لانتصار بعد الآن.

ينسحب سانوخ مبتسمًا؛ فقد تحقق ما أراده، ثم يذهب إلى غرفة انتصار ليرى ماذا سيحدث بينها وبين الحراس الذين اتجهوا إليها؟

تجلس انتصار على مقعدها تفكر كيف ستتخلص من سعفان؟ وما الذي وراء هذا الفتى يقيّدها هكذا ويجعلها ضعيفة داخل أعماق قلبها؟ لتسمع صوتًا يقول لها:

- انتصار، نحن الحراس وجئنا نخبركِ بأمر هام.

- لا وقت لديَ لكم الآن، أريد أن أركز كيف سأقوم بقتل سعفان بعدما فشلتم.

بصوت مرتفع يقول رئيسهم:

- عندما تتحدثين معنا يجب أن تخافي، ولقد أتخذنا قرارًا بسلبك كل ما تملكين؛ فمن اليوم لا سلطة لك على أي فرد من الجان.

تُصعق انتصار مما تسمع، لترد مسرعة:

- بيني وبين الجان عهود لا يستطيعون نقضها، أنا ملكة هنا، وما أمتلِكُ لن يسلبه أحدٌ منّي.

تشتعل المنضدة بالنيران وتمتد لتشمل الغرفة بأكملها، تهتز الأرض بشدة وانتصار تقول:

- يا عشائري أنقذوني من الحراس، يا عشائري أنجدوا سيدتكم.

لتسمع أصواتهم يقولون لها:

- بأمر حراس الهيكل تَسقُط العهود بين بني الطين وبني النار.

ثم تختفى الأصوات جميعها تاركين انتصار تواجه خطر الحراس وحدها.

- لاااااا، أرجوكم أنا أستمحيكم عذرًا؛ لقد كنت غاضبة فقط مما حدث، سأعيش تحت إمرتكم، لكن لا تفعلوا بي ذلك.

بصوت غليظ:

- انتهي الأمر، لا سلطة لكِ بعد اليوم، وإذا أردتِ الحياة فاهربي الآن قبل أن نحرق كل شيء، وذلك فقط لأننا نتذكر كيف كنا نستمتع أثناء العمل معك، أمامك دقيقة واحدة للهرب.

تسمع انتصار ذلك غير مصدقة أنه في لمح البصر تحوّلَت من ملكة يهابها الجميع لعجوز تخاف بطش الجان، تُسرع إلى الخارج وهي تحمل معها بعض النقود والمتاع، لتجد المسكَن بأكمله يحترق بنار عظيمة يراها البشر من أماكن بعيدة.

تذهب العجوز التي ما زالت في حالة صدمة إلى أحد الفنادق المتوسطة؛ لكي تجد غرفة تنام بها حتى الصباح، تصعد غرفتها وتجلس على الفراش وهي تصرخ قائلة:

- لااااا، ليس مجددًا، ضاع كل شيء ومُلكي إلى الأبد، تبًا للحراس وأفعالهم؛ فبعد كل ما وصلتُ إليه أعود مجددًا إلى الصفر، قاموا بحرق المنزل والأموال التي جمعتها به وضاعت أحلامي، لاااااا لاااااا.

قاربت انتصار على أن تُجن، ثم تسمع صوتًا مألوفًا لديها يقول لها:

- انتصار عزيزتي، ماذا حدث؟

- سااانوخ! لا أصدق أنك هنا، لقد باعني الحراس وحرقوا كل شيء، صرتُ بلا مأوى وبلا مال، ساعدني يا سانوخ أرجوك؛ فأنت دائمًا ما كنتَ مخلصًا لي.

- كنت أريد أن أحذركِ من هؤلاء القوم؛ فنحن عشائر الجان نكرههم، ولكن يجب أن نطيع أوامرهم بسبب قوتهم الهائلة،

سأساعدكِ فأنا خادمك المخلص أيتها العجوز الجميلة، أولًا يجب أن تنتهي من انتقامك؛ فالسبب الفعلي وراء كل ما يحدث لكِ هو سعفان.

بمجرد أن تسمع انتصار اسم سعفان حتى تستشيط غضبًا وهي تقول:

- يجب أن يدفع الثمن، لكن كيف؟ فحتى الحراس الأقوياء لم يستطيعوا فعل شيء.

بصوت ضاحك:

- لا يا انتصار، أنا أعرف كيف نتخلص منه.

- كيف؟

تقول ذلك انتصار مترقبة.

يصمت سانوخ قليلًا، ثم يقول:

- بأن تقومي بقتله، أنتِ الوحيدة القادرة على التخلص منه، وعندها سيعترف بكِ حراس الهيكل وجميع عشائر الجان، وتصبحين ملكة أقوى من الجان أنفسهم.

ومع تكرار سانوخ لتلك العبارات التي تعشقها انتصار تقول وهي تضحك:

- رائع، إذًا سأقتله ونتخلّص منه، وحينها ستقوم أنت بإبلاغ الجميع عما فعلتُ، أليس كذلك؟

- نعم يا عزيزتي، وسنحكم الأرض سويًا.

- حسنًا، ولكن كيف سأعرف مكانه؟

سانوخ مبتسمًا يقول:

- لا تقلقي؛ سأعرف لكِ أنا مكانه، وفي الوقت المناسب تحضري لنتخلص منه إلى الأبد.

ثم يختفي صوت سانوخ تاركًا انتصار وهي تخرج من أمتعتها سكينًا فضيّ اللون قائلة:

- سأقتلك يا سعفان مهما كلفني الأمر.

***

يجلس مسعد مع رنا في القصر في اجتماع مغلق دون أن يكون معهما أحد؛ لسرّية ما سيتناقشون فيه.

- مش قادرة أنسَى المقبرة دي وإني كنت هموت هناك يا رئيس.

- ما حدث هناك لا يتوقعه أحد، فمن أين لي أن أعرف بوجود هؤلاء الجنود؟! ولكن ما يُدهشني أكثر هو معرفة سعفان للغز التماثيل والحركات المماثلة؛ فهذه أسطورة قديمة تحتاج إلى شخص يعِي تراثًا عفَا عليه الزمان، فهل يُعقل أن يكون عاد إلى رشده وعرف أنه قُصيّ؟

- ماعتقِدش، عشان بعد ما خرج من المقبرة قعد يصرخ زي المجنون ويقول مش بموت ليه، وآه صحيح، ماعرِفْتش مين أمنية دي؟

مسعد قلقًا:

- لا، فحتى الآن لا أستطيع اختراقه، ومن الصعب تخمين من تكون؛ فمن الممكن أنها فتاة في عصر سابق أو جيل مختلف.

- أنا هتجنن وأعرف مين البنت دي اللي تخليه عايز يموت كل يوم.

ثم تُكمل رنا كلامها قائلة:

- وانت ناوي تنفّذ فعلًا الخطة من غير الصندوق؟

- نعم: فالوقت داهمنا كثيرًا، اليوم سأجمع الأربعة وأعرف ماذا قاموا به قديمًا، ولقد توصلت إلى آخر فرد منهم ولن تصدق من يكون، تبقّى لي فقط الاتصال بسعفان ومقابلته اليوم قبل ذلك اللقاء؛ حتى أعرف منه ماذا حدث معه؟ وأتيقن إن كان عاد لرشده أم لا.

- انت هتقابله بنفسك؟ ده معناه إنه هيموت.

مسعد مبتسمًا:

- لا، هذه المرة استثناء، سيراني سعفان ولن أقوم بقتله: فأنا بحاجة لهذا اللقاء لكشف لغزه، ثم أنني أريد أن أتأكد بأن الصندوق ليس معه، الوقت ليس في صالحنا، والقرابين تم الانتهاء منها: فهذا القصر يوشك أن يكون مقبرة قريبًا.

- بس لو كان سعفان هو قُصيّ واتأكدنا من ده؛ فمين هو المأمون؟ أنا عقلي بيتهار مع كل الألغاز دي.

يُمسك مسعد هاتفه، ثم يقول وهو يرن على سعفان:

- شيء أخر يُثير الدهشة: وهو أن هنالك حركة غريبة في عالم الجان، يشعرون بقرب حدوث شيء قديم لا يتحدّث عنه أحد.

يتوقف مسعد عن استكمال حديثه؛ لرد سعفان الذي يقول:

- سعفان معك، هل توجد مقبرة أخرى؟

- لا، أريد أن أقابلك اليوم الساعة السابعة مساءً.

سعفان مندهشًا:

- أستقابلني بنفسك؟ هل حدث شيء يستدعي ذلك؟

- نعم، عندما أقابلك ستعرف، سيكون اللقاء عند كوبري قصر النيل، وداعًا.

يُنهي مسعد المكالمة، ثم يتوجه بنظره إلى رنا قائلًا:

- هذه الورقة فيها ما سنفعله اليوم، اقرئي ما فيها جيدًا، وخصوصًا آخر اسم في الأربعة الذين سيأتون إلى هنا في منتصف الليل، وأنا سأذهب للتحضر للقاء سعفان.

يرحل مسعد، ثم تنظر رنا إلى الورقة تقرأ الأسماء التي ستحضر، حتى تصل إلى آخر اسم: فتنهض من مقعدها غير مصدقة ما تراه، ثم تقول بصوت مرتفع:

- مستحيل!

***

يستقل الرائد حسام سيارته تجاه شقة المربوطية التي لا يعلم بها أحد غيره، وقد اشترى سلاحًا جديدًا، ينطلق إلى هناك دون أن ينتظر أحمد الذي انشغل بزواجه الجديد وحسام لن يتحمل أكثر؛ لذا بعث له رسالة يخبره بأنه ذاهب إلى هناك، وقد أعطى له العنوان.

يصل إلى الشقة التي عاش حامد وحسام بها أول أيامٍ لهما في القاهرة، وقد عرف مسبقًا أنها مؤجّرة إلى شخص لم يزُرْها يومًا، يدفع فقط الإيجار كل شهر دون أن يأتي؛ مما يزيد يقين حسام بأن هذا هو المكان المقصود.

يصل إلى المنطقة التي قديمًا عاش بها هو وصديقه، ما زال يتذكّر كل شيء: الشوارع والمياه التي على الأرض، الدكاكين وعم عبد الجابر بائع الحلوى، تغيّرَت المنطقة عن السابق، لكنه ما زال يشعر بنفس الشعور، يقترب من المنزل ثم يتوجّه إليه، وقد أخبر الحارس سابقًا بأنه ضابط مباحث وهنالك إخبارية عن وجود ممنوعات في هذه الشقة؛ لذا سيقوم بالدخول إليها دون أن يشعر أحد، وذلك بعد أن جعل الحارس يشعر بأن مساهمته في المساعدة سيحقّق بها ما حققه جنود مصر أمام خط بارليف.

يصعد حسام الدرج وهو معه نسخة احتياطية من مفتاح الشقة، يتقدّم في حذر إلى أن يقف أمامها، ثم يدخلها سريعًا.

يُشغّل الأنوار ثم يرى المنزل القديم كما هو لم يتغيّر به شيء، يبدأ في البحث سريعًا عن الرسالة التي أخفاها صديقه في جميع الأركان، حتى يرى داخل إحدى الغرف صندوقًا خشبيًا كبيرًا تتراكم عليه الأتربة. يُسرع إليه ويفتحه؛ ليرى ظرفًا أصفر اللون، يعرف حينها أن هذه هي رسالة حامد، ولكنه يندهش من سهولة الحصول عليها إلا إن كان اللغز الحقيقي في الوشم والوصول إلى هنا، يجلس على أحد المقاعد ثم يفتحه، ويُخرج الورقة التي كتبها حامد قبل وفاته ويقوم بقراءتها..

"عند قراءتكم لهذه السطور فعلى الأغلب سأكون ميتًا. فأرجو أن يصل لهذه الرسالة أحمد تلميذي النجيب، أو أنتَ يا صديقي القديم حسام. في البداية أحب أن أشكركما على ما فعلتماه معي، وأيضًا على ذكاءكم في حل لغز الوشم، في هذا المكان عشتُ أجمل أيام حياتي، ولم أكن أعلم بأنني سأصير كالدجالين، أقوم بالطلاسم وأبحث عن الأسحار، ضللتُ طريقي نعم، ولكنني عدتُ لرشدي عندما عرفتُ سعفان وجاء لمكتبي يسألني عن وشم قديم، ومنذ ذلك اليوم وتغيّرَت حياتي، فلم أتعوّد أن يعجزني شيء، ولم أتوقع أن يكون شاب في عالمنا الحاضر رأى هذا النقش سابقًا؛ لذا قمتُ بالبحث واكتشفتُ أهوالًا عظيمة، فالواقع دائمًا ليس ما نراه بل ما يرانا، فإن ظننتَ أنكَ تسبقه سبقك وإن تحوّلتَ عنه مزّقك، وهذا ما حدث بعد أن ترجمتُ النقش والكتابات القديمة؛ علمتُ بأن نظمي وإيمان ما هما إلا قطع شطرنج صغيرة داخل لعبة كبرى تمتد أصولها لعام 1627م، وتحديدًا في إحدى المقابر بمصر؛ حيث حدث في ذلك المكان أفعال تتجمد لها القلوب، ومجزرة لا يذكرها التاريخ أبدًا. لكن كل المعلومات كانت

مبهمة عن تلك الفترة وما بعدها. حتى جاء اليوم الذي رأيت فيه خبرَ صحفيّ قديم منذ ثلاثين عامًا عن مصرع ثلاثة شباب وفتاة والشرطة تعمل على كشف لغز الجريمة. ما أثار دهشتي هو الصور المرفقة للجثث. رأيتُ أنهم جميعًا يتشاركون وشمًا غريبًا لم أرَه يومًا في أي كتاب. إلا الفتاة كانت بلا نقوش. نظيفة تمامًا. وأسماؤهم: مغازي، فهد، سميع ويُمنَى.

قد يظن المرء بأن السراب بعيدٌ عن الحقيقة، لكن الواقع هو أن السراب مرآة الحقيقة.

فمن خلال هذه الحادثة ومعرفتي بأن المباحث أغلقَت التحقيقات بها لعدم وجود أي دليل على متهم واحد، وبعد البحث والاستعانة بقوى ما وراء الطبيعة علمتُ أمورًا تكشف لي كل شيء، وحقيقة سعفان وأنه ليس مثلنا، بل إنه حتى لا يتذكّر من يكون. هذا الجواب هو مقدمة الحقيقة. أما الثاني فهو ليس هنا. بل داخلكم. وسأكشف عنه عما قريب. وتذكروا أصدقائي أن الجان دائمًا ما يكونون خلفكم"

يقرأ حسام آخر كلمة فينتفض من مكانه وهو ينظر خلفه. لكنه يهدأ بعد أن تخلص من ثقل هذه الكلمات بجسده، وأخذ يفكر فيما قرأ: لا يفهم ما السر وراء كل ما كُتِب، وأثناء ذلك يسمع صوت الباب يفُتح بالخارج؛ فيظن أنه أحمد، يخرج له مسرعًا. لكنه وللمرة الثالثة يرى عصا تصدمه؛ فيُغشَى عليه في الحال.

***

يصل سعفان إلى كوبري قصر النيل ينتظر مسعد كما قال له. يطولُ ذلك حتى يجد رجلًا ما زال الشباب يطغَى عليه. يرتدي سترة سوداء قيمة يتقدّم منه حتى يصبح أمامه تمامًا.

يقف الاثنان ينظران لبعضهما البعض دقائق لا يتكلم أحد، وإنما يتفحص كلٌّ منهما جسد الآخر. يترقب سعفان جسد ذلك الرئيس الذي يهابه الجميع. والآخر يترقب هل من يقف أمامه بشر حقًا أم لا. لحظات تمر كأنها شهور. وكأن الزمن توقف بهما؛ ليقطع مسعد هذا الصمت قائلًا:

- وأخيرًا تقابلنا يا سعفان.
- نعم.. أخيرًا؛ فأنا أعرف أنك لا تتقابل مع أحد.

مسعد مبتسمًا:

- من يرى وجهي ويعرف أنني الرئيس فقد حكم على نفسه بالموت. لكن أنت هو الاستثناء الوحيد لتلك القاعدة؛ فاليوم لن أكون هذا الرئيس وإنما صديق مؤقت لك، سنتحدث قليلًا، ثم لن ترى وجهي مرة أخرى؛ فإن حدث ورأيته فاعلم أنها ستكون نهايتك.

في صوت ثابت:

- ولماذا لا تجعل نهايتي تلك اليوم؛ فأنا على أتم الاستعداد لذلك.

يقول مسعد وهو يسير للأمام:

- جيد أنك قلتَ هذه الجملة؛ فأنا ومنذ ما قُلته لي عن العمل الذي سيجلب الموت وأنا في حيرة من أمري لمَ كل هذا الظلام؟ شاب مثلك ما الذي يدفعه للوقوع في يأس الموت هكذا؟

- وهل سيفيد إن أخبرتك؟ ما حدث لا يمكن وصفه. وأنا لا أريد تذكره حتى لا تخرج تلك الأصوات مرة أخرى.

ينظر مسعد لسعفان قائلًا:

- وهل تعتقد بأن ذلك هو الحل؟ أولًا يجب أن تعلم أنني قبل أن أصلَ لتلك الحال كنت متدبرًا لأمور الدين وأعي من الأحكام والفقه ما

لا تتوقعه، ثانيًا ستتراكم الأصوات داخلك وعندها لن تستطيع الرجوع. لقد قلتُ لك اعتبر أنني صديقك اليوم الذي لن تراه مرة أخرى. ولتكن هذه لعبتنا الصغيرة: تخبرني أنت بسرك الكبير وأخبرك أنا بالسر الخاص بي.

يفكر سعفان قليلًا، ثم يقول:

- حسنًا، سأخبرك كل ما حدث لي.

وبعد ذلك يتحدث سعفان عن الذي مرّ به من صعاب: حبيبته الضائعة، أحلامه التي لا تنتهي، الرؤَى التي ذهبت، محاولات الانتحار البائسة، وأخيرًا الإلحاد الذي كاد أن يصيبه.

يستمر حديث سعفان لساعات ومسعد يسمع كل هذا وهو لا يصدق أن هذه الأشياء من الممكن أن تحدث لشخص واحد متجمّعة وما زال صامدًا إلى الآن، وأثناء ذلك ولأول مرة منذ سنوات ينبض قلبه كأنه يتذكّر شخصًا قديمًا قام بدفنه داخله.

ينتهي سعفان وقد صار جسده ثقيلًا عليه لتذكره كل هذه الأشياء وإخراجها مجددًا، صار وجهه شاحبًا وبدأت الأصوات في الرجوع مرة أخرى، ليجد مسعد يقول له:

- لقد سمعتُكَ يا سعفان، شعرتُ بكل كلمة تقولها، وصدقًا يا فتى لم أرَ في حياتي من هو أكثر منك بؤسًا. لكني سأخبرك أشياء قد تفيدك حتى لا تشعر أن حديثك لي لم يُفِد. في بادئ الأمر هل ترى يا سعفان ذلك الكون الكبير: هذه السماء التي بالأعلى وفوقها ست أخريات؟ والأرض التي أسفلنا وتحتها ست أيضًا؟ الكواكب والنجوم؟ كل هذا هل تعتقد أنه خُلِقَ هباءً؟ إنَّ الله هنا يجعل البشر في حيرة من أمرهم، وهذا هو اختباره لنا: فإن فكّرتَ بعقلك ستقول كيف تقوم قوَى واحدة بفعل كل ذلك وخلق هذا الكون العملاق؟! وكيف يوجد

بعث بعد الموت؟! جنة ونار بجسد خالد لا يفنَى! عقلك لن يستوعب هذا الحدث وسيجبرك دائمًا على أن تصل لنقطة أخيرة، وهيَ أن الأشياء اللامنطقية لا سبيل لها للحدوث، وبالتالي لا يوجد أصلًا مثل هذه القوى وستسلك درب الملحدين في نظرية الانفجار الكوني والصدف وما خلافه من أمور تُقنع العقل، لكن هل هذا صحيح؟ اختبار الله لنا يا سعفان هو اليقين، القلب السليم؛ فالقلب يا صديقي المؤقت وإن كان سبب تدمير رئيسي لنا لكنه أيضًا هو سبب نجاتنا والاستمرار في اليقين بالخالق الواحد الجبَّار، هل تعي لماذا كَثُر الملحدون تلك الأيام؟ لأن العقل سيطر على كل شيء متناسِين طبيعتنا وفطرتنا، انظر لهؤلاء الذين يتجمّعون أمام شاشات التلفاز، والآخرين الذين يقضون الساعات على الإنترنت، والذين أيضًا يسمعون الأغاني ويخلقون من كلماتها عالمًا مختلفًا عمّا نعيش به؛ فإن فاجئهم الواقع بأحكامه قام عقلهم بتدميرهم وهو يُقنعهم بأن الحل في الاستمرار بما يفعلون، وأن الظلم حلّه الانتحار والقلب يجب أن يموت، هذه نظرية عامة عما يحدث حولنا وما يجهله الكثيرون، لكن أنت حالة مختلفة؛ فأنت فقدتَ قلبك بسبب حبك لهذه الفتاة وعقلك بسبب ما حل بك، والأكثر من كل هذا أن الله أراك لسبب ما أجهله أشياءً وهو يعلم أنك ستصدقها وتقتنع بأن هذه الفتاة سترجع إليك، ثم صدمك بواقع ليرى هل ستُكمل تقرّبك منه أم أنك فقط معه من أجلها: فإن ذهبَت رجعتَ كما كنت، الله يا سعفان ليس كالبشر، لا يُعامَل معاملة القيمة والطلب، وهذا ما لا يدركه الكثيرون أيضًا ويستغلّه السحرة الذين سأقضي عليهم قريبًا، تُسحَر الفتاة أو الرجل فيذهبون للشيوخ أولًا؛ فلا يحقّقون نتيجة معهم، وذلك لأن الجميع يعتقد أنه إن قرأتَ القرآن فسيرحل الجان فورًا وستُحَل مصائبك، وعندما تشتد الصعاب بهم يفقدون إيمانهم ويذهبون للسحرة الذين وبدورهم يقومون بمعالجتهم، وهنا المصيبة؛ يتحوّل البشر من التوكل على

خالقهم للتوكل على الجان ومسخريهم وهم لا يعرفون بأنهم يجلِبُون لهم حلًّا سريعًا ومأساة لاحقًا، حتى يتحولون إلى كلاب تلهث وراءهم، وحتى وإن أقاموا شعائر الدين سيكون ذلك بشكل ظاهري مفتقدٍ لليقين الذي يضمحلّ مع الزمن، الكثير من ذوينا يعانون من السحر والسلطات لا تقدر أن تعترف بوجوده بالطبع، على الرغم من أنه من الممكن أن يُصاب أحدهم به، لكن ما هو السحر؟ وما هي الأحلام؟! السحر يا سعفان ينقسم لأجزاء؛ فهنالك جان يجعلونك تمرض وتشعر بألمِ جسد غير مفهوم، أو من يجعلوك تحلم أحلامًا مزعجة إلى أن تفقد عقلك، أو من يَسدون كل الطرق أمامك للمضيّ في عملك أو حتى الزواج، أنواع السحر كثيرة ومنفذوها غالبًا ما يكونون المرَدَة، وفي هذا الزمن اشتدّ استخدامه معلنًا قرب اليوم المشهود، لكن صبرًا؛ فأنا على مقربة من إنهاء كل هذا، أما الأحلام فأنت تتعرّض لثلاث، هناك آية في القرآن تقول: "الله يتوفى الأنفس حين موتها": فعند نومك تصعد روحك وتنفصل عن جسدك الذي يكون بحكم الميت ويكون مصيرها ثلاث: الأول أن يُمسِك بها مَلكٌ من الله وهنا تكون رؤيا، الثاني أن يُمسِك بها جان وهنا يكون السحر، ومثال على ذلك أحلامك المتكررة، وأيضًا قد يؤذي الجان الروح إن كان السحر قويًا، وترى أنت ذلك في أحلامك، ثم عندما تعود الروح المهترئَة للجسد مرة أخرى تظهر عليه آثار ما حدث بها، وهذا تفسير رؤيتك لآثار أسنان القط أو آلام المعدة، وأخيرًا أن لا يحدث بها شيء أو تهيم في الأفق تجعلكَ تحلم بما يفكر فيه عقلك الباطن: كحلمك بالنهر إن كنتَ عطشانَ مثلًا، آخر معلومة لك مني عن الجان أنهم لا يستطيعون مزاحمة الروح داخل الجسد: فليس هنالك ما يُدعَى لَبْس، فيما عدا عشيرة واحدة لم يتبقّ منها إلا جان واحد فقط، أما الجميع يمسُّون الروح؛ لذلك قد يكون الساحر قويًا جسديًا بشكل لا يصدق، وتلك القوة اكتسبها إذا جعل الجانّ يمس روحه بكيفية معينة: فهم يستطيعون رؤية أرواحنا

ويعرفون ما بها من قوة: فهيَ بالرغم من كل ذلك قطعة من الله وضعها بنا، وعلى الأغلب هيَ اللغز وراء معرفة الله بما نفكر به؛ فصدق الله عندما قال أننا خليفته على تلك الأرض.

كل هذا الكلام يعاني منه الجميع، وكم من بيوت تحطّمَت بسبب هذه الأشياء، هنالك مقولة شهيرة قالها أحد الحكماء: الجانّ دائمًا ما يكونون خلفك.

فكل فرد هنا معرض لأن يُصاب، ولكن هل قراءتك للقرآن وقربُك لله تعني النجاة؟ نعم سيحدث ذلك، ولكن هل سيحدث سريعًا؟ لا؛ فأنت قمتَ بالتقرب من الله فماذا حدثَ؟ قرأتَ القرآن وزادَت صلاتك ولم تجد إلا العذاب، وهنا حكمة الله: فالابتلاء لا يمرّ هكذا، إنما يتعرض فيه الإنس لمراحل عديدة وقد تسوء مع الوقت؛ فمن يصبر ويُكمل ينجو، ومن يَيْأَس من روح الله فقد ظَلَمَ نفسه، آخر القول لا شيوخ تعالج، وإنما تدلّ على الطريق فقط، ولا سحرة تعالج، إنما تأذي الناس فقط كما حدث معك وتم أذيتك من هذه الفتاة، وهي لا تعلم أنها في الطريق الخاطئ؛ فدربُ هذا المسلك يغوي النفوس والعقل فيه كالميت. إنما يُعالِج الفرد نفسه حتى ينجو.

يسمع سعفان كل هذا وهو لا يصدق أن تلك العبارات تخرج من مسعد الرئيس الذي يتحكّم بعشائر عديدة من الجان، فهل هو بالفعل على ذلك القدر من الإيمان والمعرفة؟! ولكن لماذا وصل لهذا المكان ويفعل كل هذا؟! كل هذه الأسئلة تدور بداخل عقل سعفان الذي اكتفَى بما سمعه واطمأنّ قلبه؛ فكلام صديقه المؤقت لَمَسَ كل جانب من جسده وجعله يشعر بمدى عظمة الله، وأن الله لا يختبر إلا عباده الذين يحبهم والابتلاء شيم الأنبياء، ثم يسأله سريعًا:

- ولكن بماذا تفسر هذه الأصوات التي تطاردني؟ وأنني خلال تلك الفترة كنتُ كلما هممتُ للصلاة أشعر بأن الأصوات تخرج مني وتنهاني عنها؟ أو قد تتعدى ذلك بأشياء لا أستطيع إخبارك بها من شدتها.

يقف مسعد وهو ينظر للسماء قائلًا:

- تصل بكَ إلى مرحلة أنّكَ تسبَ الله نفسه وتظن أنه أنت.

يُصعَق سعفان لجرأة مسعد على قول ذلك وكيفية معرفته. ولكن كلامه صحيح؛ فينظر إلى الأرض خجلًا. وبصوت خائف يقول:

- أيام عديدة وذلك يحدث في وقت الصلاة او قراءة القرآن لم أستطع إخبار أحد. وكنت أقول دائمًا بأنني هالك لا محالة: فكيف لعبدٍ ذليل مثلي أن تخرج من داخلِه هذه الأصوات ولا يستطيع منعها متعدّية على حرمة الله؟!

ينظر مسعد لسعفان قائلًا:

- وهل تظن أن السحر متمثّل في الساحر والجان فقط؟ عندما يُسحَر الشخص فإنه يتعرض لثلاثة أشياء: قرينه الكافر، والجان، وأخيرًا نفسه الأمّارة بالسوء؛ لذلك قال الله في كتابه: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها". وقد نزلّت هذه الآية نسخ لآية أخرى ذكر الله فيها أنه سيحاسبنا على ما نفعله ونقوله وما يدور بداخل أنفسنا. وشقّ ذلك حتى على الصحابة. ولكن من رحمة الله ومعرفته لنا قال هذه الآية ليطمئنَ العباد بأنه سيحاسبنا بما نفعله وليس بما في داخل النفس الأمّارة بالسوء. وهذا ما حدث قديمًا أيضًا أن أحد الصحابة جاء للرسول (صلى الله عليه وسلم) يذكر أنه يسمع سبّ لله في قلبه، وأنه أحب إليه أن يكون حممًا على أن يتلفظ به. فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لهم أن ذلك صريح الإيمان؛ لأنهم أنكروا ما تريد أن تفعل بهم هذه الأصوات. لكن في هذا الزمن يتعرّض المسحور لتلك الأمور ويخاف أن يذهب للشيخ الذي في المسجد المجاور له من أجل إخباره بما يحدث معه؛ حتى لا يعنّفه وهو لا يعلم بأن ذلك من الممكن أن يحدث. وأن نفسك الحقيقية هيَ التي تستنكر تلك الأصوات القادمة

من الجان أو الشياطين الذين يجرُون من جسد البشر كمجرى الدم، كما ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وما حدث معك، يقنعوك بأنه أنتَ وأنك ذاهب إلى الجحيم ولا فائدة مما تفعله، وأنك تكره الله والصلاة، لكن في حقيقة الأمر هم يحاولون إبعاد فعلِك التقيّ ومحاولتك للتقرب من الله خشية أن تنتصر عليهم، طريق الله يا سعفان طويل ووعر، لكن نهايته خير، وهذا ما سيحدث معك؛ فأنا حتى لا أفهم سبب ابتلائِكَ هذا، ولماذا حلمت برؤياك تلك عنها؟! لكني أثق بأنك ستجد الخير.

معلومات قيمة يتعرف عليها سعفان وكأنه يسمع الدين لأول مرة، ويشعر داخله بحب دفين لله ونبض قلبه الذي يريد أن يكون سليمًا.

يمر الوقت والصديقان قاربا على الافتراق، ثم يسأل سعفان مسعد قائلًا:

- ولكن لَم تخبرني ما الذي تريد أن تفعله؟ وما السر وراء كل هذه المقابر التي نذهب إليها؟ وكيف لشخص يعي الدين مثلك أن يتعامل مع الجان بهذه الطريقة؟!

- لأنني وصلتُ إلى نقطة لا يمكنني الرجوع منها وانتهى كل شيء، ليس اليوم سأخبرك، لكن تأكد بأنني سأخلّص هذا العالم منهم، أريدكَ فقط أن تُخرج فكرة الموت من رأسك، لكن بعيدًا عن الدين أندَهِش كيف ما زلتَ متأثرًا بهذه الفتاة التي هجرتك بتلك الطريقة؟!

يصمت سعفان دون أن يتحدث، ويكتفي فقط بالنظر للأعلى، ليسمع صوت مسعد قائلًا في عجلة:

- لحظة لحظة إلا إذا كنت.. لا أصدق، هل ما زلتَ تحب أمنية يا سعفان؟

تنزل هذه الكلمات على سعفان كالصاعقة تهدِم في لحظات كل ما بناه في شهور؛ ليفقد أعصابه وهو يقول بصوت مرتفع بعد أن كُشِفَ أمام نفسه:

- لا أحبها بل أمقتها. ويكفي حديثًا عنها. معلوماتك كانت قيمة. لكن لا تدخل في هذه النقطة.

يكرر مسعد جملته قائلًا:

- أنت كاذب، الآن عرفتُ أنتَ تشعر بالذنب لأنكَ تركتها تذهب دون أن تقوم بشيء، تحترق نفسك لأنك تركتَ السحر يفعل بك هذا وقد أقسمتَ لها كل يوم بأنك ستكون حمايتها. وما زال عقلكَ لا ينسَى رؤياك بحديث الرسول وتخشَى أن تكون ذلك المنافق، ما زلتَ تريد فرصة أخرى، تعيش على ذلك الأمل لتصحح أخطاء الماضي، وما زلتَ تؤمن بأن رؤياك ستتحقق.

ومع ذكر مسعد المتكرر لتلك النقاط التي أصاب بها هدفه ينفجر سعفان الذي تذكر كل شيء منذ البداية، فيقول غاضبًا:

- مهما سمعتَ مني فلن تشعر بما في داخلي. هذه الفتاة لم تكن كالأخريات، هل تعلم ما هو شعورك عندما تظن أن الله اختار لك من تحبه وتظل معه؟ هل تعلم ما شعورك عندما تكره من أحببتَ بصدق بسبب كائنات لا تراها ولا علم لك بها؟ ثم تعود لتجدها تقولُ لك ارحل. هل تعلم ما عانيتُ؟ ففجأة أرى جانًّا وأريد أن أنتحر، ثم الحديث معها وأنا مذلول أريد أن ترجع فتقول لي وداعًا، ما زلتُ أتذكر كلماتها ونَفْسِي التي لا تستطيع تقبّل أن هذه هي أمنية. هل تعلم أنني كل يوم أقرأ هذا الحديث القاتل لي معها، ولم أمسحه من على الهاتف، كل يوم قبل أن أنام؛ لكي أزيد كرهها في قلبي، وتأتي أنت الآن تقول لي ذلك لتهدم ما أقوم به كل ليلة. هذا الاسم جعلني أريد أن

أنتحر، جعلتني قريبًا من الإلحاد، دمّرَت كل شيء ومضَت هي في طريقها، نعم؛ فأنت لا تعلم شعور أن ترى والدتك تبكي على حالك الذي يتدهور وأنت عاجز حتى عن أن تقول لها أنا بخير. لكن سعفان الأحمق، ومع كل هذا، نعم ما زال يحبها، لن أتزوج غيرها، ولكني لا أريدها، سأعيش هكذا أريد أن أموت؛ فتبًا لك، انتهت تلك المقابلة، من الآن ستعود الرئيس وسأرجع سعفان الذي يذهب إلى المقابر كل يوم من أجل الموت: لكي أهرب من ذكرياتها التي لا تُفارقني، سأتقرّب من الله وأعيش على ذكرى لن تموت داخلي.

يقول سعفان هذا الكلام وقد بدأت الدموع في التّراحم على عينيه أيهم يسقط أولًا: فمنذ شهور لم يبكِ، ثم يترك مسعد الذي يقف مصدومًا من انفجار الفتى بهذا الشكل ويدقّ قلبه بشدة متذكرًا مُنَى حبيبته التي تواعد معها على الزواج حتى ذلك الحادث الأليم، وأنه تزوج بالعديد من النساء في العراق؛ حتى ينساها، ولكن كلام سعفان هذا ذكَّره بكل شيء، وبعد سنين عديدة تدمَعُ عين مسعد وهو ينظر إلى النيل كأنما رجع إلى الميعاد الأول الذي قابل مُنَى فيه وسار معها ممسكًا يديها، ومرة واحدة يصرخ بأعلى صوته:

- سحقًا لك يا سعفاااااان.

***

ينطلق سعفان بعد مقابلته لمسعد وهو يمسح دموعه التي ما زالت تنهمر ناحية المقابر التي دُفنَت بها رضوى؛ فهو ما زال يتذكّر الرسالة التي أُرسلَت إليه، الجو مظلم وساكن لا يوجد أحد في الجوار، وسعفان يتقدم بخطوات متثاقلة ناحية قبرها، إلى أن يقف أمامه وهو يتلفّت حوله دون أن يجد أحدًا، يقول وهو ينظر للأسفل:

- رضوى، هل ما زلتِ على قيد الحياة أم أن هذه مجرد هلوسة أخرى مما يحدث معي؟! كنتُ السبب في ضياعك، وها أنا الآن أدفع ثمن كل شيء، لا أريد هذه الحياة، والله حتى الآن لم يأذن بموتي؛ فأرجوكِ أريدكِ أن تعودي، أريد أن أقول لكِ كل ما مررتُ به، ما زلتُ أتذكر بنطالي المرتفع للأعلى وكيف أنكِ كنتِ الوحيدة التي تدافعين عني وتحميني من تنمر الجميع، سعفان الآن تغيّر تمامًا؛ صار جسدًا بلا روح ومُعرّض لأي شيء؛ فالجميع يقومون بأذيتي: البشر والجان، حتى أحلامي ونَفْسي ضدي؛ فهل لكِ من عودة؟

أثناء حديث سعفان أمام قبر رضوى يسمع خطوات تأتي من خلفه؛ فينبض قلبه بشدة وهو يعتقد أن الرسالة صحيحة ورضوى بالفعل عادت، يقف متصنّمًا مكانه يخشى أن ينظر إليها: فهل بالفعل من اعتقَدَ موتها سنوات رجعَت الآن، ثم يلف جسده ببطء وهو يرفع عينَيه تجاهها: فيُصعق برؤية سكين فضيّ اللون يخترق أحشائه بسرعة ويستقر داخل جسده وهو ينظر للأمام، وقد سالت الدماء منه بغزارة؛ ليرى سيدة عجوز تضحك قائلة:

- الآن انتقمت انتصار منك.

ثم تجري بسرعة، وسانوخ يشاهد كل هذا غير مصدق أنَّ ما لم يقدر عليه الجان قدرَت عليه امرأة عجوز مثل انتصار؛ ليختفي وقد حقق ما يريد بدهائه.

يقع سعفان على الأرض وهو ينظر للسماء مبتسمًا يقول:

- هل أنتِ أيضًا يا انتصار تريدين موتي؟! يبدو أنني لعنة على الجميع هنا وحان موعد لقائي بكَ يا الله أخيرًا.

ثم يتذكر سعفان رضوى؛ هل كل ذلك خدعة وقد ماتت بالفعل؟! ثم وهو على حافة الموت يرى وجه أمنية القديم والمحبب له مجددًا قائلًا:

- حتى وجهكِ لا يريد أن يفارقني قبل أن أموت، ستظلّين الشخص الوحيد الذي أحببت، ولكن قدرَ الله فوق كل شيء، أرجو أن تعيشي بقية حياتك بسعادة وتنجبين طفلًا لا يرى ظُلْمًا أبدًا.

يستسلم سعفان للموت وتخور قواه، لكنه يسمع صوت أقدام قادم نحوه بسرعة، وقبل أن يُغلق عينَيه يرى شخصًا يجعله يفقد عقله الذي قارب على الوقوف تمامًا، إنه يرى دكتور حامد وهو يمسكه قائلًا:

- لاااا مستحـيل! سعفان اوعَى تموت، أنا جاي النهاردَه أقولّك حقيقتك إيه؟ وانت تبقى مين؟ اوعَى تموت يا سعفاااان.

ليُغلق سعفان عينَيه ويسكن جسده تمامًا، وتتحقق أمنيته بعد أن ذاق مِن هذه الحياة الويلات وهو لا يعلم لماذا؟!

***

يجلس عم شوقي في إحدى الفنادق ضاحكًا لتكرار الأمر مع الرائد حسام الذي لا يتعلّم أبدًا، يسمع ما يحدث معه عن طريق الجان الذي جعلَهُ يقوم بتعقبه، وهو يراه الآن مقيّدًا أمام لُبْنَى التي تتحدّث أمامه، وأثناء ذلك يقاطعه الجان الذي يتولّى مهمة فحص جسد دكتور حامد قائلًا:

- لقد حَلَلْنا لغز الوشم يا سيدي.

لا يصدق شوقي ما يسمع، ثم يقول مسرعًا:

- لا داعِ لذلك: فالوشم كان خريطة للوصول إلى الجواب الذي تركه هذا الدكتور لهؤلاء الحمقى.

في صوت ثابت:

- لا هذه ليست الحقيقة، إنما هذا الدكتور قام بخداعنا جميعًا.

ينتفض شوقي ويقول مسرعًا:

- ماذا تقصد؟

- دكتور حامد حي يُرزق، وهذا الجسد هو لجان تحوّلَ لجسده، أما عن الوشم فهو معدّل عن الوشم الذي استخدمتموه أنتم قديمًا، هل تذكره؟

يتصنّم جسد شوقي وهو يعود بذاكرته إلى الماضي قائلًا:

- لا أصدق! هل عَلِم هذا الطبيب من نكون؟ وأن هذه الرسالة كانت خدعَتَه؛ لكي يصل إلينا؟

صوت آخر خفيّ يقاطع ذلك الحديث قائلًا:

- الرئيس يريدك الليلة في القصر بعد ساعة. لا أعذار. ومن يتغيّب سيحكم على نفسه بالموت.

ثم يختفي على الفور.

ما زال شوقي متأثرًا بصدمة الدكتور حامد، عقله غير قادر على تصديق ما يحدث، لكنه ينزل سريعًا من بيته لكي يذهب إلى القصر في الميعاد المحدد وهو لا يعلم ما السر وراء دعوته للقصر بهذه السرعة.

يجلس الشيخ عبد الجليل في منزله يتحدّث مع الجان ضاحكًا، وهو يقول:

- لقد جُنّ جنون سعفان تمامًا، ألم أقُلْ لكم أنني أمتلك الخطة المناسبة لقتله؟ فبعدما أخبرتُ أمنية بأنه السبب في كل ما يحدث لها وقصة جسده المفتوح ذاك سارَت الأمور كما خططتُ لها، قريبًا سيموت سعفان ولن يتحمّل كل ذلك الضغط، فكما يقولون: لا يَقتُل الرجل إلا امرأة أحبّها بصدق.

قضيتُ ليالي عديدة أخطط لهذا اليوم، وتأثيري القويّ على أمنية ساعدني في إنجاح خطتي؛ فهي بالتأكيد ستصدّق شيخها التقيّ ولن تأمن فتى تعرّفَت عليه منذ شهور.

- أنت بالفعل أذكَى مَن قابلتُ يا سيدي، خطوات قليلة وننتهي من سعفان، ثم نتحول لهذه الفتاة لنفعل بها ما نريد وتحصل على انتقامك.

يضحك الشيخ عبد الجليل بصوت صاخب، ثم يسمع صوتًا يقول له:

- الرئيس يريدك الليلة في القصر بعد ساعة، لا أعذار، ومن يتغيّب سيحكم على نفسه بالموت.

ليختفي الصوت مجددًا.

لا يفهم الشيخ لماذا هذه السرعة؟! وما هو الأمر الذي طرأ يستدعي وجوده؟! يتعجب مفكرًا، ثم يرتدي ملابسه ويتوجه ناحية القصر مسرعًا.

***

يعود مسعد للقصر بعد أن رجع لقوته المعهودة، وتخلص من حديث سعفان الذي لمس قلبه، لينفذ الخطة التي أعدَّ لها جيدًا، وقد تبقى له شخص واحد فقط يُرسِل له أحد جنوده؛ لكي يخبره بالمجيء إلى قصر شمهروش.

داخل القصر الآن يجلس مسعد.. رنا.. الرجل الضخم، والعجوز على الكرسي المتحرك في انتظار مجيء البقية.

- هل أنتم جاهزون لذلك التجمع الكبير؟

رنا قلقة:

- أكيد. بس لسَه مش مصدَقَة آخر اسم في الورقة. طيب ازّاي؟! عقلي فعلًا مش مستوعب كل ده.

يرد مسعد مبتسمًا:

- ألم أقل لكِ لا تأمني الواقع، وما مررنا به في العراق سابقًا مختلفٌ عما يحدث هنا.

- فعلًا. كل يوم بتأكد إننا لازم ننفذ الخطة وإن ده اللي اتولَدْنا عشانه، البشر عباقرة بكل المقاييس.

ينظر مسعد للرجل العجوز الجالس على الكرسي قائلًا:

- الآن ستأتي صحبتك القديمة لك، وأخيرًا بعد كل هذه السنين ستجتمعُون مجددًا.

صوت دقات جرس باب القصر يسمعه الجميع، ليشير مسعد إلى الرجل الضخم بفتح الباب، الذي وعلى الفور يقوم بفتحه سريعًا، يصل عم شوقي فيجد ذلك الجمع قائلًا:

- ماذا حدث يا رئيس؟ لمَ تلك العجلة؛ فأنا عندي أخبار مهمة لك.

يرد مسعد مبتسمًا:

- لا ليس الآن، لا أريد سماع شيء، أريدك فقط أن تنظر لذلك الوجه المليء بالتجاعيد.

يصمت شوقي، الذي وقبل أن يتقدم لرؤية العجوز الذي ينظر له ويحاول أن يتحدث، لكنه لا يستطيع للشَلَلِ الذي يقيد جسده، يسمع الجميع صوت دقات جرس أخرى؛ فيذهب الرجل الضخم مجددًا ليفتح الباب، ويدخل الشيخ عبد الجليل الذي يصل ودقات قلبه تنبض سريعًا نتيجة لسرعته في القدوم.

يدخل الرجل صاحب الجلباب قائلًا:

- لماذا قمتَ باستدعائي يا رئيس؛ فأنا لم أنتهِ بعد..

وقبل أن يُكمل يرى شوقي أمامه؛ لينتفض الاثنان غير مصدقَين أنهما يريان بعضهما البعض داخل هذا المكان، ومرة واحدة يسمعون صوت مسعد، الذي ينهض من مكانه قائلًا بصوت مرتفع:

- أحب أن أعرفكم اليوم على الثلاثة الذين غيّروا مجرى الزمن وفعلوا ما لم يقُم به أقوى السحرة، عم شوقي القهوجي، الشيخ عبد الجليل التقي، وأخيرًا العجوز المشلول، لكن نحن الآن في مكان يختلف عن باقي بقاع الأرض؛ نحن الآن في قصر شمهروش، أحد الملوك الأربعة الأوائل على الأرض، وقائد الحرب العظمى، وشيء آخر ليس مسموحًا لي قوله الآن، وفي هذا القصر الحقيقة فقط ما تظهر؛ لذا سأعيد تعريفكم لكل من يوجد هنا، هؤلاء الثلاثة هم: سميع، فهد ومغازي على الترتيب، أبطال موقعة البيت المهجور، والجثث التي وجدَتها الشرطة قبل ثلاثين عامًا من الآن، وبالطبع ليست جثثهم؛ فهم أحياء يرزقون.

- انت بتقول إيه يا مسعد؟ يعني كل ده هما شغالين معانا وأنا معرفش هما مين؟! وحتى أساميهم كمان غلط؟!

رنا متعجبة.

لا يصدق الثلاثة أن الرئيس يعرف حقيقتهم، وأن كل واحدٍ منهم يعمل معه ولا يدري وجود الآخر؛ فيقول الشيخ عبد الجليل:

- لا أعرف كيف علمت هذا الحدث؟ لكن ينقصك شيء هام: فنحن لم نكن ثلاثة فقط.

مسعد ضاحكًا:

- لا تقلق، فقد بحثت وراءكم جيدًا، وعلمت من هو الشخص الرابع: إنها يُمْنَى.. الفتاة التي خدعتكم جميعًا، وبسببها أصابتكم العِلَل؛ فمغازي صار مشلولًا، وشوقي صار مصابًا بانعدام حاسة التذوق والشم، وأخيرًا أنت يا عبد الجليل صرْتَ لا تستطيع أن تجلب طفلًا يحمل اسمك، أليس ذلك صحيحًا؟

بصوت غاضب يقول شوقي:

- وكيف علمت كل هذا؟ لم أعتقد بأن عرضَكَ لي بالعمل معك كان مُرتَّبًا له بتلك الطريقة، من تكون؟

مسعد وهو يرجع للخلف ناحية النافذة يقول:

- أنا الرئيس، وكان يجب أن أعلم؛ فأنتم الأكثر شهرة في الحاضر، فمن يغفل عن الأربعة الذين قاموا بتأدية مشماد عمره أربعمائة سنة.

وفي صوت واحد يقول عبد الجليل وشوقي:

- ماذا تريد منا؟

مسعد وهو ينظر للنافذة يقول:

- قبل كل شيء أشيد بكَ يا شوقي؛ لأنكَ استطعتَ إقناع سعفان بأنه وراء مقتل أصدقائه بسبب ذلك الطلسم الذي قاله، والذي في الأصل هو طلسم زائف لا جدوى منه، وإنما أنت من فعلت كل شيء وأحضرتَ له ذلك الكائن لتجعله يرى مقتل أصدقائه وحبيبته رضوى أمام عينه مصدقًا بأنه السبب في كل هذا، ولم تكتفِ بذلك، بل قمتَ بتخصيص جان ليقلّد صوتها؛ ليستمر تحوّل حياته إلى جحيم، وأنت يا عبد الجليل عبقريّ بالفعل، متقن ما تفعل؛ فبسببك الآن سعفان يريد أن يموت كل يوم لأجل حبيبته التي قمتَ بتزييف الواقع لها حتى

انتهى كل شيء، لقد أبدع كلٌّ منكما في القضاء على ذلك الفتى بسبب الانتقام.

ثم يلحظ مسعد حركة بالخارج، ليكمل قائلًا:

- والآن وكما خططتُ لقد اكتمل الرباعي، جاءت يُمْنَى إلى هنا.

لا يصدق الثلاثة ما يسمعون، وخصوصًا مغازي الذي يجلس على كرسيه متحفزًا لرؤيتها، تدق السيدة الجرس، ويذهب الرجل الضخم لآخر مرة من أجل فتح الباب، حتى تدخل يمنى، سيدة تسير بخطوات ثابتة، بمجرد أن يراها مغازي حتى يصيح يحاول أن يقف على الأرض من شدة الغضب؛ ليقع على الفور من على كرسيه، تتقدم يُمْنَى وهي ترى ذلك المشهد غير مصدقة أنها ترى من اعتقدَتْ أنهم موتى؛ لتتسمّر مكانها على الفور.

بصوت قوي يقول مسعد:

- لنرحب جميعًا بالسيدة يُمنى، أم يجب أن أقول لنرحب جميعًا بوالدة سعفان؟

***

خطوات ثابتة منتظمة تسير على الطريق، تتوغل في الأزقة حتى تصل إلى منزل سعفان، ينظر صاحب الخطوات إلى الأعلى؛ فيرى ظلامًا يدل على عدم وجود أحد، يدخل بهدوء دون أن يُشْعَر به، ويصعد الدرج بخفة وسكون، يصل إلى باب الشقة، ثم يستخدم أداةً حادة لفتحه، لحظات ويخترق ذلك المانع وما زال يحتفظ بهدوء خطواته، يذهب إلى أحد الغرف؛ فيجد أختَ سعفان الصغيرة نائمة؛ ليبتسم ويتركها في ثباتها دون أن يزعجها، ثم يتجه ناحية غرفة سعفان، لا يقوم بإضاءة الأنوار، بل يفتح النافذة، وعلى إثر شعاع الضوء الصغير يقوم بالبحث في أنحاء الغرفة بشكل دقيق دون أن يجد ما يريد،

يجلس على الفراش يفكّر قليلًا، ثم يتذكر شيئًا هامًا يضحك على إثره؛ لينهض ذاهبًا إلى منتصف الغرفة، ويقوم بالطَّرْق على الأرض بيده حتى يسمع صوتًا مغايرًا، ينزع قطعة من البلاط ببطء حتى لا يُحدِث أي صوت؛ ليجد تجمّعًا صغيرًا من الرمال الذي يبدأ في إزاحته بيده مسرعًا، حتى يرى صندوقًا ذهبيًّا صغيرًا يأخذه وينهض ليسير ناحية النافذة، ينظر لأسفل قائلًا:

- سنين طويلة وأنا أنتظر ذلك اليوم، لم يصدق أحد من عائلتي أنني أستطيع فعلها بمفردي، كنت أنظر لتلك الصورة التي يوجد بها سعفان وهو صغير كل يوم، ويزداد التحدي داخلي، الآن حصل المأمون الحقيقي على الصندوق الذي كان يقف حائلًا لتنفيذ ما نريد.

وأثناء حديث صاحب الصوت يرن هاتفه؛ فيُجيب مسرعًا:

- جدّي قُصيّ، لقد حصلتُ على ما تريد.. حصلتُ على الصندوق!

يُغلق الهاتف ويضحك صاحب الصوت وقد انتصف القمر في السماء؛ ليعكس بشعاعه القويّ النور على وجهه؛ فيظهر كأنه شبح خفي وراء النافذة، ثم يفاجأ بصوت الفتاة الصغيرة أخت سعفان وقد استيقظت من نومها، تقول وهي تبكي:

- انت مين؟

يلتفّ صاحب الصوت مسرعًا لها ولا يعرف ماذا يقول؛ لتتابع الفتاة التي تراه حديثها قائلة:

- مش مصدقة! عمو كريم صاحب أخويا سعفان لسّه عايش؟!

تمت بحمد الله